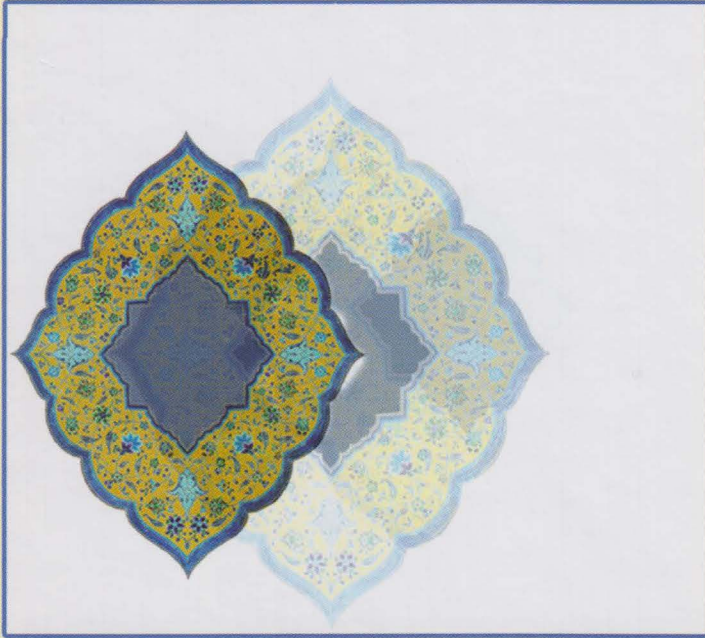


حُسين بركة الشامي

مُقَاتِلَاتٌ

فِي قَضَايَا

الفِكرِ وَالتُّراثِ وَالسِّيَاسَةِ وَالْأَدَبِ

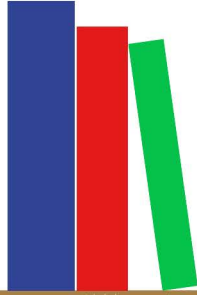


مكتبة
مؤمن قريش

www.muhammadiblog.com

مركز الدراسات والبحوث والتوثيق
جامعتها إمام جعفر الصادق

مفتاح



مكتبة مؤمن قريش

أبو وضع إنسان أباي طاب في كفة ميزان وإنسان هذا الخاق
في الكفة الأخرى ليرجح إنسانه
إمام الصادق (ع)

moamenquraish.blogspot.com

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٣٣ هـ

٢٠١٢ م



دار الافتاء العراقية

للطباعة والنشر

بغداد

07715850512

07803362607

Email: dar_info2012@yahoo.com

مُتَقَاتٍ
فِي قَضَايَا
الْفِكْرِ وَالتُّرَاثِ وَالسِّيَاسَةِ وَالْأَدَبِ

حَسَنُ بْنُ كَثِيرٍ الشَّعْبِي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ
هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ
زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ
تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي
الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَأَمْتًا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا
أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٧﴾ ﴿آل عمران﴾

الإهداء

تعلمتُ من العلامة الأستاذ الشهيد السعيد
الشيخ مهدي العطار «طاب ثراه»
حبَّ العلم ومؤسّسات البر ومداراة الناس
فهو أستاذُ الفقه .. ومعلّمُ الأخلاق .. ورائدُ المشاريع الخيرية
وهو صاحبُ النفس الكبيرة، والروح الطاهرة، والتواضع الجَمّ
إذ كان قلبه في وجهه ككل الدعاة المخلصين الطيبين
إليه وهو في عليائه .. أهدى هذه المقدمات
ويقيني أنها تسره ..
وحزني أني لا أسمعهُ..

حسين الشامي

كلمة قبل المدخل

بسم الله الرحمن الرحيم .. الحمد لله وحده وصلى الله على محمدٍ
خير خلقه وعلى آله الطاهرين ، وأصحابه الطيبين . وبعد :

فهذه مقدمات كانت لمجموعة من التصانيف والكتب لعدد من
المؤلفين والكتاب المبدعين المعاصرين ، وهي مادة مكثفة لبحوث
ودراسات تفتح بطبيعتها آفاقاً فكرية وأدبية رحبية لذوي الشأن
والأختصاص في موضوعاتها المختلفة ، بعد إلغاء بعض الخصوصيات
وإضافة بعض التعديلات عليها.

وأما البحوث والدراسات ، فهي أوراق نقاشية ومشاركات علمية
لم يجمعها زمان ولا مكان ، ولم يوحدّها موضوع أو عنوان ، إنما
جاءت عبر مسيرة طويلة ضمن مؤتمرات وندوات متباعدة ، خلال
فصول الهجرة التي امتدت لربع قرنٍ من الزمن المثقل بالهموم
والمزدحم بالمتاعب في هذا البلد أو ذاك.

وشاءت رغبة الأخوة في مركز الدراسات والبحوث والتوثيق
لجامعة الامام جعفر الصادق عليه السلام الأهلية أن يجمعوا هذه البحوث
والدراسات والمقدمات ويعيدوها في كتاب واحد بعد تصنيفها
وتنسيقها ، وإضافة بعض الكلمات والبيانات والحوارات الصحفية
التي أجريتها في مناسبات مختلفة إليها. كما أختاروا عدة قصائد من
مجموعتي الشعرية «مناجاة قلب» و «يا ولدي» وأضافوها إليها

لتكون مادة غنية في الفكر والتراث والسياسة والأدب ، وتعتبر في إطارها العام عن جانب مهم من جوانب تجربتي الثقافية والأدبية المتواضعة.

وبالرغم من أن مقدمات الكتب والتصانيف تمثل قسما واحداً من أقسام الكتاب الأربعة إلا أن هذه «المقدمات» غلبت على أقسام الكتاب الأخرى فأصبحت هويته وعنوانه : «مقدمات في قضايا الفكر والتراث والسياسة والأدب» .

وفي الوقت الذي أثنى فيه جهود الأخوة المثقفين والعاملين في هذا المركز الجاد على إعداد وتصميم هذا الكتاب «المقدمات» الذي يمثل حلقة من سلسلة نتاجهم العلمي وجهدهم التوثيقي المتقن.

أسأل الله تعالى لهم ولكل العاملين المخلصين مزيداً من التوفيق والنجاح والتقدم لخدمة قضايا الفكر والتراث ، ومشاريع الأمة في البناء والتنمية.

إنه ولي التوفيق

حسين بركة الشامي
ربيع الأول ١٤٣٣هـ
بغداد

ملاحم المشروع الفكري عند العلامة السيد حسين بركة الشامي

قد تكون الأصالة والتجديد هما المعلمان الأكثر بروزاً في مشروع السيد الشامي، والعودة الى أصول الفكر الإسلامي عند الشامي، لا تعني الإحتماء بالتراث والتجمد في حدوده، بل هي عودة واعية حركية، فهو لا يطرح في كتاباته رؤية فكرية إلا بعد أن يستخلصها من القرآن والسنة، ومما أبدعه العقل الإسلامي على مدى قرون طويلة من الزمن، إنه في ذلك يتحرك في المنطقة الواسعة بين التحديث غير الملتزم وبين التجمد السلفي، وهي منطقة مهمة الى حد كبير، رغم إتساعها، وهذه من المشاكل التي عانى منها الفكر الإسلامي طويلاً.

فلقد إنشغلت معظم الجهود بالتراث على انه تركة مقدسة يجب التمسك بها، وهذا هو ما يريده دعاة الفكر السلفي، مما جعل الإسلام يبدو وكأنه مجموعة عتيقة من المفاهيم يراد فرضها بالقوة على قانون التطور الذي يتسم به العالم. وفي مقابل هذا الجمود هناك موجة الحداثة التي إكتسحت العالم الاسلامي عبر كتابات تدعو الى إعادة النظر بالاسلام، وقراءته في ضوء المستجدات، أي التعامل مع الإسلام «القرآن والسنة» على أنها مفاهيم غير نهائية، وان من الممكن ملائمتها مع العصر حتى لو خالفت النص.

وكان لهذه الموجة دعائها الكثر الذين أغرقوا الساحة الثقافية بتأجهم وفق رؤية مستمدة من الحداثة الغربية، وحالوا تطبيقها على الإسلام، وبذلك فهم يقومون بعملية تشويهية بقصد أو بدون قصد، إذ كيف يمكن نقل أفكار من منظومة حضارية، ومحاولة فرضها على منظومة أخرى تختلف عنها في الأسس والمنطلقات الثقافية والاجتماعي.

بل انها لا تزال غير قطعية حتى وفق اعتبارات الحضارة الغربية نفسها. وبين هذين الإتجاهين «السلفي والحداثي» بقيت المساحة الواسعة مهملة من قبل المفكرين الإسلاميين، فلا تشهد سوى مشاركات محدود متناثرة زمنياً.

ورغم أنها تأخذ بريقاً ملفتاً يفرض نفسه بحكم القوة والرصانة الفكرية، إلا ان عدم متابعتها يؤدي بها الى الإنزواء، كما حدث ذلك في معظم فترات التاريخ الإسلامي والشيعي على وجه الخصوص.

ولعل تجربة الإمام الشهيد السيد محمد باقر الصدر قدس سره، واضحة أمامنا، فبعد الانجاز الكبير الذي قدمه في حياته العلمية، والذي احدث ثورة علمية حقيقة في مجال الفكر الفلسفي وعلم المنطق والأصول، توقفت نهضته، لعدم تصدي من يقوم بمواصلتها وتعميقها.

لقد وجد السيد الشامي نفسه في هذه المساحة، بحكم إنتمائه المبكر الى مدرسة الإمام الشهيد الصدر، ثم وجد نفسه ملزماً بالمحافظة على إنتمائه لهذه المدرسة بحكم العمل الميداني.

وبالتالي فقد اختار التحرك على مساحة التجديد الإسلامي بمنهجها الأصيل ، ومن هنا كانت مساهماته الفكرية المتنوعة كتابةً وشعراً. يظهر إرتباط الشامي جلياً بمدرسة الإمام الشهيد الصدر، من خلال تخصيصه عدة بحوث وفصول من كتبه في الحديث عنه.

وكذلك الاستعانة بفكره عند تناوله لموضوعات فكرية وعقيدية. وقد خصص للحديث عن الشهيد الصدر فصلاً طويلاً في كتابه «المرجعية الدينية.. من الذات الى المؤسسة» ، «وحزب الدعوة الاسلامية..دراسة في الفكر والتجربة» .

تضح محاولة الشامي في إعتداد منهج الإعتدال من خلال كتابه «التوازن في الشخصية الإسلامية» ، والكتاب يدخل ضمن الفكر الحركي ، حيث سعى الشامي الى بلورة مشروع عملي للشخصية الإسلامية وهي تنطلق في مجالات الفكر والميدان ، بحيث يكون هذا المشروع ، بمثابة الإطار العام الذي تتحرك فيه ، وهو إطار مستمد من القرآن والسنة المطهرة وتجارب التاريخ الإسلامي ، خصوصاً سيرة الأئمة الأطهار عليهم السلام.

ونسجل للعلامة الشامي تحركه المرن والرشيقي على شريط واسع من النماذج التاريخية ، ليخرج من خلال ربطها مع بعضها البعض بمفهوم حركي ، أو فكرة عملية ، أو رؤية مفاهيمية توجه الحاضر وترسم ملامح المستقبل.

ومعنى ذلك أن الشامي في بحوثه لا يتكلس على فكرة واحدة ، إنما يجعلها مفتوحة تفضي الى أفكار أخرى متجددة.

وهذا ما يمكن ملاحظته من خلال كتابه الموسوعي «المرجعية الشيعية.. من الذات الى المؤسسة».

فقد كان كل فصل من فصوله يقوم لوحده وكأنه إصدار مستقل، لكنه في نفس الوقت يفتح أمام القارئ باباً لمعرفة فكرة جديدة، فيمضي مع الفصل الثاني والثالث وهكذا. ويحرص الشامي حرصاً بالغاً على التراث الإسلامي الشيعي ورأي مدرسة أهل البيت عليهم السلام.

وهذا ما يتكشف من خلال إنتقائه التفسير الكبير للفخر الرازي ليقوم بجهد مضمّن في اختصاره واطافة الرأي الشيعي على هامشه في المسائل الخلافية والمواضع المهمة، مع الإشارة الى إختصار مفاتيح الغيب للرازي لا يخلو من شجاعة أدبية ومجازفة علمية.

فقد وضع الرازي في تفسيره كل قدراته الفكرية والعقلية والفلسفية، وتوسع بشكل مذهل في بيان الآراء بطريقة تفصيلية تتعب القارئ والباحث المتخصص، مما جعل من إختصاره عملية شاقة معقدة لكثرة الآراء التي يعرضها في الآية الواحدة.

وفي جزء من الآية وأحياناً في الكلمة الواحدة. وقد يكون هذا المنهج الصعب الذي اعتمده الرازي هو الذي حال دون إقدام العلماء والمهتمين بالتفسير من إختصاره، خلافاً للكثير من التفاسير الشهيرة.

الاصلاح والتجديد

إهتم العلامة الشامي بالظاهرة الإصلاحية في الوسط الإسلامي الشيعي، وتوقف عند دراستها مطولاً وفي مناسبات عديدة، وكان في كتاباته عن التجارب الاصلاحية، يسعى لتحويل التجارب الاصلاحية

الى منطلقات جديدة في الحياة المعاصرة ، بمعنى أنه يحاول إعادة إنتاج المشروع الاصلاحى بما يتناسب مع مستجدات الزمن ، وإبقائه سمة بارزة ممتدة في الواقع الاسلامى ، وهذا ما تمثل في كتابه الموسوم «مقدمة في الإصلاح والتجديد للشعائر الحسينية» إذ قدم من خلال هذا الكتاب قراءته للبعد التاريخى للنهضة الحسينية وما يتصل بها من شعائر ومراسيم وأبعاد ودلالات ، ورؤية تجديدية لهذه القضية وتقويمها بشكل موضوعي يستند إلى الجذور الشرعية الأصلية.

يرى العلامة الشامى أن مشاريع الإصلاح لم تولد بشكل طبيعي ، ولم يمارس المصلحون مهمتهم في سياق إيجابى ، وذلك نتيجة ردة الفعل المتشجعة التي تنطلق من الأجواء المحيطة بهم ، وتسعى الى مواجهة العملية الإصلاحية بشدة. ويرى الشامى ان ردة الفعل هذه تسببت في توقف الكثير من المشاريع عند الخطوات الأولى ، دون أن يتمكن أصحابها من فرضها على النمط السائد في مجتمعاتهم. ومن خلال هذا التقييم فإن الشامى يضع شرطاً موضوعياً في نجاح المشروع الإصلاحى ، يصطلح عليه بـ «القوة الذاتية للمصلح» بمعنى أن الإصلاح لا يتحقق بمجرد صحة الفكرة والمنهاج والآليات ، إنما يحتاج الى جانب ذلك ، شخصية قيادية تتمتع بمواصفات عالية تؤهلها لمواجهة التحديات ، ويرى في مراجع الدين نموذجاً لهذه الشخصية بحكم موقعهم الدينى والاجتماعى الذي يؤهلهم لفرض مشروعهم. لكن ذلك لا يعنى أنه يمحصر الإصلاح بالمراجع ، فهناك اشخاص لهم قدرة على الإصلاح نظراً لكونهم امتلكوا القوة الذاتية وتحولوا الى حركة مؤثرة في المجتمع. وهذا ما تمثل في كتابه المعروف : «البرنامج الأمثل لإدارة الدولة وقيادة المجتمع» فقد وظف في هذا الكتاب تجربته الأدارية والثقافية في إدارة مؤسسة دار الإسلام الثقافية الخيرية في

لندن، ورئاسة ديوان الوقف الشيعي ومعاناته في تاسيسه وتنظيم شؤونه وبرامجه، بعد أحداث عملية التحول والتغيير التي شهدتها العراق عام ٢٠٠٣م.

ويمثل هذا الكتاب دراسة موضوعية موثقة توزعت على حقول التاريخ والإدارة والسياسة والأخلاق والإقتصاد والثقافة، وهو يعد بحق برنامج يحتاجه رجال الدولة والسياسة وكل المتصددين لإدارة المؤسسات ذات النفع العام.

ويعطي السيد الشامي مساحة واسعة مما هو سائد في الأوساط الدينية عن الفكرة الإصلاحية، فهو يرى أن الإصلاح ليس محدوداً في مجال الحوزة العلمية او ما يتصل بها من مجالات، بل أنه أفق واسع متعدد الجوانب، فهو يشمل المجالات الفكرية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية، بأعتبار أن الإصلاح هو مشروع حضاري في حياة الأمة، وهو فعل محرك ينطلق من حاجات المجتمع، فقد يفرض الواقع في بعض الفترات ان يكون الإصلاح سياسياً، وفي فترات اخرى فكرياً وفي ثالثة اجتماعياً.

وهكذا تتنوع انماط الإصلاح تبعاً للظروف العامة التي يعيشها المجتمع. ويعود العلامة الشامي الى تدعيم رؤيته هذه من خلال العودة الى سيرة أهل البيت عليهم السلام، حيث يستشهد بتعدد أدوارهم ووحدة الهدف العام لمسيرتهم، على أن ذلك أحد نماذج التنوع الاصلاحى في المجتمع.

ومن يتصفح الأعمال الشعرية للأديب السيد الشامي خصوصاً في ملحمته «قوافل النور» يجد أن للشامي رؤية تتجاوز أبعاد الصورة

الشعرية وموسيقى الوزن والقافية إلى أبعاد رؤية عميقة في حركة أهل البيت عليهم السلام وحياتهم الإسلامية الفذة وعاطائهم الخالد. إن وحدة التوجه والمنهج عند العلامة السيد حسين الشامي ستبدو واضحة في هذه المجموعة من المقدمات والبحوث والمقالات والتي كتبها في أوقات متفرقة وفي مناسبات كثيرة، وبفواصل زمنية بعيدة نسبياً، لكنها تنتظم بالوحدة المنهجية، وهذا ما سيجده القارئ الكريم من خلال قراءتها والاطلاع على فصولها وما تنطوي عليه من ابعاد ودلالات تشكل بطبيعتها فلسفة السيد الشامي للفكر والاشياء والحياة.

المنجزات الثقافية والأدبية

صدر للعلامة الشامي العديد من المنجزات الثقافية والأدبية والسياسية منذ هجرته في بداية الثمانينات ندرجها وهي ما يأتي :

- ١- التوازن في الشخصية الإسلامية.
- ٢- أزمة العراق .. رؤية من الداخل.
- ٣- الزمن في حركة العاملين.
- ٤- تهذيب التفسير الكبير / ٧ مجلدات.
- ٥- المختصر من الكافي.
- ٦- ملحمة قوافل النور .. ملحمة شعرية في سيرة النبي عليه السلام وأهل بيته.
- ٧- المرجعية الشيعية من الذات إلى المؤسسة.
- ٨- حزب الدعوة الإسلامية .. دراسة في الفكر والتجربة.
- ٩- ألفية ابن بركة.. ملحمة شعرية تؤرخ لمسيرة الحركة الاسلامية ١٩٦٨ م - ٢٠٠٣.
- ١٠- محمد باقر الصدر .. دراسات في حياته وفكره .. بالاشتراك مع آخرين.
- ١١- الصدر الثاني .. دراسات في حياته وجهاده .. بالاشتراك مع آخرين.
- ١٢- التعدي على الأوقاف في العراق.
- ١٣- الشباب في سير التكامل.
- ١٤- صلاة الجمعة .. آدابها وأحكامها.
- ١٥- كتاب الصلاة الجامع لروايات حرز بن عبد الله السجستاني الكوفي.

- ١٦- مناجاة قلب «شعر» .
 ١٧- يا ولدي «شعر» .
 ١٨- المشهد الثقافي .. الإشكاليات والمعالجات.
 ١٩- ديوان الوقف الشيعي التأسيس والإنجازات.
 ٢٠- البرنامج الأمثل لإدارة الدولة وقيادة المجتمع في ضوء عهد الامام علي
 لملك الأشر.
 ٢١- مقدمة في الإصلاح والتجديد للشعائر الحسينية.
 ٢٢- العلامة المرجع محمد حسين فضل الله من الذات إلى المؤسسة.
 ٢٣- إحياء المجالس السنوية.
 ٢٤- موسوعة الهجرة العراقية «قيد الطبع» .
 ٢٥- مقدمات في قضايا الفكر والتراث والسياسة والأدب.

كما أن السيد الشامي كان يشرف على إصدار مجلة الفكر الجديد
 الفصلية التي تعنى بالفكر وقضايا المسلم المعاصر في المهجر. ومجلة
 جامعة الإمام جعفر الصادق عليه السلام العلمية المحكمة في العراق.

المؤسسات الثقافية والاجتماعية والخيرية

لقد عرف السيد الشامي بتفكيره المؤسساتي ونشاطاته الإستراتيجية
 لتأسيس المشاريع والمؤسسات الثقافية والخيرية والتعليمية في مختلف
 المواقع والساحات التي تحرك فيها سواء أكان ذلك في بلدان المهجر أم
 في الوطن الأم العراق، وهي:

أولاً: المدير العام لمعسكر الشهيد الصدر في المهجر ١٩٨٠م: الذي
 كان يمثل جامعاً وجامعة لقوات الشهيد الصدر وإعداد العراقيين
 المهاجرين ميدانيا لمواجهة النظام الدكتاتوري في العراق.

ثانياً: مدرسة عشرة الفجر ١٩٨٢م في مدينة قم المقدسة: وهي مدرسة إسلامية علمية حوزوية تهتم بإعداد العلماء والخطباء، والمرشدين.

ثالثاً: الحسينية الحيدرية في الشام ١٩٨٤م: بالتعاون مع سماحة المرحوم الشيخ مجيد الصيمري «رحمه الله» لتكون ملتقى ثقافياً واجتماعياً ومركزاً لأقامة المجالس الحسينية وإحياء المناسبات الخاصة والعامّة.

رابعاً: حسينية المصطفى في لندن ١٩٨٧م - ١٩٩٢م: وهي مركز إسلامي ومنتدى اجتماعي تلتقي فيه الجالية الإسلامية العراقية بجميع أطيافها وتقام في هذا المركز صلاة الجماعة والعيدين والمجالس الحسينية والندوات الثقافية وإحياء المناسبات الخاصة والعامّة.

خامساً: مؤسسة دار الإسلام الثقافية الخيرية في بريطانيا ١٩٩٢م: وهي مؤسسة تقوم بنشاطات وبرامج متعددة لخدمة الجالية الإسلامية عموماً والعراقية على وجه الخصوص، مثل تقديم الخدمات الإستشارية والقانونية للمهاجرين العراقيين.

إضافة إلى قضايا الأحوال الشخصية وإقامة صلاة الجمعة وإحياء المناسبات في شهر محرم الحرام وشهر رمضان المبارك وغيرها من المناسبات. ولهذه المؤسسة فرعٌ في مدينة مانجستر شمال بريطانيا يقوم بنفس النشاطات والبرامج. ولها فرعٌ آخر في العراق، كما أنها الجهة المعتمدة لجامعة الامام جعفر الصادق عليه السلام أمام وزارة التعليم العالي والبحث العلمي.

سادساً: ديوان الوقف الشيعي عام ٢٠٠٣م: بعد مرحلة التحول والتغيير التي شهدتها العراق بعد سقوط النظام البعثي وانحلال وزارة الأوقاف والشؤون الدينية كان للسيد الشامي دور كبير ومتميز في تأسيس ديوان الوقف الشيعي ووضع برنامج واسع لتشكيلاته الإدارية والمالية والثقافية وهيئاته المختلفة وإعداد مسودة قانونه الأساسي حتى أصبح ديوان الوقف الشيعي مؤسسة كبيرة ذات أعمال ونشاطات ثقافية واجتماعية وعمرانية متنوعة.

سابعاً: هيئة الشهيد العراقي للخدمات الإنسانية ٢٠٠٣م: وهي جمعية خيرية قدمت الخدمات الإنسانية والمساعدات العينية للفقراء وأبناء الشهداء وذوي الإحتياجات الخاصة، وقد قامت هذه الجمعية بعدة حفلات للزواج الجماعي إذ بلغ عدد المتزوجين من قبل هذه هيئة ١٥٥٠ حالة زواج موثقة.

ثامناً: جامعة الإمام جعفر الصادق عليه السلام الأهلية ٢٠٠٤م: وتضم عدة كليات وأقسام في مختلف الاختصاصات، وهي الآن أكبر جامعة أهلية في العراق، إذ تضم عدة فروع في محافظات العراق وهي: ميسان، ذي قار، المثنى، النجف الاشرف، ديالى، صلاح الدين، وكركوك إضافة إلى مقرها الرئيسي في بغداد.

تاسعاً: الأمين العام لمؤسسة البلاغ والارشاد الاسلامي: وهي مؤسسة تعنى برعاية الطلبة والمبلغين وخطباء المنبر الحسيني الشريف في العراق منذ تأسيسها عام (٢٠٠٨) ولمدة سنتين.

عاشراً: مجمع دار الإسلام الثقافي الخيري في بغداد ٢٠٠٧م: وهو مجمع كبير في بغداد يضم مسجداً، وقاعة مناسبات، ومدارس

تعليمية، ومركزاً للرعاية الطبية، ومطعماً، ومكتبة مركزية، ومجمعاً سكنياً، ومطبعة وداراً للنشر، ومكاتب إدارية، وملاعب وساحات ترفيهية.

الوظائف والمواقع

شغل السيد الشامي وظائف ومناصب إدارية عدة في مؤسسات ثقافية واجتماعية منها:

- ١- عضو شوري جماعة العلماء المجاهدين في العراق عام ١٩٨١م.
- ٢- الأمين العام لمؤسسة دار الإسلام الثقافية الخيرية. منذ تأسيسها عام ١٩٩٢م.
- ٣- عضو الهيئة العامة للمجمع العالمي لأهل البيت عليه السلام منذ تأسيسه عام ١٩٩٠م.
- ٤- عضو الهيئة العامة لاتحاد علماء المسلمين في العراق.
- ٥- الأمين العام لهيئة الشهيد العراقي للخدمات الإنسانية.
- ٦- رئيس ديوان الوقف الشيعي منذ تأسيسه عام ٢٠٠٣م لغاية ٢٠٠٥م.
- ٧- مستشار رئيس الوزراء للشؤون الثقافية، من عام ٢٠٠٥ لغاية ٢٠١١م.
- ٨- عضو اتحاد الكتاب والأدباء العراقيين.
- ٩- رئيس مجلس الإدارة لجامعة الامام جعفر الصادق عليه السلام الأهلية.
- ١٠- عميد عشائر السادة الغوالب في عموم العراق.

ومن حق المتابع والمهتم بالفكر الإسلامي والمشاريع الثقافية أن يأمل بنتائج متواصلة للسيد الشامي ومؤسسات اجتماعية واصلاحية أكثر عطاءً وتطوراً، وبمشاريع تنموية تخدم حركة الفكر والثقافة والمجتمع في العراق والعالم الاسلامي.

مركز الدراسات والبحوث والتوثيق
جامعة الإمام جعفر الصادق

القسم الأول
المقدمات

« المقدمة الأولى »

المعالم الجديدة للاصول

دروس تمهيدية في علم الاصول

بسم الله الرحمن الرحيم.. الحمد لله الذي لا يحصي نعمائه العادون، ولا يدرك مدحته العارفون، والصلاة والسلام على من بعثه رحمة للعالمين نبينا محمد وآله الهداة الطيبين الطاهرين، الذين اذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا، وعلى صحابته الراضين المرضيين.. وبعد:

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَا كَانِ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ (١٢٢) ﴿ التوبة ﴾

وقد ورد عن الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام انه قال:

« إِنَّمَا عَلَيْنَا أَنْ نُلْقِيَ إِلَيْكُمْ الْأَصُولَ وَعَلَيْكُمْ التَّفْرِيعَ »

السرائر : ٣ / ٥٧٥

إن هذه الرواية الشريفة هي واحدة من روايات كثيرة تشير إلى أن أساس علم الأصول وقواعده الكلية قد أخذت من أئمة أهل البيت عليهم السلام فهم الذين وضعوا بذوره الأولى ومهدوا لنشوته، ويتجلى ذلك لنا بشكل واضح من خلال فهراس كتب أصحابهم عليهم السلام، وأبرزها الأصول الأربعمئة والكتب التي اشتهرت

في زمن الإمامين الباقر والصادق عليهما السلام، كما في ترجمة يونس بن عبد الرحمن «ت ٢٠٨هـ» ووزارة بن أعين «ت ١٢٠هـ» ومحمد بن أبي عمير «ت ٢١٧هـ» وحريز بن عبد الله السجستاني الكوفي، وحماد بن عيسى، وأحمد بن محمد بن عيسى وغيرهم إذ تمثل هذه الأصول والكتب ذروة التطور العلمي في تدوين الحديث الشريف عند المسلمين الشيعة، والاعتناء به في القرن الثاني الهجري.

إلا أن علم أصول الفقه لم يأخذ شكله كعلم أصيل عند الأمامية إلا في بدايات القرن الخامس الهجري، إذ تداولته أقلام جهابذة علماء الشيعة جيلاً بعد جيل حتى غدا في القرون الأخيرة في جامعة النجف الأشرف من الدقة والسعة والعمق بما لم يحض به أي علم آخر من علوم الشريعة عبر تاريخهم. وإن أهم ما تميزت به جامعة النجف الأشرف العريقة - ذات الألف عام - تفردتها بعلم أصول الفقه وقواعد الاجتهاد، والاهتمام بدراسة مصادر التشريع الإسلامي وفق مناهج موضوعية ناقدة ورصينة.

حيث تطور علم الأصول في هذه الجامعة العتيقة تطوراً كبيراً على أيدي علمائها وأساطينها الكبار، ابتداءً من الشيخ محمد بن الحسن الطوسي «عليه الرحمة» «ت ٤٦٠هـ» مؤسس هذه الجامعة، والذي يعدُّ بحق امتداداً رائداً وأميناً لمدرسة بغداد التي أسسها الشيخ المفيد وتلميذه السيد المرتضى علم الهدى، وغيرهم من عباقرة مدرسة أهل البيت عليهم السلام الذين حملوا أعباء المسؤولية العلمية وتصدوا لشؤون المرجعية الدينية بعد الغيبة الصغرى استناداً إلى القول المشهور عن

الإمام الحجة «عج»: «وأما الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا فإنهم حجتي عليكم وأنا حجة الله عليهم»^(١).

إذ تعدُّ هذه المقولة الشريفة الأساس الشرعي لدور المرجعية الدينية وفقهاء الشيعة الإمامية في التصدي للشؤون الشرعية وقيادة الأمة على مستوى الأفراد والجماعة.

كما برز دورهم في حفظ التراث الإسلامي وخصوصاً في مجالي علم الفقه والاصول الذين هما مدار البحث والاجتهاد في مدرسة أهل البيت عليهم السلام بعد الغيبة الصغرى. وهكذا فقد شهد علم الفقه والأصول تحولات نوعية، وقفزات تاريخية على أيدي الأفاضل من علماء الشيعة الإمامية سواء أكان ذلك في مدرسة المدينة المنورة، وحاضرة الكوفة أم في مدرسة بغداد والنجف الأشرف والحلة وامتداداتها في جبل عامل، وقم المقدسة.

وإذا أردنا ان نسلط الضوء على أهم الشخصيات التي قدمت عصارة أفكارها وأبدعت في نظرياتها الفقهية والأصولية، فإننا نجدهم يتصبون كأعمدة من نور في مسار هذه المدرسة الفقهية الأصولية المباركة، ومراحل تطورها عبر الزمن.

فهؤلاء الأعلام سلسلة مباركة تبدأ بالشيخ المفيد «ت ٤١٣هـ»، الذي واصل الخط الفكري الذي سار عليه ابن أبي عقيل، وابن الجنيد قبله، ونقد بعض آرائهما، وبعده تلميذه السيد المرتضى علم الهدى «ت ٤٣٦هـ» ثم جاء دور شيخ الطائفة الطوسي «ت ٤٦٠هـ»، والشيخ الفقيه المجدد ابن إدريس، والمحقق الحلي، والعلامة ابن المطهر الحلي،

(١) الشيخ الصدوق: كمال الدين وتمام النعمة: ٤٨٤.

والوحيد البهبهاني، والشيخ جعفر صاحب كتاب كشف الغطاء،
وصاحب الجواهر، والشيخ الأنصاري، والآخوند الخراساني،
والنائيني، والشيخ الاصفهاني، وأبو القاسم الخوئي، حتى نصل إلى
محطة الإمام الشهيد السيد محمد باقر الصدر «رضوان الله عليه» الذي
تجلت عبقريته في علم الأصول حتى كأنه أنسى من قبله وأتعب من
بعده.

إذ كان صاحب مدرسة رائدة ذات أبعاد متعددة عميقة الجذور،
رحبية الآفاق، خصيبة العطاء، بكل ما يحمل عنوان المدرسة من
مضامين ودلالات. فمدرسته تتسم بالسعة والشمول، والدقة
والعمق، والموضوعية، والنزعة الوجدانية العرفية. وقد أجمع
الباحثون ورجال الفكر والمعرفة على اختلاف انتماءاتهم الفكرية
والسياسية بان عملية التأسيس، والتأصيل، والعمق، والشمولية،
والإبداع، والدقة، والتجديد، والريادة، والنقد الموضوعي، والأمانة
العلمية، والترابط المنهجي، والإصلاح التعليمي والاجتماعي،
وحمل هموم الأمة، والجهد والمواجهة، حتى الشهادة، هي العناصر
البارزة الحية والمرتكزات الأساسية لمدرسة الإمام الشهيد الصدر
الفكرية والسياسية والجهادية من دون مبالغة أو تهويل أو ادعاء.

ولا يتسع البيان في هذه المقدمة الموجزة أن نستعرض جميع أبعاد
هذه الخصائص والمرتكزات لمدرسة الصدر الرائدة، إنما نحاول أن
نستوضح عطاءه الخالد في علم الأصول من خلال كتابه الرائد:
«المعالم الجديدة للأصول» الذي كتبه عام «١٣٨٥هـ - ١٩٦٦م»
ليكون متناً دراسياً في كلية أصول الدين في بغداد، وكان ذلك بطلب
من العلامة السيد مرتضى العسكري مؤسس هذه الكلية في بغداد.

ويعبر هذا الكتاب عن حلقة من حلقات ثلاث كان ينوي السيد الشهيد في ذلك التاريخ اصدارها تحت عنوان «دروس تمهيدية في علم الأصول» تدرج في عرض علم الأصول وتمهيده، وتشكل كل حلقة من هذه الحلقات دراسة كاملة لعلم الاصول وان اختلفت في مستوى العرض والدرجة العلمية، ولم يقدر له ﷺ إكمال هذه الحلقات في ذلك التاريخ حتى تطورت لديه هذه الفكرة وتبلورت بعد ذلك في كتاب «دروس في علم الأصول» أو «الحلقات الثلاث» التي ألفها سنة ١٣٩٧هـ.^(١)

وبعد مرور حوالي نصف قرن من الزمن المزدهم بأفكار ومباني وتطورات علم الأصول فاين تكمن القيمة العلمية لكتاب المعالم الجديدة؟! فهل كان هذا الكتاب يتميز بأسلوب العرض الجديد واللغة الواضحة حسب، أم أنه كان أبعد من ذلك؟!

إنه أول كتاب من نوعه قدّم إحاطة تعريفية شاملة لعلم الأصول، وهذا هو شأن الإمام الشهيد محمد باقر الصدر «*تَنْتِزُحٌ*»، فهو المبدع الرائد في كل ما كتب. حتى ليتمكن القول أن كتاباته لا تزال تقف في صدارة التراث الفكري المعاصر، رغم مرور أكثر من نصف قرن على بعضها.

مما يعزز فكرة أنه «*تَنْتِزُحٌ*» كان ظاهرة استثنائية في مسار الفكر الإسلامي والإنساني. إن ما يميز كتاب «المعالم الجديدة للأصول» أنه إتسع لعدة قراءات، فكان كتاباً تأريخياً، حيث درس الامام الشهيد

(١) محمد باقر الصدر..السيرة والمسيرة..: ٢ / ٥٥.

تطور هذا العلم بطريقة تحليلية، مرت على أهم منعطفاته ومراحلها، بما يمكن وصفه أنه شكل إضافة جديدة لأساليب دراسة تاريخ العلوم.

وذلك لأن الشهيد الصدر كما يرى العلامة الجليل السيد محمد حسن الأمين: «أدرك هذا النقص الفادح في الدراسة المقارنة مع المناهج المعاصرة التي كرس تاريخ كل علم من العلوم بوصفه جزءاً من هذا العلم، ومدخلاً لفهم مباحثه، وقد أطلق الشهيد الصدر في مقدمته لكتاب المعالم أفاقاً واسعة وإمكانات غير محدودة لإكتشاف مناهج معاصرة لتطوير هذا العلم، وهذا جانب من المعرفة لم يعتد عليها الطالب في جامعة النجف الأشرف الذي يبدأ مباشرة بدراسة مباحث هذا العلم دون أي إلمام بنشأة هذا العلم وتطوره».^(١)

حتى إننا نستطيع القول أن أكثر البحوث والدراسات الأكاديمية التي تناولت تاريخ علم الأصول وإتجاهاته إتمدت بشكل كبير على ما قدمه الشهيد الصدر في مقدمة كتابه المعالم.

فمثلاً عندما يتناول مرحلة ما بعد الشيخ الطوسي، يعطي الشهيد الصدر تفسيراً رائعاً، لحالة الركود الفكري التي دامت قرناً من الزمن، يختلف عن التفسير السائد والذي كان يعتبر أن قداسة الشيخ الطوسي، أعاقت العقل الشيعي من مناقشة مدرسته. فشهدت الأوساط العلمية جموداً ثقيلاً حتى كسره الفقيه المجدد محمد بن أحمد بن إدريس الحلبي صاحب كتاب السرائر رحمته الله.

لا يتفق الشهيد الصدر مع هذا التفسير الوجداني رغم شهرته، فيتوغل عميقاً لبحث سبب هذا الركود، حتى يصل الى نتيجة مفادها

(١) محمد باقر الصدر..دراسات في حياته وفكره: ١١٧، طباعة مؤسسة دار الاسلام.

ان عبقريّة الطوسي في طرح أفكاره التجديدية قد سبقت مرحلته زمنياً، وانه كان حداً فاصلاً بين عصرين من العلم، ويصطلح عليهما بـ «العصر التمهيدي» و «العصر العلمي الكامل»، وهذا ما كان يتطلب فترة زمنية حتى تستوعب الأجواء العلمية حجم الانجاز العلمي على صعيد الفقه وأصوله الذي حققه الشيخ الطوسي رحمته الله.

ثم يضيف «تَدَسُّ» عامل الظرف الإجتماعي وعلاقته بالحراك العلمي، حيث توصل الى ان الفكر السني في تلك المرحلة قد أغلق باب الاجتهاد، مما جعل الفكر الأصولي السني يبنى بالعقم على حد تعبيره رحمته الله، وهو ما أفقد الحركة العلمية الاصولية عند الشيعة عامل الملاحقة والتطور، كما افقدها أحد أهم المحفزات العلمية للإبداع. وإذا كان الإمام الشهيد الصدر يعتمد هذا المنهج في دراسة التطور العلمي، وتحليل مساراته، فإنه يقدم تفسيراً لظهور المدارس الفكرية التي ظهرت في الحياة الإسلامية، بأسلوبه العلمي، الذي يتوقف مع الظاهرة، ويحيط بعناصرها ومسبباتها وظروفها، لينتقل بعد ذلك في الكشف عن نتائجها على مستوى الفكر.

وهذا ما نجده عندما يتحدث عن ولادة المدارس المتطرفة في رفض العقل، كما هو الحال عند الأشاعرة، حيث يدرس ظروفها ودوافع نشأتها، ثم يدرس «تَدَسُّ» ردة الفعل التي نشأت بعد ذلك في ولادة اتجاه عقلي على الضد من الأول، معتمداً في ذلك على دراسة وتحليل رموز كل تيار وأبرز أفكاره، كما في تناوله الرائع للجدل الطويل بين المدرستين الاخبارية والاصولية، وأسباب انتصار وغلبة الثانية على الأولى في نهاية المطاف. والى جانب أهمية الكتاب من ناحية البحث التاريخي، فان الإمام الشهيد، قدم فيه الأسس النظرية لعلم الأصول،

بحيث كشف هذا الحقل الواسع والمعقد، في منهجية حديثة تطابق المنهج العلمي للدراسات الأكاديمية المعاصرة بكل جدارة واستحقاق.

وهذا ما يتضح من خلال بحثه عن العناصر المشتركة في الاستنباط، والتي بحث فيها القواعد الأساسية، التي يعتمد عليها الفقيه في الاجتهاد الشرعي، وتقسيمه منهج البحث في هذا الكتاب، حيث تناول الأدلة وتعارضها، بعد أن قدم تعريفاً مستوعباً لكل دليل.

أعطى الشهيد الصدر في هذا الكتاب صورة شاملة عن علم الأصول بحيث انه أزال عنه الغموض التقليدي الذي غطاه لقرون عديدة من الزمن، وهذا لوحده يعد إنجازاً علمياً مهماً، خصوصاً وأن هذا العلم أرهق كبار العلماء على مدى التاريخ.

وفشلت محاولات كثيرة، في إيضاحه وتطويره بما ينسجم مع لغة العصر، حيث انتهت بعض تلك المحاولات الى مزيد من التعقيد. علينا أيضاً أن نسجل أن الفترة التي قدم فيها الامام الشهيد كتاب «المعالم الجديدة للأصول»، كانت دائرة الإهتمام بهذا العلم، في حدود التخصص الحوزوي الصرف، غير أنه «مُدْرَسٌ» استطاع ان يفرضه في الدائرة الثقافية العامة. وقد انعكس ذلك على الأوساط الثقافية الإسلامية، حيث تشهد حقائق الواقع ان دائرة المهتمين بهذا العلم إتسعت بعد ان طرح الإمام الشهيد هذا الكتاب في الستينات من القرن الميلادي المنصرم.

ثم طرح فيما بعد كتابه القيم «دروس في علم الأصول»، وهو يعد أحد إنجازاته العلمية الكبيرة. وكان له دور بارز في تطوير البحث الأصولي على مستوى المضمون، واللغة، والمنهج، والسعة

والشمول، وسرعان ما إنتشر في الأوساط المعنية، وفرض نفسه في الحوزات العلمية في مختلف مواقعها.

وإذا أردنا في هذا المجال أن نستعرض بصورة موجزة ومكثفة أهم النظريات الأصولية والمباني التي خالف فيها الإمام الشهيد الصدر الإتجاه التقليدي السائد والمشهور في علم الأصول، فإننا نقف على أهم الافكار والنظريات الآتية:

أولاً: رأيه في حجية القطع

حيث يرى الشهيد الصدر «رحمته الله» أن القطع ليس له حجية ذاتية تدور مدار القطع ذاته، كما يرى ذلك علماء الأصول في الإتجاه التقليدي المشهور، إنما حجية القطع تدور مدار مولوية المولى وحقه في الطاعة. فإذا كانت المولوية ثابتة ثبتت الحجية أيضاً ولو بدرجة دون القطع، ويكون الأصل هو الاحتياط. وهذا الرأي يشكل اتجاهاً جديداً في علم الأصول المعاصر، يخالف الرأي التقليدي الذي ألفتة الحوزات العلمية لفترة طويلة من الزمن.

ثانياً: قاعدة قبح العقاب بلا بيان أو «مسلك البراءة العقلية»

وهذه النظرية تعبر عن الاتجاه المشهور والمسلك المعروف عند علماء الاصول المعاصرين، إلا أن الامام الشهيد الصدر أنكر هذا الاتجاه، وجاء بمسلك جديد أسماه «رحمته الله» «مسلك حق الطاعة» وهو المسلك الذي يستند إلى نظريته في شمول مولوية المولى حتى إلى التكاليف الاحتمالية.

وعلى هذا يجب على المكلف أن يطيع المولى في التكاليف اليقينية والاحتمالية على حد سواء، ما لم يرد ترخيص خاص من المولى سبحانه، وتنعكس آثار هذا المسلك على مسائل وأبحاث منها: بحث العلم الإجمالي وفروعه وتفصيله.

ثالثاً: السيرة العقلائية، وسيرة المتشعبة

لقد تمسك علماء الأصول بالسيرة العقلائية وسيرة المتشعبة منذ القدم، واعتمدوا على هاتين السيرتين في استنباط الأحكام الشرعية، إلا إنهم لم يبحثوا في الأساس النظري الذي يوضح حدود هذه السيرة وشروط الاعتماد عليها، وبيان الفرق العلمي والعملية بين هاتين السيرتين بشكل مستقل ومفصل.

غير أن الشهيد الصدر يعدُّ أول من بحث في هاتين السيرتين ضمن منهجه العلمي المتميز ونظريته القائمة على حساب الاحتمالات، حيث بحث «رحمته» فكرة التمسك بالسيرة بحثاً رائعاً يقوم على أساس تحديد مفهومها وحدودها وحجتها وآثارها وعلاقة ذلك بالنظريات الأخرى: كبحث «حجية خبر الثقة» وبحث «حجية الظهور».

رابعاً: الجمع بين الحكم الظاهري والواقعي

وهذا البحث من البحوث المعقدة في علم الأصول وقد كثرت فيه الآراء والنظريات كمحاولات للجمع بين الحكمين الظاهري والواقعي.

أما الشهيد الصدر فقد جاء بابداع جديد يختلف اختلافاً جذرياً مع مناهج البحث السائدة في علم الأصول، إذ أبرز «رحمته» نوعاً آخر من أنواع التزاحم بين الأحكام أسماءه، بالتزاحم الحفظي، أي حفظ ملاكات الأحكام الواقعية في دائرة شك المكلف. كما أنه يفسر الأحكام

الظاهرية بأنها ترجيح من قبل المولى تبارك وتعالى لبعض الملاكات الواقعية على بعض عند وقوع هذا التزاحم، وبهذا تحل مشكلة الجمع بين الأحكام الظاهرية، والأحكام الواقعية.

وينعكس هذا المنهج في علم الأصول على حقيقة الفرق بين الأمارات كخبر الثقة والأصول العملية كالأستصحاب ونحوه، وينعكس كذلك على بحوث ومساائل أخرى. هذه أهم النظريات التي أبدعها يراع الشهيد الصدر رحمته الله في علم الأصول.

وهناك نظريات أخرى لا يسعنا التفصيل فيها في هذه المقدمة من قبيل بحثه العميق في العلم الإجمالي وتفسيره، وتوفيقه بين مسالكه المتعددة وانعكاس ذلك على عملية الاستنباط الشرعي، واختياره الخاص لتعريف علم الأصول وتحقيقه الرائع في نشأة اللغة وتفسيره لحقيقة «الوضع» وابتكاره نظرية جديدة أطلق عليها نظرية «القرن الأكيد».

هذا بالإضافة إلى تحليله الفني للمعاني الحرفية ومفهوم «الترتب» و«التزاحم»، وقاعدة «لا ضرر ولا ضرار» وغير ذلك من المسائل التي كثر البحث حولها في علم الأصول.⁽¹⁾

«وجامعة الامام جعفر الصادق» التي هي نفحة من نفحات روح الشهيد الصدر الطاهرة، إذ تقدم هذا الكتاب وتعدّه ليكون مقروا دراسياً لطلبتها الأعزاء في كلية القانون، ترجو أن يكون لمسة وفاء

(1) للمزيد من الإطلاع على آراء وأفكار الإمام الشهيد الصدر ونظرياته في علم الأصول، يراجع كتابه «دروس في علم الأصول» أو تقاريره ببحثه، التي كتبها تلميذاه آية الله السيد الخائري «دام ظلّه» وآية الله السيد محمود الهاشمي «حفظه الله».

للإمام الشهيد الصدر ودمائه الزكية، وخدمة لمدرسته ومنهجه المحكم، ونشراً لأفكاره ونظرياته التي ما زالت مادة خصبة للبحث والدراسة والاكتشاف، ليس في الأوساط الأكاديمية في الجامعات والمعاهد العلمية فحسب إنما في نطاق الحوزات العلمية كذلك.

وإنه لشرف عظيم لمؤسسة دار الاسلام الثقافية الخيرية -الجهة المعتمدة- لجامعة الإمام جعفر الصادق عليه السلام ان تكون صاحبة المبادرة والسبّاقة في خدمة فكر وتراث الشهيد الصدر، وتعميق مرتكزات مدرسته الفذة، حيث أصدرت ومنذ تأسيسها عام ١٩٩٢م عدة مؤلفات ودراسات وبحوث في هذا المضمار.^(١)

ونود الإشارة إلى إننا قمنا بإجراء تصحيحات للأخطاء المطبعية في الكتاب، ووضع بعض الهوامش الضرورية، كما أجرينا بعض التعديل الفني في فهرس الكتاب وذلك بتقديم البحث المتعلق بتاريخ علم الأصول في القسم الأول ليكون مدخلاً طبيعياً للكتاب. قبل الدخول في قسميه الأول والثاني. وهذا الإجراء كان ضرورة فنية اقتضاها المنهج والسياق في تسلسل موضوعات الكتاب وبحوثه، من أجل تنظيم فهرسه وسهولة مراجعة بحوثه ومطالبه من قبل الطلبة والاستاذ على حد سواء.

وفي نهاية هذه المقدمة تتقدم جامعة الامام جعفر الصادق عليه السلام بوافر شكرها وتقديرها لسماحة الأخ العلامة السيد محمد جعفر الصدر نجل

(١) لقد صدر عن مؤسسة دار الاسلام عدة كتب ودراسات منها: محمد باقر الصدر: - دراسات في حياته وفكره، لنخبة من الباحثين وكتاب: فلسفة الصدر للدكتور الجزائري محمد عبد اللاوي، وكتاب المرجعية الدينية من الذات الى المؤسسة / حسين بركة الشامي / ومجلة الفكر الجديد الفصلية التي اهتمت بنشر فكر وتراث الشهيد الصدر، وغير ذلك من الدراسات والمقالات والبحوث.

سيدنا الإمام الشهيد وعائلته المكرّمة على إبداء الموافقة والترحيب
بإعادة طبع كتاب المعالم الجديدة للاصول.

نسأل الله تعالى أن ينفع بهذا الكتاب المبارك الذي كان بالأمس
مغموراً فأصبح بحمد الله منصوراً. وأن يكون مادة دراسية خصبة لطلبة
وطالبات جامعة الإمام جعفر الصادق عليه السلام ومصدراً ثقافياً ومعرفياً
لغيرهم من طلبة الجامعات الأخرى في العراق وخارجه. انه ولي
التوفيق وهو حسبنا ونعم الوكيل. والحمد لله رب العالمين.

غرة ربيع الثاني ١٤٣٢ هـ

« المقدمة الثانية »

فلسفة الصدر

دراسات في مدرسة الامام الشهيد الصدر الفكرية

قَالَ تَمَّالِي: ﴿ قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لَكَلِمَتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ نُنْفِذَ كَلِمَتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ﴾ (١٠٩) ﴿ الكهف ﴾

الإمام الشهيد السيد محمد باقر الصدر أكبر من أن يحيط به عنوان ، أو تستوعبه دراسة ، فهو مدرسة متكاملة برزت في عالم الفكر في واحدة من فترات الركود الإسلامي لتعكس قوة الفكر الإسلامي وقدراته الإبداعية المعطاءة.

والذي يميز مدرسة الإمام الصدر أنها لم تتكامل ببطء ، ولم تسر في خطٍ تصاعدي ، كما هي عادة المفكرين وأصحاب المدارس الشاخصة في الحياة العلمية ، إنما ولدت عملاقة كبيرة متحدية ، وهذا هو سر العظمة في شخصية السيد الشهيد ، وفي قوة مدرسته الفكرية والحركية.

لقد تعامل السيد الصدر مع قضايا الفكر الإسلامي بنظرة كلية شاملة تتحركة وفق منهج دقيق سار عليه في كل نتاجاته الفكرية ، وحركته التغييرية في الإصلاح والتجديد ، مما جعله يقدم نتاجاً هائلاً خدم الواقع الإسلامي في مختلف الأصعدة والمجالات.

فالسيد الصدر تعامل مع الواقع كله على أنه مترابط الحلقات والأجزاء، وأنه يشكل وحدة موضوعية في نهاية الأمر، ووفق هذه المنهجية الكلية والنظرة التغييرية الواقعية قدم نتاجاته ذات الأثر العلمي الكبير في الاقتصاد، والسياسة، والفلسفة، والمنطق، وعلم الأصول والفقه، والتاريخ والتفسير، والمفاهيم الحركية والأخلاقية وغيرها.

ولأنه كان صاحب منهج كلي شامل لذلك جاءت مؤلفاته في القمة في هذه الحقول التي طرقها، وظلت منجزاته المعرفية تحتفظ ببريقها وتمتع بأصالتها عبر الزمن، رغم أن عادة الأيام أن تمحو بريق القديم، لكن نتاج الصدر ظل جديداً على الدوام وكأنه صادر لتوه.

ورغم مرور أكثر من ثلاثة عقود على إستشهاده رحمه الله وظهور الكثير من الدراسات والبحوث والكتب والدوريات، وإقامة العديد من المؤتمرات والندوات حول شخصيته وأفكاره.

فإن الجميع الذين يعرفون منزلة الصدر الفكرية يعترفون أن دراسة آفاق هذه الشخصية العملاقة المدهشة لم تستكمل بعد، وإن مجال الكتابة والبحث حولها لا يزال مفتوحاً، وإنه بحاجة إلى مزيد من الدراسة والبحث والمتابعة.

بل إننا نعتقد أن بعض منجزاته كأسس المنطقية للإستقراء مثلاً لا يزال كتاباً مغلقاً على صفوة النخبة وهو بحاجة إلى من يفتحه لعموم المثقفين والباحثين ليكتشفوا مرتكزات منهجه في حساب الإحتمالات ونظرية المنطق الذاتي والتوالد الموضوعي للمعرفة الإنسانية.

ولقد كان منهجنا في مؤسسة دار الإسلام الثقافية التي أخذت على عاتقها الإهتمام بفكر السيد الشهيد الصدر وإحياء تراثه هو التأكيد

على هذه النقطة لإيماننا بأن مدرسة الصدر هي المدرسة التي تعيد الإسلام إلى الواقع العام، وتجعله يتحرك مؤثراً ومغيراً ومصلحاً، وهذا ما جعلنا نتبنى ضرورة إحياء مدرسة الشهيد الصدر في هذه المؤسسة ومن خلال مجلتها الدورية «الفكر الجديد».

وتبني بشكل متزايد ومستمر البحوث والدراسات المتعلقة بشخصية الإمام الشهيد الصدر التي مثلت لوحدها مرحلة قائمة بذاتها في مسار الفكر الإسلامي ليس في العراق فحسب.

بل في المنطقة والعالم الإسلامي، حتى أننا نستطيع القول أن شخصية الشهيد الصدر أصبحت معلماً يفصل بين مرحلتين هي مرحلة ما قبل الصدر ومرحلة ما بعده.

وضمن هذا المنهج المعتمد لدى مؤسسة دار الإسلام الثقافية التي هي نفحة من روح الصدر الطاهرة تقدم كتابها السنوي الثالث «فلسفة الصدر» بعد كتابها السنوي الأول «محمد باقر الصدر.. دراسات في حياته وفكره» للنخبة من المفكرين والباحثين.

والكتاب الثاني «المرجعية الدينية من الذات إلى المؤسسة» للسيد حسين بركة الشامي.

إن كتاب فلسفة الصدر يعكس موقع الإمام الشهيد السيد محمد باقر الصدر في العالم الإسلامي وفي الشمال الأفريقي على وجه الخصوص، فمؤلفه الأستاذ الدكتور محمد عبد اللاوي عضو الهيئة الاستشارية لمجلة الفكر الجديد، وهو رئيس قسم وحدة البحث العلمي في جامعة وهران، ومن أساتذة الفلسفة البارزين في الجزائر.

وقد كرس سنوات طويلة من حياته العلمية في دراسة أفكار وتراث الإمام الشهيد الصدر، وكتبَ بحوثاً معمقة ضمها هذا الكتاب الذي يجد فيه القارئ الكريم افقاً رحباً وجديدة من مدرسة الإمام الشهيد الصدر الفكرية.

وكتاب فلسفة الصدر يشكل مساهمة جادة في مجال دراسة هذه الشخصية العظيمة والمنجزات العلمية التي قدمت للإمة وللفكر الإسلامي الكثير من العطاءات والإبداعات.

إذ يعبر هذا الكتاب للدكتور اللاوي عن دراسات موضوعية ليست من خارج الذات العلمية ولم تكتف بدراسة الشكل والسطح لمدرسة الشهيد الصدر، إنما هي دراسة عميقة لطريقة تفكير الصدر ومعالم منهجه وحتى لمشاعره الوجدانية، وهو بحوث قلّ نظيرها في مناقشة أهم النظريات والآراء في الفقه والتاريخ والفلسفة والأخلاق، ودستور الدولة، ومعطيات الحضارة.

« المقدمة الثالثة »

محمد باقر الصدر

دراسات في حياته وفكره

الامام الشهيد السيد محمد باقر الصدر «رحمته الله» يشكل ظاهرة متميزة في عالم الفكر الاسلامي المعاصر، وفي مسيرة الحركة الاسلامية العالمية.

فلقد انطوت شخصيته الفذة على العديد من الابعاد التي برز فيها عنصر الأبداع والريادة والتجديد في الحقول المختلفة من حقول المعرفة الاسلامية والانسانية.

فقد كان الامام الصدر مرجعاً دينياً حمل لواء التغيير والأصلاح في المؤسسة الدينية «الحوزة العلمية».

وأعطى للمرجعية القائدة صورتها المشرقة في استيعاب لمشكلات الفرد المسلم والامة المسلمة وحاجتها الى الحل الاسلامي الذي يحقق الأنسجام مع الشريعة السمحة ومتطلبات الواقع المتجدد.

وكان المفكر الاسلامي الذي نقل واقع المواجهة الفكرية بين الأسلام وغيره من الفلسفات والعقائد والافكار الاخرى، من خندق الدفاع الى ساحة التحدي والمواجهة، فطرح الاسلام بديلاً حقيقياً

يشبع حاجات الانسانية المتعطشة وينقذها من التيه والضلال الذي تتخبط فيه.

وكان الداعية الرائد، الذي خطط بوعي وبصيرة، في حمل هموم الدعوة الاسلامية وايصالها الى اوسع قطاعات الامة، وتعبئة الجماهير حول المنهج الاسلامي القويم.

وكان فوق ذلك كله، القائد المجاهد الذي تصدى لأعتى نظام شهده عالمنا اليوم، بشجاعة قل نظيرها، ودافع عن أمته وشعبه وكرامته.

وقدّم دمه الزكي قرباناً في طريق كسر القيود والاغلال التي حاول الطغاة تكبيل إرادة الامة بها ومسخ شخصيتها الاسلامية، وسلب إرادتها الحرة.

كان الامام الصدر، ضمير الامة الاسلامية الحي، وقلبها النابض، وعقلها الواعي، وفكرها المبدع. فاستطاع خلال سني عمره القصير أن يقدم لامته الشيء الكثير النادر، وان يعطيها الثر الفذ، وان يوصل ماضيها بحاضرها ومستقبلها.. لقد ادرك قيمة الامام الصدر، القلة الواعية من أبناء أمتنا الذين وجدوا فيه النموذج الامثل، والزيد الذي لا ينضب في معاركهم الفكرية والسياسية مع أعداء الاسلام..

وجدوا فيه الموقف الجهادي الذي لا يساوم، والمنهج الفكري الذي لا يُهزم، والروح الكبيرة التي تفيض حباً وحناناً.. وجدوا فيه الاب الحاني والقائد المقدم ففدوه بأرواحهم. ونذروا أنفسهم للسير في دربه المضمخ بالدم، واكمل شوطه الصعب الطويل.

كما عرف منزلة الصدر أعداءه الكثيرون، الذين وجدوا فيه خطراً يهدد مصالحهم، والعقبة الكأداء في طريقهم، والسد المنيع أمام مخططاتهم في استعباد الأمة المسلمة واضلالها. فخططوا للقضاء عليه، وتصفيته، وأتى لهم ذلك، فلم يعد الصدر فرداً يموت بقتله.

بل أصبح خطأً فكرياً يضرب عميقاً في وجدان الأمة، ونهجاً جهادياً يستعصي على محاولات التدجين، وامة تعشق الشهادة ولا تهاب الموت..

نعم تحول الصدر الى قضية يحملها الدعاة الاسلاميون في كل مكان.. وانشودة يرددوها الثائرون على الظلم والطغاة في كل زمان وأن..

و «مؤسسة دار الاسلام» التي هي ثمرة من عطاءات الامام الشهيد الصدر، ونفحه من روحه الطاهرة، يسرها ان تقدم باكورة إنتاجها الثقافي.

وأن تخصص كتابها السنوي الأول عن حياة الامام الشهيد السيد محمد باقر الصدر وعطاءه للامة الاسلامية ومدرسته الفكرية ذات الآفاق الرحبة. والذي شارك في اعداده نخبة من الكتاب والباحثين الاسلاميين الذين فهموا الصدر وأحبوه، عرفاناً بالجميل الذي أسداه الصدر لهم ولكل المسلمين.

ولا بد هنا ان نتوجه بالشكر والثناء والتقدير للاخوة الكتاب والباحثين على دراساتهم الموضوعية وجهودهم العلمية التي بذلوها من أجل الاحاطة بالجوانب المشرقة لحياة الامام الشهيد الصدر.

وابراز العالم الحية لمدرسته الفكرية والسياسية وابعادها المتعددة.
كما نشكر جميع الاخوة والاصدقاء الذين ساهموا بجهودهم المعنوية
والفنية في اخراج هذا الكتاب بهذه الصورة الجميلة.

سائلين العلي القدير ان يتقبل هذه الجهود المباركة وان يسدد خطى
العاملين لخدمة الاسلام وأهله انه ولي التوفيق.

لندن - ١٤١٦هـ

الصدر الثاني .. دراسات في فكره وجهاده

أثارت مرجعية السيد الشهيد محمد محمد صادق الصدر رحمته الله ردود فعل متفاوتة على جميع الصعد التي طاولها تأثير هذه الحركة القائدة، وقد تباينت ردود الفعل هذه بين السلب والإيجاب نظراً للظروف المعقدة التي أحاطت بانطلاقته التي فاجأت الوضع الثقافي والسياسي والإجتماعي في العراق وخارجه. ولئن كان الجو العاطفي طاغياً على الكثير من الفعاليات السياسية والثقافية التي رصدت هذه المرجعية وتفاعلت معها، ووضعتها في دائرة الضوء، فإن منظومتنا الثقافية التي لها دور كبير في تشكيل العقل المعاصر، تبقى بحاجة إلى المزيد من الرؤى المتوازنة، والحيادية في تحديد معالم حركة الواقع من أجل أن تبقى الرؤية الواعية حاضرة ومنسجمة مع إفراسات ومعطيات تجربة الصدر وتضحياته.

ومن المؤسف إن الدراسات التي تناولت الظاهرة الصدرية بالبحث والتحليل، ظلت رهينة بُعد واحد يتلخص في الجانب الميداني فقط. فيما ظلت الأبعاد الإيجابية الأخرى من هذه الظاهرة مسكونة بالعممة وعدم الشفافية، فقد طغت صورة الشهيد الصدر.. إمام الجمعة.. لابس الكفن.. الخطيب الهاتف.. والمتحدث المتحدي.. طغت هذه الصور على الشهيد الصدر.. الفقيه العصري.. المثقف الشمولي.. الأصولي البارع.. المؤرخ الناقد.. المفسر... الكلامي.. الأمر الذي جعل

كلّ ما كتب عنه لم يف بإعطاء رؤية ولو مقارنة لواقع هذا الرجل العظيم ، وأبعاد مدرسته المتنوعة الجوانب.

و «مؤسسة دار الإسلام» حين خططت لعقد ندوتها الفكرية في الذكرى السنوية الأولى لاستشهاده عام ٢٠٠٠م لم يغيب عنها أن تكون الموضوعات المطروحة على بساط البحث شمولية متكاملة تتناسب والدور الكبير الذي لعبه في الواقع السياسي والثقافي والإجتماعي والحركي المعاصر في العراق وساحات الهجرة، فقد انعقدت هذه الندوة الفكرية بمشاركة عدد كبير من العلماء والمفكرين، والباحثين، والمثقفين، والمهتمين بالظاهرة الصدرية، لإثراء مدرسة الصدر الثاني بالبحث والتحليل والنقد والتأمل، من أجل أن تظل معلماً إسلامياً وحضارياً يرفد الكيان الكبير الذي أرسى دعائمه الأئمة الأطهار من أهل البيت عليهم السلام والسلف الصالح من التابعين.

ويُعد هذا الإصدار الكتاب السنوي الرابع من إصدارات دار الأسلام، وبين يدي القارئ جملة بحوث ومقالات الندوة المذكورة التي جمعت بين طيات هذا الكتاب مع إضافة بعض الملاحق الضرورية، لعلّه يجد فيها ما يكشف الستار عن فترة مهمة من تاريخ العراق حين التحمت فيها الأمة مع القائد، وذاب القائد في الأمة، ليشكل الجميع حركة واعية تنسجم مع حركة التاريخ وسننه التي قدرها الله سبحانه وتعالى.

سائلين المولى سبحانه أن ينصر أمتنا في العراق وأن يأخذ بخطى الجميع إلى دروب الخير والصلاح إنه الهادي إلى سواء السبيل.

شوال ١٤٢٢هـ

النقد اللغوي عند العرب حتى نهاية القرن السابع الهجري

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ
عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطَّاهِرِينَ وَأَصْحَابِهِ الْمَرْضِيِّينَ. وبعد :

قال تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ ۝١ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ۝٢ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ۝٣ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ۝٤﴾ ﴿الرحمن﴾ .

على الرغم من أن النقد اللغوي هو أساس النقد الادبي ، الا أنه لم يلقَ أهتماماً من معظم النقاد والباحثين في مجال الادب العربي ، فقد طغى النقد الادبي عليه بشكل واضح ، لدرجة ان القارئ العربي لم يعد يرى إنتاجاً مهماً في هذا المجال طوال عقود من الزمن .

لقد سجل النقد الأدبي قفزات كبيرة ، وشهد تطوراً هائلاً أسهم في توجيه الحركة الادبية شعراً ونثراً ، لكن هذا التطور كان على حساب تراجع ملحوظ في النقد اللغوي ، حتى بدا وكأنه غريب في ساحة الأدب ، وأنذرت ندرته وبأنه قد ينزوي ذات يوم ، فيصبح شيئاً من التراث ، وفي زمن شهد القمة في العطاء النقدي على مستوى العالم العربي بأسره ، وراقب بنفس الوقت ضموراً مخيفاً في النقد اللغوي ، وقف الاستاذ الدكتور نعمة رحيم العزاوي ليطلق صرخته البحثية المتحدية من خلال كتابه القيم وأطروحته العلمية الرائدة ، « النقد اللغوي عند العرب حتى نهاية القرن السابع الهجري » ، والى جانب كون البحث ينطوي على صعوبات بالغة ، فانه كان يمثل مجازفة ثقافية أمام تيار النقد الادبي .

ففي السبعينات والثمانينات من القرن الميلادي الماضي كان المهتمون بالأدب مغرمين بمتابعة عناصر الابداع في النص الأدبي، وكانت موجة الحداثة تدفع بهذا الاتجاه دفعا شديداً، فكان الناقد يجد نفسه أمام متابعة حثيثة لعناصر النص، وتشكيلاته، وملاحمه، وصوره، وفكرته، وبدون قصد منه، فقد تحول الناقد الى متابع يجري وراء النص، وتدرجياً بدأ يفقد قدرته على توجيه الابداع الأدبي من خلال مهمته النقدية.

وكتيجة طبيعية لذلك لم يعد النقد اللغوي يمثل الا حيزاً يسيراً من المساحة النقدية المتزايدة. في تلك الاجواء قرر العلامة الدكتور العزاوي أن يثبت علامة طريق كبيرة، علامة تحذيرية على مستقبل الابداع العربي، والمخاطر التي تهدده، فكانت أطروحته في بحثه العلمي الذي سجل حقائق النقد وجذوره، وأهمية النقد اللغوي في حركة النقد الادبي. بأعتبره يمثل الاساس والاطار لكل حركة نقدية في عالم اللغة ونصوصها الأدبية.

قد يكون الأهم في محاولة العزاوي هي الجرأة في مواجهة التيار وتقديره حقيقة ان النقد اللغوي مقدم على الأدبي وأنه الجذر والأساس، ولن يكتمل النقد الأدبي بكل مفرداته ومسمياته من دون الاستناد الى النقد اللغوي والاهتمام به كضرورة متقدمة من ضرورات النقد عموماً.

وقد رأيت فيما قدمه الأستاذ العزاوي، أنه فتح باباً كان موصداً قروناً من الزمن، عندما سعى الى أن يكون النقد اللغوي موجهاً لحركة الابداع ورقياً عليها وضامناً سلامة النص، وبالتالي فقد حاول أن يحمي اللغة العربية من طوارئ اللحن والركاكة، وهي الظاهرة التي

برزت خلال الفتوحات الاسلامية والتفاعلات الثقافية والاجتماعية بين العرب والشعوب الأخرى التي دخلت في الاسلام.

وكانت نتائجها سبباً في تأسيس علم النحو، وكانت أيضاً سبباً في تطور النقد اللغوي في تلك الفترة، كما أنتجت عباقرة فقه اللغة ورجال المعاجم العربية في تاريخنا العلمي والثقافي.

إذن فالمحاولة ليست أطروحة نظرية أو دعوة تجريدية للعودة الى الماضي فحسب، كما قد يتصورها البعض أول وهلة، إنما هي محاولة واقعية لتفعيل وتقويم حركة النقد الأدبي وتطويرها باتجاه المزيد من القوة والنشاط، فعندما يلتحم النقد اللغوي بصنوه الأدبي.

فأنه يتحول إلى مانح مؤثر في حياة النص، وهذا هو المطلوب من العملية النقدية عموماً، فالخدمة التي يقدمها النقد للنص، انه يبعد عنه زحف الجمود، ويحافظ على حيويته وعطائه واستمراريته، ويفتح أمامه أفق التطور الدائم.

من وجهة نظر شخصية أرى أن الابداع الأدبي شعراً ونثراً يكون أكثر متانة وثباتاً، عندما يخضع لرعاية النقد اللغوي، ويكون أكثر إستعداداً على التطور والنماء عندما يحظى برعاية النقد الأدبي. وعلى هذا فأننا قد نكون قد أسسنا لحركة نقدية واسعة ومؤثرة اذا استطعنا أن نحقق المزيج المنسجم بين النقيدين، على أن تكون العلاقة بينهما علاقة العمق بالامتداد، بحيث يصل الحال الى أن مفردة النقد الأدبي تعني ضمناً النقد اللغوي. وبذلك نكون قد وضعنا الحركة النقدية على مسار بعيد المدى، يسهم في إثارة الأبداع وتطوير المنجزات الأدبية على مستوى الشكل والمضمون. وقبل نهاية هذا التقديم لكتابه الجليل

« النقد اللغوي عند العرب حتى نهاية القرن السابع الهجري » أود أن اقدم للقارئ الكريم بعض المحطات السريعة عن الحياة الشخصية والادبية للأستاذ الدكتور العزاوي وبعض إنجازاته العلمية والثقافية.

فقد ولد الأستاذ الدكتور العزاوي في مدينة الحلة وسط العراق عام ١٩٣٦م. وأكمل دراسته الابتدائية والثانوية بتفوق في مسقط رأسه هناك.

وفي أثناء هذه الدراسة ظهرت عليه رغبة مبكرة في ارتياد مجالس العزاء الحسيني التي كانت تقام في المساجد والحسينيات في مدينة الحلة ومحلاتها الشعبية، ثم قامت في نفسه رغبة شديدة من أن يشارك في هذه المجالس بألقاء القصائد والكلمات في مراثي السبط الشهيد الامام الحسين عليه السلام.

وتطورت هذه الارادة والرغبة في أن يكون يوماً ما أحد خطباء المنبر الحسيني لما يمتلكه من صوت رخيم وجرأة أدبية وحافظة قوية، وحباً إلى درجة العشق لسيد الشهداء ملحمته الخالدة في كربلاء.

وخلال ذلك كان يحفظ كثيراً من قصائد الرثاء الحسيني لكبار الشعراء، ولا سيما لشعراء الحلة كالسيدين الجليلين السيد حيدر الحلبي والسيد جعفر المعروفين بشعرهما الحسيني المتميز بالشجى واللوعة، وقصائد الشيخ صالح الكواز وغيرهم من الشعراء.

ولما أكتملت لديه أدوات الخطابة وعدة الخطيب، بدأ يرتقي المنبر الحسيني الشريف مع بعض الخطباء المعروفين في ذلك الزمن الذي كان بمثابة العصر الذهبي للمنبر الحسيني، وشجعه في ذلك معظم الأدباء

والمثقفين في الحلة يومذاك ودفَعوه أن يرتقي المنبر ويقرأ في مجالسهم بالرغم من أنه لم يزل شاباً يافعاً.

لم يستمر الدكتور العزاوي في مسلك الخطباء فبعد إكماله للدراسة الثانوية دخل دار المعلمين العالية عام ١٩٥٤ ، وبعدها إشتغل بالتعليم الثانوي في مدينة الحلة ، وفي هذه المدة أوفد الى العربية السعودية مدرساً في معهد المعلمين في الرياض بين عامي ١٩٦٨ - ١٩٧١ م.

وحصل بعدئذٍ على شهادة الماجستير في اللغة والنحو عام ١٩٧٤ م بتقدير إمتياز. ثم حصل على شهادة الدكتوراه عام ١٩٧٧ م بتقدير «إمتياز» ايضاً وكانت أطروحته هذا الكتاب. وكانت هذه الدراسة بإقتراح الاستاذ الدكتور الناقد علي جواد الطاهر^(١).

وقد لقيت هذه الاطروحة في البداية رفضاً من أساتذة الجامعة المعنيين ، وأثارت جدلاً في الوسط العلمي الا أن الدكتور العزاوي أصرّ على رؤيته العلمية وواصل طريقه الصعب حتى أكملها و أنتزع الاعتراف من الجميع بقيمتها وأهميتها. فقد ملأت فراغاً كبيراً في موضوعها.

(١) الدكتور علي جواد الطاهر من مواليد ١٩١٩ في مدينة الحلة وتوفي في بغداد ١٩٩٦ ودفن في مقبرة جامع براثا. وكان استاذاً كبيراً وباحثاً أليماً قدم الكثير للمكتبة العربية وكانت للعزاوي علاقة خاصة بالدكتور الطاهر تتجاوز علاقة التلميذ باستاذة وتقرب من علاقة الأبن بأبيه ، وقد كان يرعاه في المواقف الصعبة في حياته الشخصية والعلمية. أسوة بمتابعته لطلبته المتميزين بالرعاية والعناية. لان ذلك في نظره من وسائل خدمة الدين و الوطن.

ومن الجدير بالذكر أن هذه الاطروحة خضعت للتقييم العلمي داخل العراق وخارجه. إذ قرّضها بدراسة رائعة الأستاذ الدكتور إبراهيم أنيس^(١) وهو من أجّل علماء مصر في اللغة والنقد.

وبعد الدكتوراه اشتغل العزاوي مباشرة في ديوان وزارة التربية وشغل عدة وظائف علمية منها مدير المناهج والكتب، وعميد معهد تطوير تدريس اللغة العربية، وهاتان الوظيفتان أتاحتا له أن يتعرف المناهج الدراسية ونقاط ضعفها، وكيفية تأليفها وتطوير هذا المعهد بما يقرب اللغة العربية من أبنائنا وبما يبصر معلمها ومدرسيها بالجديد والمستحدث من طرائق تدريس اللغات، ولا سيما اللغة العربية.

وبهذا فتحت آفاق رحبة للأستاذ العزاوي، وقد ترجم هذه الآفاق الخصبية الى منجزات علمية، ومشاريع تربوية ذات علاقة بالتأليف اللغوي وطرائق تدريس العربية، فأصبح له تخصص آخر إضافة الى تخصصه في أصل اللغة وآدابها. ثم عين خبيراً في معهد التدريب والتطوير التربوي.

وفي عام ١٩٨٧ نقل الى جامعة بغداد وعين تدريسياً في كلية التربية «إبن رشد» وحصل على درجة الأستاذية عام ١٩٩٥ وأختير عضواً في دائرة علوم اللغة العربية في المجمع العلمي العراقي، وعضواً في لجنة المصطلحات في المجمع المذكور.

ثم درّس في المراحل الجامعية الثلاث، مرحلة البكالوريوس «الليسانس» والماجستير والدكتوراه، وأشرف على عدد غير قليل من

(١) الدكتور إبراهيم أنيس من علماء اللغة الكبار في مصر وكان عضواً في مجمع اللغة العربية في القاهرة.

رسائل الماجستير والدكتوراه، وناقش عدداً آخر منها وبعد ذلك أحيل على التقاعد نهاية عام ٢٠٠٨م، وكان يمارس نشاطه العلمي لطلبة الدراسات العليا ويشرف على رسائلهم وأطاريحهم في مختلف الجامعات.

وبتاريخ ١٥ / ١٠ / ٢٠١١ قرر مجلس جامعة الامام جعفر الصادق عليه السلام اختيار العلامة الدكتور نعمة رحيم العزاوي رئيساً لهذه الجامعة وهي اكبر جامعة أهلية في العراق، لما يتمتع به من عقلية علمية وخبرة إدارية وشخصية ذات مميزات أخلاقية واجتماعية عالية.

كانت فرحته كبيرة حينما نقلتُ له رغبة مجلس الجامعة في هذا الخصوص، حتى انه عبر عن مشاعره إزاء هذا التكليف من خلال مقال كتبه بعنوان «تشريف وتكليف» نشرته جريدة «آفاق الجامعة».

وقد عقد العزم في هذا المقال على ان يبذل قصارى جهده في خدمة هذا الصرح العلمي الشامخ الذي كان حلاماً يراوده منذ شرح شبابه لما يحمله من هوية مقدسة وأمل واعد لاحتضان الشرائح المحرومة من فرص التعليم في الحقبة البعثية المظلمة.

وكان وجوده في رئاسة الجامعة مباركاً وعاملاً من عوامل الاحياء والتحفيز لعلوم اللغة وتراث الاسلام وفكر مدرسة أهل البيت عليهم السلام، ولا ننسى طرائفه وظرائفه التي تذكرنا بالسلف الصالح من العلماء وحملة التراث.

وقد صدرت للاستاذ العزاوي كتب ودراسات عدة اثبتنا كشافاً خاصاً بها في آخر «المقدمة» من خلال السيرة العلمية التي دونها بقلمه.

وأخيراً أسجل إعجابي بالعمل المشير الذي قدمه الدكتور نعمة رحيم العزاوي في هذا المنجز العلمي الرائع الذي يعدُّ بحق مفتاحاً رئيسياً يفتح أبواب المعارف يحملها للباحثين في علوم الاسلام، وثقافة المسلمين يضاف إلى منجزاته الابداعية الأخرى لدفع حركة الثقافة النقدية والأدبية في عالم اللغة والتراث.

ويا لهول الفاجعة .. فقبل أن يُرسل هذا الكتاب «الرسالة» إلى المطبعة فاجأنا نبأ نعي الاستاذ الدكتور، حيث كان يرقد في مستشفى الكاظمية، اذ توقف قلبه الكبير الذي كان ينبض بالحب والعطاء، ورحل المعلم والاستاذ ليعانق شجرة النور حيث الضياء السرمدي، وتظل آثاره وصحائفه نبراساً يضيء مسيرة الاجيال، وتفتح بوابات العلم لعقول شبابنا المتفتحة بالوعي، وقلوبهم المفعمة بالإيمان.

اما نحن فقد خيم علينا الحزن واعتصر قلوبنا الألم ولم نستطع ان نودعه الا بدموع ساخنة.

ولهذا أقول:

وكيف أقول وداعاً
وعينك بـيـتي
وكيف أقول وداعاً
ويوم رحيلك موتي
سأبقى أصلي مع الفجر شوقاً
لعلك في الحلم تأتي

نسأل الله تعالى أن يتغمد الفقيد الراحل برحمته الواسعة وأن يحشره
مع من يحبه ويتولاه نبينا محمد وآله الطاهرين. وأن يعوّض الأمة عن
هذه الخسارة الجسيمة .. أنه سميع مجيب الدعاء. ولا حول ولا قوة إلا
بالله العلي العظيم إنا لله وإنا إليه راجعون.

٢٤ شوال ١٤٣٢ هـ
الموافق ٢٢ إيلول ٢٠١١

السيرة العلمية

أولاً: السيرة :

- أ. د. نعمة رحيم العزاوي.
- ولد في الحلة عام ١٩٣٦.
- تلقى في الحلة علومه في مراحل التعليم الثلاثة.
- تخرج بدار المعلمين العالية ونال شهادة ليسانس بتقدير شرف عام ١٩٥٧ - ١٩٥٨.
- عمل في التعليم الثانوي في الحلة.
- نال شهادة الماجستير بتقدير «إمتياز» من كلية الآداب-جامعة بغداد في ٢٨ / ٢ / ١٩٧٤.
- نال شهادة الدكتوراه بتقدير «إمتياز» من كلية الآداب-جامعة بغداد في ١٩ / ٥ / ١٩٧٧.

ثانياً: الكتب المؤلفة والمطبوعة :

- ١- أبو بكر الزبيدي الأندلسي وأثاره في النحو و اللغة، مطبعة الآداب في النجف الاشرف ١٩٧٥.
- ٢- النقد اللغوي عند العرب حتى نهاية القرن السابع الهجري، دار الحرية بغداد ١٩٧٨.
- ٣- أحمد حسن الزيات كاتباً وناقداً، وزارة الثقافة والإعلام دار الرشيد ١٩٨٢.
- ٤- النقد اللغوي بين التحرر والجمود، دار الشؤون الثقافية بغداد ١٩٨٤.
- ٥- مقالات في أثر الشعوبية في الأدب العربي وتاريخه، نقابة المعلمين بغداد ١٩٨٣.
- ٦- الإملاء قواعده ومشكلاته وتطوير تعليمه، وزارة التربية ١٩٨٨.
- ٧- من قضايا تعليم اللغة العربية رؤية جديدة، وزارة التربية ١٩٨٨.
- ٨- التطبيق النحوي لمعلمي اللغة العربية في المرحلة الابتدائية جزآن، وزارة التربية ١٩٨٨.
- ٩- مظاهر التطور في اللغة العربية المعاصرة، دار الشؤون الثقافية بغداد ١٩٩٠.
- ١٠- زكي مبارك سيرته الأدبية والنقدية، دار الشؤون الثقافية بغداد ١٩٩٠.
- ١١- في حركة تجديد النحو وتيسيره في العصر الحديث، دار الشؤون الثقافية بغداد ١٩٩٥.
- ١٢- من معجم أبي حيان التوحيدي، دار الشؤون الثقافية بغداد ١٩٩٧.
- ١٣- مناهج البحث اللغوي بين التراث والمعاصرة، منشورات المجمع العلمي ٢٠٠١.
- ١٤- التعبير الصحيح، دار الشؤون الثقافية بغداد ٢٠٠١.
- ١٥- معجم الأوهام و الأخطاء في صيغ الأسماء، منشورات المجمع العلمي ٢٠٠٤.
- ١٦- أبو حيان التوحيدي لغوياً، دار الشؤون الثقافية بغداد ٢٠٠٤.

ثالثاً: من البحوث المنشورة في المجالات العلمية في العراق والوطن العربي:

نشر الباحث ما يزيد على « ٤٠ » بحثاً، منها:

- مناهج التصويب اللغوي، المورد ١٩٧٧.
- ملامح من العربية القديمة، البلاغ، عدد « ١، ٢ »، عام ١٩٧٤.
- ظواهر لغوية في عامية العراق، التراث الشعبي عام ١٩٧٤.
- لغة المتنبئ بين أنصاره وخصومه، الطليعة الأدبية ١٩٧٧.
- تطوير النحو المدرسي . المعلم الجديد ١٩٧٩.
- القافية في التراث النقدي . مجلة البصرة عدد « ٤ » ١٩٨٠.
- الجملة العربية في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة، المورد عام ١٩٨١.
- الفصيحة والفصحى، مجلة البصرة ١٩٨١.
- الخيال في العمل الأدبي، الطليعة الأدبية ١٩٨٤.
- الجانب اللغوي في جهد نازك الملائكة النقدي، الأقلام ١٩٨٥.
- دفاع عن النحو العربي، المورد عام ١٩٨٦.
- اللغة العربية وتحديات العصر، الآداب - بيروت ١٩٨٦.
- في النحو المدرسي قضايا مطروحة للمناقشة، المعلم الجديد ١٩٨٦.
- أصالة الجملة العربية وقائع ندوة جامعة الموصل - كلية الآداب عام ١٩٩٠.
- المباحث النقدية في كتاب الفسر، المورد عام ١٩٩٠.
- في الكتاب اللغوي المدرسي، مجلة الضاد ١٩٩٠.
- الجهد اللغوي في أمالي الشريف المرتضى، عددان من المورد ١٩٩٤ - ١٩٩٥.
- الجهد النقدي في أمالي المرتضى، جملة الأستاذ عدد « ١ » ١٩٨٨.
- طه الراوي اللغوي والنحوي، مجلة المجمع العلمي، «مج ٤»، ج ١، ١٩٩٧.
- العربية والدرس الحديث، مجلة لغة الضاد «ج ٢»، ١٩٩٩.
- علي جواد الطاهر واللغة العربية، آفاق عربية «١٤ - ٢»، ٢٠٠٢.
- علي الورددي واللغة العربية، مجلة الأقلام، «٥٤»، ١٩٩٩.
- قراءة لغوية في شعر عبد القادر رشيد الناصري، لغة الضاد «ج ٣»، ٢٠٠٠.
- لغة الشعر عند أبي تمام. المورد «مج ٢٩»، ع ٣، ٢٠٠١.
- المدارس النحوية بين أيدي الدارسين، المورد «مج ٢٩»، ع ٣، ٢٠٠١.

- مدرسة الكوفة النحوية الرأي الآخر ، مجلة الكوفة «مج ٥، ع ١»، ٢٠٠١.
- المعجم العربي القديم والمدونات الأدبية مثالب الوزيرين نموذجاً، مجلة المجمع العلمي «مج ٤٧، ج ٤»، ٢٠٠٠.
- الموقف من الجديد اللغوي، لغة الضاد «ج ٢»، ١٩٩٩.
- الشيخ محمد الجواد الجزائري وتيسير علوم اللغة العربية، مجلة المجمع العلمي ٢٠٠٤.

رابعاً: نشر الباحث ما يزيد على مئة مقال في الصحف العراقية(١):

خامساً: الوظائف التي شغلها:

- ١- مدير المناهج والكتب وزارة التربية علمي ١٩٨٠ - ١٩٨٢.
- ٢- عميد معهد تطوير تدريس العربية بين عامي ١٩٨٢ - ١٩٨٤.
- ٣- خبير في وزارة التربية في الأعوام ١٩٨٤ - ١٩٨٧.
- ٤- تدريسي في كلية التربية «ابن رشد» - جامعة بغداد منذ عام ١٩٨٧.

سادساً: اللجان التي عمل فيها:

- ١- الهيئة العليا للعناية باللغة العربية.
- ٢- اللجنة الوطنية للغة العربية «وزارة التربية».
- ٣- عضو دائرة علوم اللغة العربية في المجمع العلمي.
- ٤- عضو لجنة الأصول في المجمع العلمي.
- ٥- عضو لجنة المصطلحات في المجمع العلمي.

سابعاً: الإشراف على الرسائل والأطاريح:

أشرف الباحث على نحو عشرين رسالة ماجستير وخمس عشرة أطروحة دكتوراه وناقش عدداً كبيراً من الرسائل والأطاريح.

(١) الدكتور نعمة رحيم العزاوي وجهوده اللغوية، رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية التربية ابن رشد.

« المقدمة السادسة »

التشيع

نشوؤه - مراحلُه - مقوماته

ليس « التشيع » - كما يتوهم البعض - اتجاهاً مذهبياً يضاف الى المذاهب والاتجاهات الإسلامية الاخرى التي اولدتها الظروف والاحداث الاجتماعية والسياسية.

وظهرت نتيجة الاجتهادات الشخصية والفقهية والكلامية التي برزت عبر التاريخ.

بل ان التشيع هو التعبير الحقيقي عن الإسلام في عقيدته ورسالته وقيمه ومبادئه ، وهو الامتداد الطبيعي لحركة الرسالة الإسلامية في قيادة الامة ورعاية شؤونها الثقافية والاجتماعية بعد رسول الله ﷺ.

كما نصّ على ذلك الحديث الصحيح عند المسلمين جميعاً والمعروف بحديث الثقلين «إني مخلّف فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ﷺ» وغيره من النصوص والايخار الصحيحة والمستفيضة المؤكدة على هذه الحقيقة. وقد كثر في الأونة الاخيرة الحديث والكلام حول التشيع وعن مدرسة أهل البيت ﷺ، وصادر

خلال ذلك العديد من البحوث والدراسات ، مرة بداعي الاستطلاع والتعرف على الافكار والنظريات والابتكارات التي احتوتها هذه المدرسة الرائدة في تاريخ الإسلام.

ومرةً بداعي التشويه وإحداث الفرقة واشاعة روح التعصب والحساسية بين المسلمين وهي النسبة الكبيرة من هذه البحوث والدراسات.

ومما يثير الاستغراب والعجب اننا نجد لدعاة الفتنة والاثارة والتكفير مصادر اسناد ودعم هائلة ومنها وسائل الاعلام والصحافة التي تحولت وللأسف الشديد الى منابر لتسويق التحريف والتزييف على مدرسة اهل البيت عليهم السلام وأتباعها في مختلف بقاع العالم.

كل هذه الجهود الاعلامية من أجل التحذير من التشيع والحد من تأثيرات هذه المدرسة الاصلية الفكرية والروحية في حياة الأمة وبالتالي تحجيمها واقصائها عن الواقع الاسلامي.

ولولا جهود بعض المخلصين من ارباب العلم والحصافة الذين ركّزوا الفكر وأشاعوا الوعي في الأمة بعدم الانجرار وراء هذه الإتجاهات ذات النزعات المتطرفة ، واعتماد المصادر الاساسية الموضوعية في دراسة الشؤون العقيدية والقضايا الدينية والمذهبية ، لاضحت تلك الاطروحات المزيفة حقائق مستقرة في اذهان وعقول قطاعات واسعة من ابناء المسلمين وغيرهم.

وكتاب « التشيع » لمؤلفه آية الله العلامة السيد عبد الله الغريفي دامت بركاته ، واحد من تلك الدراسات الاسلامية القيمة التي تندرج ضمن اطار الجهود الموضوعية والتقريبية المخلصة.

وهذا الكتاب مكون من مقدمات علمية وتاريخية و فصول عدّة اتسمت بالعمق، والشمول، والتوثيق، والحياد، والموضوعية، إضافة الى كونه اتبع اسلوب التنوع في الاراء والمقولات. ونهج طريقة التحليل والمقارنة بينها، ولم يركن الى رأي أو قول مسبق في الخاطر ما لم يعضد هذا الرأي الدليل والبرهان.

وكتقريب للفكرة فهو حينما يتناول مفهوماً معيناً او موضوعاً محدداً، فان اول خطوة يقوم بها هو تعريف وشرح وتوضيح تلك الفكرة او ذلك الموضوع الى مستوى يجعل القارىء مستوعباً ومحيطاً بتمام الموضوع وعارفاً بمعناه ومضمونه، ثم يقوم بعرض اراء العلماء وذوي الاختصاص في شأنه اعتماداً على المصادر الاولى والمشهورة لدى المسلمين وبعدها يقوم بعملية التدقيق والتقويم لمستندات تلك الاراء التي ساقها وفق مصادر المدرستين «مدرسة الخلفاء ومدرسة اهل البيت عليهم السلام».

وفي نهاية كل هذه العملية العلمية يخرج بالرأي المعتمد والمتبنى من قبله بشكل دقيق وموثق.

وليس هذا الاسلوب والمنهج ببعيد عن فكر وطريقة العلامة الباحث آية الله السيد الغريفي «حفظه الله» فهو شخصية علمية تقريبية اصلاحية غنية عن التعريف، قد نهجت هذا السبيل وتطبعت عليه.

وكيف لا يكون كذلك، فهو خريج جامعة النجف الاشرف الاصلية التي دخلها في ريعان شبابه في أوائل الستينات ونشأ وترعرع على زادها المبارك ونهل من علومها ومعارفها.

وتتلمذ على يد كبار علماءها الافذاذ امثال المرجع الكبير السيد ابو القاسم الخوئي والامام السيد الشهيد محمد باقر الصدر والعلامة المحقق السيد محمد تقى الحكيم وغيرهم من العلماء والمفكرين في هذه الجامعة العريقة ذات الألف عام. ثم أقفل بعدها راجعاً الى بلده «البحرين» ليمارس فيه التدريس والتعليم والارشاد والتبليغ في أوساط أهله وابناء جلده.

كما انه ألف في ثانيا رحلته العلمية كتباً ودراسات ثقافية ومعرفية عديدة تناولت شؤون الفكر والعقيدة والتربية والاخلاق وقضايا المسلم المعاصر.

وبعد كتابه «التشيع.. نشؤوه، مقوماته، مراحلته» من أبرز وأهم مؤلفات السيد الغريفي، حيث طبع هذا الكتاب مرات عدة وفي بلدان مختلفة، وتلقته أيدي القراء والمثقفين بالاهتمام والاعجاب، وذلك لأهمية موضوعاته واسلوبه ومنهجه في الطرح والمعالجة، خصوصاً.

وإن هذا الكتاب قد تناول القضايا الحساسة في حياة المسلمين جميعاً، وعالج بروح موضوعية اشكاليات الامامة والخلافة ونظام الحكم في الاسلام ومسائل الفقه الخلافية من وجهة نظر مدرستي الخلفاء وأهل البيت عليهم السلام.

واليوم لم يعد خافياً على الجميع ما تعانيه البلاد الاسلامية من مشاكل كبيرة وأزمات حادة وموجات اعلامية مضادة، لا على مستوى السياسة والاقتصاد فحسب وانما شمل ذلك أيضاً الدين والتراث والفكر والثقافة.. خصوصاً بعد التحولات السياسية التي شهدتها المنطقة في السنوات الاخيرة. ولعل ما عصفت بالعراق من تحول

تاريخي حاسم وما أفرزه من اشكاليات وتحديات يقع في صدارتها
الاثارات الطائفية والمذهبية.

وما صاحب هذه الاثارات من عنف وإرهاب وتعصب وتطرف،
والتي راهن البعض على انها ستدخل العراق والمنطقة في محرقة تهلك
الحرث والنسل. إلا ان رحمة الله سبحانه وبصيرة اهل العلم والانسانية
دفعت عن الامة ما كان اعظم، وجعلتها تعي خطورة المؤامرات
الخبثية المحاكة ضدها وإرشادها الى أهمية وضرورة نبذ الخلافات
المذهبية من خلال إشاعة ثقافة الحوار والتسامح والتفاهم المشترك
والاعتراف بالآخر.

وفي هذا الصدد يأتي كتاب «التشيع» ليقوم بهذه المهمة الحوارية
والتقريبية بين المسلمين على اختلاف مذاهبهم ومدارسهم.

خصوصاً وإن هذا الكتاب لم يؤلف لأجل الاثارة والالتهام او
لايجاد الحساسية والتعصب بين المسلمين، انما هو دراسة علمية تهدف
الى إزالة الحواجز النفسية بين المذاهب الاسلامية، ونبذ ثقافة التكفير
والتطرف.

وإعادة قراءة التاريخ الاسلامي وكتابته وفق ضوابط اصول البحث
العلمي، لإجل توسيع المشترك الاسلامي، وتعميق أواصر الثقة
والاخاء بين المسلمين كافة.

«وجامعة الامام جعفر الصادق عليه السلام» إذ تأخذ على عاتقها اعادة
طبع هذا الكتاب القيم، فأنها اقدمت على اختصاره وتهذيبه، بعد ان
استجازت السيد المؤلف بذلك ووافق على طلبها مشكوراً. ولم

تدخل في تغيير نصوص الكتاب الا في حدود تنظيم العناوين وترتيب
الاقسام والفصول ودمج بعض المسائل والنقاط.

وكان الهدف من ذلك تيسير الابحاث العلمية والفلسفية والكلامية
العميقة من الكتاب ، لكونها تتطلب مستوى عالٍ من الثقافة والمعرفة.

وتبثت الموضوعات سهلة الفهم والبعيدة عن التعقيد والتداخلات
المعرفية وذلك لغرض تعميم الفائدة بين القراء على اختلاف اصنافهم
ومستوياتهم الثقافية والفكرية.

نسأل الله سبحانه ان ينفع به الامة ، وان يجعله مساهمة خالصة في
توحيد كلمة المسلمين.. ويقرب في وجهات نظرهم ، وان يتقبل منا
خالص العمل خدمة للاسلام وشريعته الغراء ، انه سميع مجيب الدعاء
وهو حسبنا ونعم الوكيل.

« المقدمة السابعة »

محمد بن ادريس الحلي سيرته ، عصره ، منهجه

عندما نستذكر ونستعيد سيرة وحياة الشخصيات التاريخية، إنما نروم من خلالها إستدعاء الروح العالية التي كانوا يتمتعون بها، والإرادة الخلاقة التي امتلكوها، والإبداع والإبتكار الذي أنجزوه على كافة المستويات.

ومن دون ريب أن أهل العلم والمعرفة لهم المنزلة الرفيعة والمكانة المتميزة من بين الشخصيات الكبيرة في التاريخ والحضارة الإسلامية، على إعتبار أنهم الرواد الأفاضل الذين رقدوا الحياة الإسلامية والإنسانية بالخير والعطاء والتقدم والإبداع.

وليس صحيحاً القول إنَّ استحضار سيرة الماضين تعني الهروب من الواقع، والتراجع، والإنكفاء على الذات، أو العجز عن أداء مسؤوليات الحياة في جميع مرافقها، أو رسم ملامح مستقبلها، أو إنَّ الإستغراق في الزمن الماضي ورجالاته لا فائدة فيه، لأنَّ الماضي القديم وما يتضمن من قضايا وأحوال وأوضاع، يعتبر فترة ومرحلة مضت وليس لها من عودة.

وإذا احتوى هذا القول على نسبة «ما» من الصواب والصحة، فإن بعض آيات الذكر الحكيم أشارت إلى هذا المعنى، ومن بين تلك الآيات قوله تعالى: ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (١٤١) ﴿ البقرة ﴾ .

بيد إن هذه الآية الكريمة، وإن تحدثت عن ضرورة إهتمام كل أمة بنفسها، وترك تاريخ وأعمال الأمم السابقة، لأن لكل أمة أجلاً وكتاباً، إلا إن هذا لا يعني المنع الكامل عن التأمل والاستفادة من التاريخ، أو أخذ التجارب والعبر من الأمم السابقة.

لهذا نجد القرآن الكريم في العديد من آياته الشريفة، حين يتناول ذكر حياة الرسول الأعظم ﷺ والأنبياء المرسلين ﷺ وشعوبهم، فإنه يتغني من خلالها تنبيه الإنسان ووعظه بما آلت إليه الشعوب من نهايات مؤسفة، وعواقب وخيمة ويلفت نظرنا إلى إستيعاب سنن وقوانين التاريخ والحياة التي تجري على الجميع على حد سواء. إذ لا فرق بين الماضين وأهل الحاضر سوى في نوع التقاليد والعادات ونمط المعاش، أما القيم والسنن فهي واحدة لا تتبدل، بل هي صورة تتكرر بتكرر الحقب والأجيال.

من هنا يتضح أهمية الكتابة عن حياة الشخصيات الفكرية والعلمية في التاريخ، وضرورة التعريف بها، لأن إحياء وإستعادة حياة العلماء والمفكرين، إنما هو شعور بالإفتخار والعرفان للجهود المبدعة التي قدموها، وتثمين للمنجزات الكبيرة التي لولاها لما كان في الحياة هذا التقدم والتطور والإزدهار. وبالرغم من إن التاريخ يحفل بكثرة الفقهاء والعلماء والأدباء والفلاسفة والمفكرين... إلا إن عدد الذين لمعوا وتميزوا عن هذا الكم الهائل قليل جداً، ولكنهم رغم قلتهم فإنهم

ينتصبون كأعمدة النور تضيء طريق الشعوب والأجيال. ويعود سبب ذلك إلى نوع الإبداع، والتجديد الذي أحدث التغيير والتحول في الجو الفكري والمعرفي السائد، ما بين فترة وأخرى، فهم يشكلون معالم الطريق، والعلامات التي تفصل بين مراحل التاريخ.

والشيخ محمد بن إدريس الحلي، أحد أولئك القلة من الفقهاء والمصلحين الذين برزوا بقوة في التاريخ الإسلامي الشيعي، حاملاً مشروع الإصلاح والتغيير على الواقع العلمي السائد آنذاك. فجامعة الحلة وهي صرحٌ علمي كبير، كانت إبان القرن السادس الهجري، شديدة التحفظ والتقليد لتتاج السلف الصالح، خصوصاً لفكر وآراء وفتاوى شيخ الطائفة أبي جعفر الطوسي «رحمته الله».

وكان من الصعب جداً تغيير هذا الواقع، وإحداث الهزة فيه، لهذا كان لوجود الفقيه المجدد ابن إدريس، ومشروعه الإصلاحية، الأثر الكبير على تحويل مسار جامعة الحلة العلمية، إلى مجالات خصبة ورحبة في العطاء والإبداع والتجديد والنقد والإجتهد. وإذا أحدثت النهضة الإصلاحية للشيخ ابن إدريس جدلاً وإثارات، وردود أفعال شديدة بين الفقهاء والعلماء في تلك الفترة، فإنّ هذا الأمر لم يكن شيئاً مستغرباً لدى دعاة التغيير والتجديد في المسار التاريخي.

وإنّ كنا نحن لا ننتهم أو نبخس الآراء الأخرى، والنقد والملاحظات، والمؤاخذات على الشيخ ابن إدريس، من حيث أسلوبه والطريقة التي انتهجها «رحمته الله» في مناقشة الفقهاء، حيث كانت في بعض الأحيان لا تخلو من القسوة والحدة، في حين إنّ من يمتلك الدليل والبرهان على صحة ما يرتأي أو يدعي، فإنه ليس من الموضوعية إنّ يستخدم الشدة، أو العبارات الجارحة في حق الآخرين

لإقناعهم على سلامة منهجه وصواب إختياره، بل عليه أن يستوعب الرأي الآخر، ويفتح على من يختلفون معه لأن يقدموا ما لديهم من أدلة في المسائل والقضايا المختلف عليها، وهي بطبيعتها قد تحمل أكثر من رأي أو فتوى أو مقال.

وتأتي هذه الدراسة: «محمد بن إدريس الحلي .. سيرته، عصره، منهجه» للباحث السيد محمد نجل الشهيد السيد مهدي إبراهيم بركة الغالبي. لتلقي الضوء على حياة هذه الشخصية الفذة من مختلف جوانبها، حيث بذل الباحث جهداً مشكوراً في هذا الإتجاه. والدراسة بالأصل عمل علمي أُعدَّ في فترة الهجرة الى «المركز العالمي للعلوم الإسلامية» في مدينة قم المقدسة لنيل درجة الماجستير، والذي تحوّل فيما بعد إلى «جامعة المصطفى».

وبالنظر لتزامن الإنتهاء من إعداد الدراسة، لحظة التحوّل التاريخي لسقوط نظام البعث المباد في ٩ / ٤ / ٢٠٠٣م، فقد أعاد النظر في بعض فصولها من جديد، وأجرى عليها بعض التعديلات والإضافات بعد عودته إلى أرض الوطن.

وجامعة الإمام جعفر الصادق عليه السلام إذ تقدم على نشر هذه الدراسة العلمية والتاريخية، فإنها تهدف إلى إحياء تاريخ وتراث فقهاء الإسلام، وتوثيق إبداعهم ومنجزاتهم الخلاقية، وربط المثقفين والباحثين وطلبة العلوم الشرعية برجالات حضارتهم الإسلامية الخالدة.

ولإجل التواصل مع جهودهم الفذة لدفع حركة العلم وتغيير وجه الحياة صوب التقدم والتطور والعتاء.

والكتاب مائل للطبع فقد فُجعنا نبأ وفاة ولدنا السيد محمد مهدي
ابراهيم بركة، وهو في رحلة علاج إلى الهند فخرنا بفقده مثقفاً
مبدعاً، وباحثاً مجداً في قضايا الفكر والتراث والتاريخ والأدب.

فنسأل الله تعالى أن يجعل هذه السطور في سجل أعماله الصالحة،
وأن تكون سراجاً تضيء وحشة قبره، كما تضيء الطريق من بعده
للكتاب والباحثين من أبناء جامعتنا والجامعات الأخرى في العراق،
وأن يسدَّ بهذا الكتاب فراغاً في المكتبة العربية والإسلامية.

الحركة الاباضية في المشرق العربي نشأتها وتطورها حتى نهاية القرن الثالث الهجري

ورد عن الإمام علي عليه السلام أنه قال: « لا تقاتلوا الخوارج بعدي ،
فليس من طلب الحق فأخطأه كمن طلب الباطل فأدركه » . « نهج البلاغة »

يُجمع المؤرخون والباحثون أن حركة الخوارج ظهرت في بدايات القرن الأول الهجري بعد وقعة صفين ما بين الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ، ومعاوية بن أبي سفيان بعد هزيمة جيش الشام وخذعة عمرو بن العاص في رفع المصاحف. وتجرع الإمام علي عليه السلام غصة التحكيم.

وقد كان ظهور الخوارج يشكل انتكاسة كبيرة في تاريخ المسلمين ، حيث أنهم كانوا يرفضون كل الواقع الإسلامي ويخطئون الجميع باعتبارهم يسلكون غير طريق الحق ويفتقدون إلى الشرعية في نظرهم.

ولهذا أصبح أهم شيء في عقيدتهم وحركتهم هو مقاتلة الحكام والخلفاء المتصددين لقيادة الدولة الإسلامية بغض النظر عن مستوى ظلمهم وعدالتهم. ولكنهم بسلوكهم مسلك العنف والتطرف في

محاربة الأبرياء وقتل الشيوخ والأطفال والنساء ومن يختلف معهم في الفكر والعقيدة والموقف، جعل المسلمين يقفون منهم موقف الكراهية والرفض والتهمة.

إلا أن هذه الحركة على الرغم مما خلفت من دمار وفوضى وتخلف، لم تستقر على حال واحدة فقد اختلفت وتجزأت إلى عدة فرق وخطوط وتكتلات عديدة، تارة بفعل الاختلاف في النظر والعقيدة.

وأخرى بفعل الأهواء والمصالح وحب التسلط والرئاسة، إضافة إلى عوامل وأسباب أخرى.

فكانت :

- فرقة الأزارقة: وهم أتباع نافع بن الأزرق.
- والنجدية: وهم أتباع نجدة بن عامر الحنفي.
- والبيهسية: وهم أتباع بيهس، وهو هيضم بن جابر.
- والصفرية: وهم أتباع عبد الله الصفار وقيل زياد بن الأصفر.^(١)
- والأباضية: وهم أتباع عبد الله بن أباض بن ثعلبة التميمي.^(٢)

(١) أنظر كتب: المبرد في الكامل في اللغة والآداب ٣ / ٨٩١، د. نايف معروف. الخوارج في العصر الأموي، المقرئ في الخطط، وحسن إبراهيم حسن في تاريخ الإسلام السياسي، وغير ذلك من المصادر والكتب.

(٢) وليس صحيحاً ما ذهب إليه المقرئ من أن الأباضية تنسب إلى شخص يدعى الحرث بن عمرو فليس في طبقات الأباضية ولا في كتب تراجم رجالهم ما يدل على صحة النسبة إليه.

هذه هي أبرز فرق وجماعات الخوارج التي ظهرت على المسرح التاريخي ولم يكتب لها البقاء، بل سرعان ما اندثرت وتلاشت ما خلا فرقة الأباضية التي كان لها وضع خاص قياساً إلى بقية فرق الخوارج.

وذلك لابتعاد فرقة الأباضية عن نظرية العنف المطلق وتخليهم عن حمل السيف بوجه الحكام والخلفاء.

ومن يختلف معهم من المسلمين، إضافة إلى ابتعادهم عن مركز الخلافة واعتزالهم في مناطق نائية، ظهور شخصيات منهم يسعون إلى المصالحة والتقارب وردم الهوة بينهم وبين المذاهب الإسلامية الأخرى.

لهذا فإن الأباضية بأنفسهم أن يوصفوا بالخوارج ويعتبرون أن ذلك سمة ذميمة لا تليق بهم، ورغم كل محاولات التحسين لصورتهم والتقرب للآخرين إلا أن الأصول التاريخية لهذه الفرقة أو المذهب تؤكد انتسابهم إلى الخوارج.

وليس من السهل على التاريخ أن ينفي هذه الصفة عنهم، ومع ذلك لم تحظ هذه الفرقة باهتمام الباحثين.

وقد لقي الخوارج عموماً عناية الكتاب والباحثين في الدراسات التاريخية.

ومن هنا تأتي رسالة الأستاذ الشهيد السيد مهدي طالب هاشم «أبو العيس» الموسومة «بالحركة الأباضية في المشرق العربي ودراسة نشأتها وتطورها حتى نهاية القرن الثالث الهجري».

وهي دراسة موضوعية جادة تناولت بدقة وتحليل البدايات التاريخية لظهور الخوارج بعامية وحركة الأباضية بصورة خاصة، والتحويلات

العقائدية والسياسية التي ظهرت على رجالها وانقساماتهم إلى فرق وجماعات ترتبط بأسماء أصحابها ودعاتها.

وحيث أن كاتب هذه الدراسة قد عانى كثيراً من شحة المصادر والمدونات التي تتحدث عن الخوارج وتؤرخ لحركتهم ونشاطاتهم المختلفة، لكن هذه الظاهرة «شحة المصادر» صفة عامة لازمت الخوارج على اختلاف فرقهم، بسبب الاضطراب الفكري، واختيارهم لأسلوب العمل السري لفترة طويلة من الزمن، تمهيداً لنشر أفكارهم ومعتقداتهم في العالم الإسلامي.

ومما يميز هذه الدراسة عن غيرها من الدراسات التاريخية كونها اعتمدت في توثيق المعلومات والآراء الواردة على المصادر والمخطوطات الأساسية لعلماء ورجالات هذه الحركة والتي استحصل عليها الباحث بعد عناء ومشقة.

وهذه الدراسة وإن اقتصرت على الجانب السياسي في حركة الأباضية دون البحث في الجوانب الأخرى، ذلك كونها جزء من متطلبات نيل درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي من جامعة بغداد عام ١٩٧٧م.

وهي تتألف من مقدمة وسبعة فصول وخاتمة وملاحق عامة تستعرض الخارطة الجغرافية للتواجد البشري للخوارج في الوطن الإسلامي، وقائمة بأسماء دعاة الحركة الأباضية الذين حملوا الدعوة الأباضية من البصرة إلى عُمان.

وفي ختام هذه المقدمة عن الكتاب لابد من كلمة عن الكاتب فهو الأستاذ الشهيد السيد مهدي أبو العيس الموسوي ولد عام ١٩٥٠م في

محافظة بابل قضاء المحاويل ناحية الإمام، لكنه نشأ وترعرع في مدينة الكاظمية المقدسة، وأكمل دراسته في بغداد حتى نال درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي.

وكان والده أحد سدنة الروضة الكاظمية المقدسة، ثم انتقل الشهيد إلى النجف الأشرف وعين مدرساً في كلية الفقه، وهناك انضم إلى صفوف حزب الدعوة الإسلامية، وكان من الدعاة المقربين للإمام الشهيد السيد محمد باقر الصدر «رحمته الله» وكان شخصية تتمتع بالحيوية والثقافة والوعي والإخلاص. وبعد احتدام الصراع الشديد بين النظام البعثي الجائر والمرجعية الدينية والحركة الإسلامية، خصوصاً أبناء حزب الدعوة الإسلامية، تعرض الشهيد أبو العيس للمطاردة، ومن ثم الاعتقال بعد زواجه بشهرين وذلك بتاريخ ٢٤ / ٩ / ١٩٧٩.

وقد التقاه والداه وزوجته والتي كانت هي في بداية حملها مرة واحدة في المعتقل فأوصى زوجته أن تسمي المولود القادم شهيد، لأنه كان على موعد مع الشهادة، وأن تزف جثمانه الطاهر بالزغاريد والحلوى بعد استشهاده.

كما أوصاها بالصبر ومواصلة الالتزام بالهدى والإيمان وأن لا تبالي بما يقع عليها من المصائب والأحزان فإن الله معنا.

أقدم النظام البعثي المقيت على جريمته النكراء التي لم يسبق لها مثيل في التاريخ وذلك بإصدار قرار إعدام جماعي لجميع منتسبي حزب الدعوة الإسلامية بتاريخ ٣١ / ٣ / ١٩٨٠م، وبأثر رجعي وكان من بين من شملهم هذا القرار الجائر الشهيد الغالي السيد أبو العيس الموسوي.

فحل على الله ضيفاً مع قوافل الشهداء كأكرم ما يكون الضيوف
والصالحين ، وقد منع النظام المجرم أهله وذويه من إقامة شعائر العزاء
ومجلس الفاتحة على روحه الطاهرة.

وجامعة الإمام جعفر الصادق عليه السلام اذ تقدم هذا الكتاب للباحثين
وطلاب الجامعات والمهتمين بشؤون التاريخ ، فأنها ترجو ان يكون
ذلك لمسة وفاء للسيد الشهيد أبو العيس رضي الله عنه « بِسْمِ اللَّهِ » وكما انها تأمل ان
يكون ذلك خدمة للحقيقة التاريخية.

فسلام على شهيدنا الأستاذ السيد مهدي ابو العيس الموسوي في
الشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً.

والحمد لله رب العالمين

دروس في العقيدة والاحلاق

بسم الله الرحمن الرحيم .. الحمد لله الذي توّحد بالعز والبقاء وقهر عباده بالموت والفناء وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله الأئمة الاصفياء ، وعلى صحابته المرضيين النجباء. وبعد :

ان أهم المقومات الاساسية التي يتّقوم بها الاسلام كدين انزلهُ الله تعالى للبشرية كافة ثلاثة مقومات :

الأول: الفكر:

وهو النظرة الكونية الشاملة والرؤية الفلسفية المتوازنة لمبدأ الكون والحياة والانسان ، وتمثّل العقيدة في الفكر الاسلامي حجر الزاوية ومنطلق الوعي والايمان في حركة الانسان نحو الله تعالى. وتعبّر حقيقة التوحيد بأبعاده المتنوعة في الذات ، والصفات ، والأعمال والتشريع ، والعبادة عن الجوهر العقيدة الاسلامية وقاعدتها الصلبة في عمق وامتداد حركة الانسان المسلم في واقع الحياة.

الثاني: التشريع:

وهو مجموعة النظم والقوانين التي تنظم الحقوق والواجبات والمسؤوليات في حياة الفرد والمجتمع والدولة في مختلف المجالات الشخصية والاسرية والاجتماعية والاقتصادية والعسكرية وغيرها، ويمتلك التشريع الاسلامي ثروة غنية في هذا المجال مثلتها الموسوعات الفقهية الضخمة لفقهاءنا الأعلام على إمتداد حركة الاجتهاد والاستنباط للاحكام الشرعية من مصادرها الأساسية من أجل مواكبة تطور الحياة واشباع الحاجات الانسانية المتجددة.

الثالث: الاخلاق:

وهي المرتكز الاساسي الذي يمثل روح الاسلام وهدفه الاسمى حيث قال فيها رسول الله: « انما بعثت لاتمم مكارم الاخلاق » فالاخلاق ليست مجرد وصايا ومواعظ متناثرة يتلقاها الانسان في محطات مسيرته الحياتية هنا وهناك. إنما هي القيم الحية والتعاليم السامية لبناء الشخصية الاسلامية المستقيمة المنسجمة مع ذاتها ومبادئها، وذلك من خلال عملية الإعداد والتزكية للنفس من كل شوائب الادران والشورور، وهي عملية الجهاد الأكبر الذي يمثل الميدان الأول، والخذق المتقدم في معركة الانسان المسلم مع نفسه ونوازعه، وهو يكدح نحو الله تعالى في مسيرته التكاملية التي لا تتوقف.

﴿ يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدًّا فَلَمْلَمَيْهِ ۖ ﴾ ﴿ الانشقاق ٦ / ٦

إن هذه المقومات الثلاثة التي يركز عليها الاسلام في الفكر والاجتماع والسلوك، تحتاج الى دراسة واعية دائمة في تفاصيلها واستيعابها بطريقة علمية دقيقة من أجل أن تؤثر أثرها المعنوي المطلوب

في حياة الانسان الفرد والمجتمع. لكن أهم مشكلة ترافق الفكر والعقل البشري باستمرار، هي مشكلة الجهل وعدم الفهم لاصول البحث العلمي، وعدم أتباع الطريقة الموضوعية والبرهانية في العملية العقلية الوصول الى الحقيقة، وهذا خلل كبير يتعرض له الفكر الإنساني وتعاني منه العقيدة، ولا يمكن معالجته الا من خلال الطرح العقائدي الأصيل وإتباع الأسلوب العلمي السليم في تركيز المفاهيم وبناء الشخصية العقائدية المستقرة بالوعي والإيمان على أساس الدليل والبرهان. كما أن الأزمة الأخلاقية التي تعيشها الإنسانية منذ القدم هي نتيجة طبيعية لضعف أرادة الانسان أمام الشهوات والمغريات، وعدم السيطرة على أهوائه ورغباته وعدم القدرة على الالتزام والتوازن في سلوكه والانسجام بين أقواله وأفعاله.

وقد خاض القرآن الكريم منذ نزوله على قلب الرسول ﷺ معركة التوحيد وترسيخ أسس العقيدة الربانية وتحرير العقل الإنساني من الجهل والتعصب والتقليد الأعمى.

قَالَ تَمَّالِي: ﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴾ ﴿ الطور ﴾ / ٣٥.

ويحكي مضمون الآية الكريمة المعنى التالي ؛ هل للانسان القدرة والامكانية على خلق نفسه قبل وجوده، ومعنى هذا أن الانسان موجود من العدم، وهو امر مستحيل فكيف يوجد شيء من العدم، لان فاقد الشيء لا يُعطيه. أم أن الإنسان خلق نفسه بعد أن وجدت، وهذا أمر لا يعقل، لأنه يدخل في باب تحصيل الحاصل وهو مستحيل، وفي السياق نفسه كانت معركة النبوة والإعجاز القرآني وعقيدة المعاد والإمامة.

فمنذ العقد الثاني للهجرة النبوية الشريفة أي بعد وفاة الرسول الاعظم ﷺ واجه المسلمون مشكلة الفهم الاصيل للعقائد الاسلامية، وكان أول ما واجهوه مسألة الامامة السياسية وخلافة الرسول القائد ﷺ في إدارة الدولة وقيادة المجتمع.

حيث أنقسم المسلمون الى فريقين كما هو معروف لدى كل المسلمين، ومع تقدم الزمن كانت هذه المشكلة تزداد تعقيداً، وذلك نتيجة الابتعاد الزمني عن عهد الرسالة وظهور الآراء المتعددة، واحتكاك المسلمين بتيارات واتجاهات فكرية وفلسفية جديدة على واقعهم، حتى تعرضت العقائد الاسلامية الى التلاعب والتشويه، ولا سيما خلال فترة الدولة الاموية والعباسية، حيث شهدت نشاطاً فكرياً وفلسفياً ساخناً، وانتشرت المدارس الكلامية والمذاهب الفقهية وشاعت الافكار الغريبة على جوهر الفكر الاسلامي وعقائده الاصلية. وخلال تلك الفترات الحساسة، مارس أئمة أهل البيت ﷺ دورهم الرسالي الرائد في حفظ أصالة الاسلام ونشر عقائده الصحيحة وكان منهمجهم يتحرك في اتجاهين أساسيين.

الاول: بناء الجماعة الصالحة، وانشاء مدرسة اسلامية أصيلة كان مؤسسها الاول بعد الرسول الله ﷺ الامام علي بن أبي طالب عليه السلام وتعمق وجود هذه المدرسة وترسخت معالمها وامتدت في الأفاق خصوصاً في زمن الإمامين الباقر والصادق عليه السلام وقد أخذت هذه المدرسة العملاقة على نفسها حماية العقيدة الاسلامية من الاتجاهات الفلسفية والعقائدية المنحرفة التي لا تنسجم مع عقيدة التوحيد ومفاهيم الاسلام واحكامه.

الثاني: نشر الإسلام وتوسيع دائرته الفكرية، وتثبيت المصادر الأساسية للفكر والتشريع والعقيدة، من أجل حفظ أصالة الإسلام ونقاءه. ولقد استطاعت هذه المدرسة الاصلية التي استكمل مشروعها الفكري والتربوي الاصيل الائمة الهداة من بعد الامام الصادق عليه السلام وتخرج منها المئات من علماء الاسلام ورواة الحديث والفقهاء والمتكلمين الذين تصدوا للانحرافات والآراء الشاذة، وقدموا للمجتمع الاسلامي الفكرة الصافية والعقيدة الحقة أمثال علي بن سويد، ومحمد بن سنان، ومحمد بن ابي عمير الازدي، وهشام بن الحكم البغدادي، وحريز بن عبد الله السجستاني الكوفي، وزرارة بن أعين، وابوبصير، ومحمد بن أحمد بن عيسى، وعلي بن مهزيار الأهوازي، وغيرهم من تلامذة الأئمة عليهم السلام الذين صنفوا الكتب الفقهية والعقائدية، ونشروا تعاليم الاسلام ومفاهيمه، واعدوا جيلاً من العلماء، فكان عطاءهم يتجدد مع الزمن، وكانت حركاتهم العلمية تمتد مع حركته الدائمة، حتى وصلنا عطائهم السخي وتراثهم الشر.

ان فهم العقيدة الإسلامية واستيعاب مضامينها ومفاهيمها وفق منهج علمي من المسائل الأساسية في حياة الإنسان المسلم، فهي حجر الزاوية في البناء الثقافي، وهي القاعدة التي يقف عليه في مواجهة الأفكار والنظريات والتحديات التي يلتقي بها في مشواره الثقافي الطويل وفي حياته العامة. والكتاب الذي بين أيدينا «دروس في العقيدة والأخلاق» للاستاذ الجليل سماحة العلامة السيد حسن النفاخ، محاولة جادة وناضجة في تركيز أفكار ومفاهيم العقيدة في عقول الطلبة والشباب المتطلعين الى فهم عقيدتهم ومعرفة أصول فكرهم الاسلامي من منابعه الحقيقية، وتعميق الايمان في قلوبهم بوعي وقوة، ورسم ملامح الشخصية الاخلاقية المعطاءة التي تحمل الاسلام فكراً في

العقل، وإيماناً في القلب، وهدياً في السلوك. واعطاء النموذج الرائع في الاستقامة والصدق والشجاعة والوفاء والحب والايثار والتضحية من أجل بناء الحياة الحرة الكريمة كما أرادها الله تعالى.

والكتاب عبارة عن دروس ومحاضرات تمتاز بالوضوح، والشمول، والمنهجية، والتيسير، حيث استطاع فيه المؤلف رغم الاختصار ان يعالج المشكلة العقائدية والأخلاقية بطريقة موضوعية هادئة، وروح علمية بناءة بعيدة عن العواطف، والتعصب، أو الجهل، لأن الجهل المركب والتعصب الأعمى والعواطف الساذجة عناصر سلبية تشكل عامل إعاقة لرؤية الحقيقة أو تصحيح المسار الفكري أو السلوكي في حياة الفرد أو الأمة.

وجامعة الامام جعفر الصادق عليه السلام إذ تقدم هذا الكتاب بقسميه العقيدة والاخلاق ليكون مقررًا دراسياً لطلابها الاعزاء في مادة الثقافة الاسلامية، فانها تـرجو أن تكون قد ساهمت في خدمة الفكر الاسلامي وترسيخ مفاهيم الدين والعقيدة والاخلاق في نفوس أبناء امتنا الاسلامية، من خلال الافكار والتصورات المهمة التي يقدمها هذا الكتاب في فهم عقيدة الاسلام وتجسيد أخلاقه.

والله من وراء القصد وهو حسبنا ونعم الوكيل.

« المقدمة العاشرة »

تقويم القرن الخامس عشر الهجري

بسم الله الرحمن الرحيم

قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ ﴾ ﴿ البقرة ﴾ / ١٨٩ .

« صوموا لرؤيته وافظروا لرؤيته ولا تنقضوا اليقين بالشك »

« حديث نبوي »

اهتم المسلمون بالظواهر الفلكية اليومية باعتبار انها تشكل جزءاً مهماً من شروط صحة العبادة. فقد اهتموا بوقت الزوال ووقت العصر وتحديد بزوغ الفجر وساعة الشروق، كما اهتموا بدخول شهر رمضان ونهايته وشهر ذي الحجة، وبدايات الأشهر الحرم، وغير ذلك من الاوقات ذات العلاقة بالاحكام العبادية، كما اهتموا بالعديد من الاحكام الشرعية التي ارتبطت بعنصر الزمن بشكل أو بآخر كعدة المرأة في الطلاق والوفاة واليأس ونحوها.

هذه الاحكام التي جاء الزمن في بعضها مشكلاً للفترة التي يتطلبها العمل العبادي فلا يمكن ان ينجز بصورة صحيحة قبل حلول وقته المحدد بحركة القمر والشمس كاقامة الصلاة وفي البعض الآخر من الاحكام جاءت الفترة الزمنية لوحدها تمثل التزاماً تاماً بالحكم الشرعي من حيث كون الزمن وحدات متتالية متعاقبة مما يعني أنه يجب الالتزام

بها كعدة الطلاق وعدة الوفاة ان الاسلام جعل الوقت لبعض الاحكام اطاراً محدداً يحتوي العبادة وجعله في البعض الآخر يمثل العبادة ذاتها دون التزام آخر.

من هنا تطور اهتمام المسلمين بحركة الشمس والقمر، فوضع العلماء والفلكيون جداول ومقاسات ومعادلات حسابية وزيجات متعددة المهام من أجل حساب أوائل الشهور ونهاياتها وتحديد السنوات الكبيسة من غيرها، كل ذلك لغرض ضبط ساعات اليوم، وأيام الشهر، وأشهر السنة، وأعوام التاريخ انسجماً مع مبدأ علاقة الانسان المسلم بالعبادات ذات الابعاد الزمنية.

وقد اختلفت مناهج دراسة الفلكيين بمستوى الدقة والاحاطة والموضوعية، فقد استطاع بعضهم ان يبتكر جداول حسابية تصلح لعام او عامين فيما ابدع آخرون في وضع جداول أخرى لمئات بل لألاف السنين لا تخطيء الا في النزو القليل.

وتعد تلك الدراسات بحق انجازات علمية ضخمة اذا ما قورنت بما توصل اليه علم الفضاء المعاصر، آخذين بنظر الاعتبار بساطة الآلات والمعدات القديمة مقارنة بتطور المراصد والاجهزة الفضائية الحديثة.

بقي ان نشير الى نقطة حساسة مفادها ان مفهوم الانجاز الفلكي هو على نحوين :

الاول : الانجاز الفلكي النظري والذي يعتمد الجداول والحسابات النظرية القديمة.

الثاني: الانجاز الفلكي العملي الحديث الذي يعتمد اجهزة الرصد وتطورات الفضاء العلمية المعاصرة.

وقد اجمع الفقهاء علي ان معطيات الانجاز الفلكي النظري تصلح ان تكون دليلاً للرؤية لا دليلاً للحكم الشرعي.

إلا ان الفقهاء اختلفوا في قابلية معطيات الانجاز الفلكي العملي على كونها دليلاً قاطعاً للحكم الشرعي ام لا؟! فبعضهم يرى انه لا فرق بين الانجاز النظري والعملي في عدم الصلاحية للدليل الشرعي.

فيما يرى البعض الاخر وخصوصاً ثلثة من الفقهاء المعاصرين والمجددين ان الانجاز العملي يصلح دليلاً للحكم الشرعي بمفرده باعتباره يورث اليقين القاطع المساوي للرؤية الشرعية كما ان الرؤية في نظرهم طريق للحكم الشرعي وليست موضوعاً له.

والتقويم الذي نحن بصددده هو من الانجازات الفلكية النظرية التي اعتمدت حسابات خاصة اثبتت التجربة صدقيتها ومطابقتها للواقع وان لم يكتسب لذلك الحجية الشرعية الا ما ندر، ويمتاز هذا التقويم اضافة الى انه جهد علمي متميز بسهولة الرجوع اليه دون تعقيد يذكر.

كما انه يعد من اواخر حلقات هذا العلم النظري في عصر هيمنت فيه تكنولوجيا الفضاء المتطورة على رواد هذا المنحى وسالكيه.

واما مبتكره فهو شيخنا الدكتور حسين علي محفوظ «أدام الله وجوده» وهو الخططي، المحقق المؤرخ، والفلكي الذي يطل على عصرنا مثقلاً بهموم المعرفة وتراث العصور الماضية، من أجل التواصل

بين الاجيال المتطلعة نحو المعارف والعلوم الحية، لكي لا تظل بوابات المنظومة المعرفية مغلقة على جيل دون جيل.

وديوان الوقف الشيعي اذ يقدم هذا الابتكار لاهل هذا الفن يحدوه الامل ان يستعيد علماء المسلمين مكانتهم العلمية وانجازاتهم المعرفية في عالم طغى فيه الاحساس المادي بالحياة وعاش فيه العلماء الغربية والقطيعة والتجاهل، كما يتطلع الى ان تثنى الامة جهود رجالها المخلصين الذين افنوا اعمارهم في حفظ التراث والعبور به خطوة بعد خطوة في طريق العلم والحضارة المليئ بالصعاب والتحديات.

سائلين المولى سبحانه ان يحفظ شيخنا العلامة الجليل الدكتور المحفوظ وان يديم وجوده علماً من اعلام التراث والمعرفة في مدرسة اهل البيت عليهم السلام..انه ولي التوفيق وهو حسبنا ونعم الوكيل.

« المقدمة الحادية عشر »

جوانب منسية في دراسة السنة النبوية

تتجلى قيمة الحديث النبوي الشريف، كونه موضحاً لآيات القرآن الكريم، شارحاً لنصوصه وأحكامه.

فهو عدل الكتاب، والمصدر الثاني للأحكام، والمنبع المعرفي والثقافي الذي تركه النبي ﷺ وأهل بيته الأمة عبر الزمن.

من هنا تأتي أهمية توثيق الحديث، ودراسة دلالاته وإسناده وضبط نصوصه وأحكامه، في اكتشاف الصحيح منه وإطراح الموضوع الضعيف.

فكما جمعت الأحاديث الصحيحة في كتب الصحاح، جمعت الضعاف والموضوعات في كتب الموضوعات كذلك.

إلا ان مما يؤسف له حقاً، ان كل فرقة من فرق المسلمين عكفت على دراسة موروثها من الحديث دون الالتفات الى ما روته الفرق الاخرى.

الأمر الذي أدى الى اختلال التوازن الثقافي في معرفة الأحكام والتشريعات والتواريخ.

والذي انعكس بطبيعة الحال سلبياً على واقع الأمة ووحدها.

وقد حاولت بعض الدراسات المقارنة في الحديث والتفسير، تضيق فواصل الفهم والتقييم بين طوائف الأمة وفرقها. إلا أنها ظلت محدودة التأثير بسبب غياب الحس التقريبي في عقلية بعض العلماء ووجدان الأمة.

وتأتي محاولة الدكتور المحقق حسين علي محفوظ «أدام الله وجوده» هذه في إطار تذكير العقلية الإسلامية العامة، بأنها تجاهلت جزءاً حياً وخطيراً من تراثها الحديثي، تحت طائلة التعقيد والحساسية من هذا الطرف أو ذاك.

إنها محاولة ذكية وشجاعة تطالب علماء المسلمين ودارسي الحديث أن يفتحوا على حديث مدرسة أهل البيت.

لا باعتبار رواته جزءاً عقيدياً في دائرة السنّة النبوية فحسب.

بل اعتبارهم من رجال الحديث ورواته ومبلغيه الصادقين عن رسول الله ﷺ.

وإن كان الاعتبار الأول أقرب إلى مصداقية الواقع التاريخي والموضوعي في حياة الأمة وحركتها الفكرية.

فقد استعرض الدكتور محفوظ «حفظه الله» بكفاءة العالم وصبر المحقق ودقة الخبير.

جملة مهمة من أمهات الكتب الحديثية وفهارس الرجال وابواب الرواية عند المسلمين الشيعة الإمامية.

مسلطاً الضوء على جزءٍ تراثي كبير من موروثنا العلمي والثقافي،
مشيراً بكل ثقة ووعي الى أساطين هذه المدرسة، وبناتها ودعائمها
ورموزها عبر التاريخ.

ولم ينسَ الباحث « حفظه الله » دعوة رجال الفكر والعالم في الأمة
الإسلامية، الى ان يواصلوا مسيرة التقريب وردم الهوة بين ابناء
الإسلام، الذين وان وقع الاختلاف بينهم فلن يقع الخلاف.

وهي لعمرى دعوة مخلصه أحوج ما نكون اليها الآن في مشهد
العراق الثقافي والسياسي، وهو يعيش حالة التحول والتغيير.

ان هذا الجهد الجليل يضاف الى جهود الدكتور محفوظ الأخرى في
تحقيق التراث وجلو كنوزه واقتناص نفائسه.

وحسبه انه جهد مبارك في إحياء تراث النبي ﷺ ووارثيه عليهم السلام.

فله الفضل والشكر على اجازته لنا نشر هذا الكتاب ليأخذ مكانته
المهمة في حيز الثقافة الإسلامية.

كما أزجي شكري وتقديري الى فضيلة الأخ الدكتور طارق نجم
عبد الله، الباحث في مركز الدراسات والبحوث والتوثيق في مؤسسة
دار الإسلام، على جهوده القيمة في تحقيق الكتاب والتعليق عليه
وصنع فهارسه ومتابعة مصادره، كما أقدم جزيل شكري للأخ
الموسوعي الدكتور جودت القزويني على تهيئة مخطوطة الكتاب وفتح
ابواب خزائنه لتحقيقه.

نسأل الله تعالى ان يوفق الجميع لديمومة العطاء في طريق القرآن
والسنة المطهرة، وآخر دعوانا إن الحمد لله رب العالمين.

« المقدمة الثانية عشر »

العالم الإسلامي والغرب

دراسة في القانون الدولي الإسلامي

قَالَ تَعَالَى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقْوَمُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾ ﴿الحجرات / ١٣ .

يبدو ان بني البشر متقاربون بوشائج شتى رغم الفواصل العرقية والقومية والدينية والجغرافية، لتبقى وحدة الفكر البشري حاکمة على جميع الفعاليات الحضارية للإنسان سلبية كانت أم ايجابية استجابة لنداء الفطرة وسعيا وراء اكتشاف الذات والآخر.

ويأتي دور الدين باعتباره عطاء من خارج الذات البشرية منسجما مع فطرة الإنسان وتشوقه ليس إلى استعمار الأرض باعتباره خليفة فيها فحسب، بل إلى الوصول إلى ما وراء الأشياء واكتشاف اسرارها.

فلا غرو إذن أن يبقى الإنسان باحثاً باستمرار في الفكر الديني مستثيراً خفاياه في محاولة دائمة للتعايش مع مفاهيمه أو الأقتراب منها على الأقل.

والإسلام باعتباره الصيغة الخاتمة لرسالات السماء تتوفر على حقائق وأسس ثابتة من شأنها أن تعطي الإنسان ما يحتاجه في المؤلف اليومي من حياته أو فيما يطمح إليه في المستقبل.

ونظرة موضوعية لنصوص القرآن الكريم والسنة المطهرة تضعنا على طريق تحديد معالم نظرية متكاملة في علاقات الإنسان مع ذاته وعلاقات الإنسان مع الإنسان، وعلاقة الإنسان مع الطبيعة، فضلاً عن علاقته مع الله تعالى.

وحيث أمكن تطبيق النصوص الدينية على حركة الإنسان كفرد صار بالإمكان اكتشاف المساحات الأخرى التي يتحرك فيها الإنسان كالمجتمع والنظام والدولة بل كل آفاق الحضارة الإنسانية.

ان بحث العلاقات الدولية وانماط تقنينها عولج في ما مضى من زوايا مختلفة، إقليمياً، وقومياً ودينياً.

ولم يبحث هذا الموضوع الخطير مع الأسف من زاوية حضارية شاملة فاصابه من الاشكاليات المعقدة ما أصاب نظريات العامل الواحد في فهم حركة الإنسان والتاريخ.

فما زال هذا الموضوع يتأرجح على طرفي جدلية صعبة مفادها : من الذي يقنن العلاقة ؟! الإنسان ؟ أم المجتمع ؟! أم الدين ؟!

وهنا يأتي دور الفقهاء المصلحين والعلماء الواعين ورجال القانون في اكتشاف مسار العلاقات السياسية والثقافية والاجتماعية والانسانية بشكل عام، لكي تبقى حركة المجتمعات على اختلاف قومياتها

واعراقها واديانها منسجمة متفاعلة تتعايش في منظومة سليمة لا وجود فيها لقوي أو ضعيف.

بل الوجود للقانون الأقوى والأفضل الذي يحقق العدل والحق والحرية والسلام. إن موضوع القانون الدولي الإسلامي وعلاقة العالم الإسلامي مع الغرب ما زال مادة بكرة لم يتسن للمفكرين والباحثين المسلمين أن يخوضوا غمارها ومنعطفاتها ويسبروا أعماقها وتعقيداتها.

إلا أنهم اليوم وبعد أن أصبح الإسلام هو رسالة الخلاص والمنقذ الذي تتطلع إليه الشعوب خصوصاً بعد انهيار النظرية الماركسية وعجز وقصور النظريات الرأسمالية، صار لزاماً عليهم أن يبحثوا وبجدية وأن يبذلوا قصارى جهدهم من أجل إعطاء انصع صورة عن شمولية الفكر الإسلامي وقدرته على الإستجابة لتحديات العصر ومتطلباته، خاصة.

ونحن نعيش افكاراً وطروحات النظام الدولي الجديد والعولمة التي يتبناها الغرب ويبشر بها.

ومؤسسة دار الإسلام الثقافية وإيماناً منها بدورها الثقافي البناء رأت في هذا الكتاب مادة أكاديمية مهمة وجهداً علمياً موقفاً فضمته إلى إصداراتها وتبنت نشره باعتباره الكتاب السنوي الرابع من سلسلة نتاجاتها الفكرية والثقافية.

إننا نعتقد أن الجاليات الإسلامية في بلاد الغرب والأقليات المسلمة في العالم هي حقيقة كبيرة لا يمكن أن نغفل عن دورها المؤثر في تقنين العلاقة الفكرية والسياسية والاجتماعية بين العالم الإسلامي والغرب، فإن بإستطاعة هذه الجاليات أن تسهم في عملية الجدل

والحوار الذي يكتنف طبيعة هذه العلاقة وتطورها في الحاضر والمستقبل.

وإننا إذ نشكر الأخ الكاتب الدكتور صلاح عبد الرزاق على جهوده وجديته ومتابعته لأطراف موضوعه نستثمر هذه الفرصة لندعو الكتاب والمثقفين والباحثين وأصحاب الرسائل الجامعية في الدراسات العليا إلى عقد ندوات نقاشية علمية يتم فيها مطارحة الأفكار وتبادل الآراء ووجهات النظر من أجل أن تأتي نتاجاتهم الثقافية ورسائلهم الأكاديمية ناضجة متكاملة وورصينة في هذا الجانب.

« المقدمة الثالثة عشر »

منهجية البحث العلمي

تعد جامعة الامام جعفر الصادق عليه السلام من الجامعات التي اعطت البحث العلمي والثقافي جزءاً مهماً من دائرة اهتماماتها الاكاديمية والتربوية، ورغم النشأة الحديثة لهذه الجامعة المباركة، فقد انصب جهدها على تطوير البرامج العلمية ومحاولات اكتشاف الاسلوب الأمثل للجهد المعرفي والثقافي.

ولأن المناهج تمثل المشكل الاساسي في مجال تطوير المراحل العلمية، فقد اخذت الكثير من الجدولة الزمنية والموضوعية الخاصة في هذه الجامعة بغية توفر الوضع الدراسي والتعليمي على أساليب بحث جديدة وطرق اكتشاف تؤدي الى نتائج صحيحة واثبتية بعيداً عن اساليب التشويش والضبابية والارتجال، ولأن اكتشاف مناهج البحث العلمي يعدُّ بحدِّ ذاته خطوة في سلّم التطور الاكاديمي فقد عكفت الجامعة على تطبيق مقارنات موضوعية بين مناهج البحث العلمي المختلفة للوصول الى منهج ريادي متكامل من شأنه ان يحل مشكلات البحث وتعقيداته.

وليس سراً أن نرى أن هناك فجوة كبيرة بين المناهج ذات الاصاله والعمق والشمول والاستناد الى الحقائق الموثقة. ونحن هنا وان كنا لسنا

في صدد تقويم قابلية المناهج العلمية المختلفة على التوصل الى حقائق الموضوعات، الا اننا لا نستطيع ان نغفل الكثير من البحوث ذات الدلالات الواقعية والمؤثرة في الدائرة الاكاديمية.

ومن جملة هذه البحوث البحث الذي قدمه الدكتور الفاضل مهدي حسين التميمي من رؤية اكااديمية حول منهجية البحث العلمي.

فقد توصل الباحث الى اكتشاف ملامح منهجية موضوعية تقوم على أسس مقارنة بين المنهج الوصفي، والتجريبي، والاستنباطي، والمنهج التكاملي الى مستوى نقد النموذج، كل ذلك في اطار بنية واحدة مهمتها تيسير البحث العلمي وتسهيل برامج الكشف والتحقيق.

ولسنا مبالغين اذا قلنا اننا نقف أمام منهج جديد نستطيع أن نسميه المنهج الموضوعي ابتداءً من خطة البحث وانتهاءً بخلاصة الإستنتاجات، ولم يغفل الباحث أثناء بحثه علاقة الشكل بالمضمون، ففي الوقت الذي يؤكد فيه على علمية المضمون وصدقته، نراه يؤكد على جمالية، الشكل وعدم التفريط بدلالاته.

وهذه ميزة قد لا تتوفر في مناهج البحوث التجريبية التي تعتمد المضمون فقط تاركة قيمة الشكل وإيحاءاته.

وميزة اخرى يمتاز بها هذا البحث لا بد من الاشارة اليها هي رصانة الاسلوب والتعبير واختيار المفردات ذات المعطيات والايحاءات المحددة وترابط فصول البحث مع بعضها، بحيث يزداد المعنى اتضاحاً كلما انتقلت من فصل الى فصل آخر.

فهو بحق دراسة جادة وبحث علمي وتجربة اكاڤيمية خليقة بالاهتمام
والنقد والتصويب.

وجامعة الامام جعفر الصادق عليه السلام اذ تهتم بهذه الدراسة تدعو
رجال الفكر، وحملة القلم، وطلاب البحث، الى الاستفادة منها
واعتبارها مادة جديدة للاثارة العلمية من اجل ان يتكامل المشروع
العلمي برؤية النقد الحصيف، وتأشير الاكاديمي الحاذق خصوصاً
ونحن نعيش مرحلة التحول الثقافي والتغيير السياسي في العراق
الجديد.

« المقدمة الرابعة عشر »

المساجد والأماكن الأثرية في مكة والمدينة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ﴿١١﴾ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مِّمَّا وُضِعَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٢﴾ وَمِنْ ذَلِكَ كَانَ آيَاتٌ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ وَلِئَلَّامَاتٌ لِلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾ ﴾

عَنْ عَنِ الْعَلَمِينَ ﴿١٧﴾ ﴿ آل عمران ﴾

وروي عن رسول الله ﷺ انه قال: «المدينة قبة الإسلام، ودار الإيمان، وأرض الهجرة، ومتبوا الحلال والحرام»^(١).

وقال ﷺ أيضاً: «اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد»^(٢).

تبرز قيمة الأثر التاريخي في أنه يمثل وثيقة ثمينة تكشف بوضوح صفحة من صفحات التاريخ بكل ما يحتزنه من أبعاد ومعطيات إنسانية، ولكي يستمد الحاضر أصالته من أعماق الماضي، باتت الأمم المتحضرة والشعوب الحية تهتم بآثارها بالدرجة نفسها التي تهتم بها في واقعها اليومي، وذلك لأن الآثار هي تعبير حي عن حركة الأسلاف ونمط تفكيرهم عبر سنين لم نعش محطاتها السعيدة أو التعيسة، ودأب

(١) كنز العمال ج ١٢ / ص ٢٣٠.

(٢) رواه البخاري. ج ٣ / ٣٠.

علماء التاريخ والإجماع على اتخاذ الأثر التاريخي مقياساً نوعياً لدرجة وعي الأمة وحضارتها، كما اتخذوا إهتمام الأمة بآثارها درجة أخرى من درجات التقييم الحضاري لواقع تلك الأمة ونضجها وثقافتها.

ونحن أبناء الأمة الإسلامية التي ضربت أبعادها في أعماق التاريخ وامتدت في مدى جغرافي رحب ورثت من أسلافها الذين حملوا مشاعل النور للعالم، ورثت مادة تراثية ضخمة تشكل الآثار إحدى مفرداتها الأساسية، خصوصاً وأن آثار الأمة الإسلامية ليست تعبيراً عن نشاط إنساني مجرد، إنما هي تجسيد لمفاهيم سماوية وعطاء رباني اتخذ الانسان صلة تربط الأرض بالسماء.

وجولة في أية بقعة من بقاع العالم الإسلامي كفيلة بأن تؤشر بوضوح إلى المستوى الفذ الذي طاولته حضارتنا الإسلامية وإلى تلك الإرادة المعنوية والروح الجمالية التي تحتفي خلف ذلك الحائط المنحني، أو ذلك القوس المعرق، أو تلك القبة المذهبة، أو ذلك الرواق المغطى بالفسيفساء، ورغم أن القيمة التاريخية لجميع آثار العالم الإسلامي عالية وكبيرة، إلا أن مكة والمدينة تعدان متحفاً حياً ينبض بمركبة التاريخ وبصمات الخطوات الرسالية الأولى وانطلاقة الإسلام وتكوين الأمة الشاهدة.

ففي هذا الموقع وُلد سيد الأنبياء محمد ﷺ، ومن هذا الجبل الأشم نزل يحمل نور الهدى ويبلغ الرسالة.

وعلى هذه السفوح قاد المعارك في بدر وأحد، وفي هذا الوادي العميق وقف صامداً، وفي هذه البقعة حفر الخندق ليطرده الأحزاب عن

المدينة، وفي هذا الموقع أو ذاك نزل الوحي بالآيات والذكر الحكيم إذ تخلف الناس حولهم لينهلوا من علومهم ومعارفهم مشاريعهم الثقافية والاجتماعية، وهنا أثر لصحابي أو مسجد لتابعي.

وعلى هذا فأثار مكة المكرمة والمدينة المنورة في أنفس ما خبأته يد التاريخ متحديّة تضاريس القرون الأربعة عشر. إلا أن الذي يبعث على الأسى والأسف أن آثارنا الإسلامية وقعت فريسة عاملين خطيرين:

الأول: كيد الأعداء ومحاولتهم مسح تاريخنا وتراثنا وثقافتنا عبر سرقة الآلاف من القطع الأثرية الهامة التي تحفل بها متاحف الغرب وخزاناته الفنية. وذلك خلال عقود تفكك الخلافة وضعف الدولة الإسلامية وموجات التبشير والاستعمار التي غزت بلدان العالم الإسلامي.

والثاني: الممارسات الجاهلة لبعض أبناء المذاهب المتحجرة وعدم دركهم القيمة الحقيقية للآثار التاريخية، فتعرضت أجمل الآثار وأكثرها قيمة وقداصة إلى الهدم والتدمير والتخريب بحجة أو بأخرى، فأقدمت على هدم قبور ومراقدة أئمة البقيع⁹ وهم: الأمام الحسن المجتبي^{عليه السلام}، والإمام علي بن الحسين السجاد^{عليه السلام}، والإمام محمد الباقر^{عليه السلام}، والإمام جعفر الصادق^{عليه السلام}، ومن جاورهم مثل قبر العباس عم النبي وأسماعيل بن الإمام جعفر الصادق^{عليه السلام} وقبر فاطمة بنت حزام الكلابية «أم البنين» وغيرهم وبسبب هذه الأفكار والسياسة الحمقاء إندثر مسجد هنا وآنحى معلّم هناك، حيث خسرت الأمة خسارة لا تعوض وأضاعرت رصيذاً حضارياً لا يغيب عن الذاكرة.

ومن أجل أن لا يضيع الباقي من آثارنا الإسلامية وأن لا تمس يدُ النسيان شواخص ما زالت قائمة جاءت فكرة هذا الكتاب في توثيق المساجد والمواقع التاريخية المهمة وتصويرها في الديار المقدسة.

إن هذه الخطوة رغم صغرها تعدُّ جهداً إستثنائياً في هذا المجال يضاف إلى الجهود الطيبة التي سبقته، وثمة أمرٌ آخر شكل دافعاً مهماً آخر لإعداد هذا الدليل وهو تعريف حجاج بيت الله الحرام وإرشادهم إلى مواطن التعبّد والنسك والعبرة وربطهم بتاريخ الإسلام وخطوات الرسالة الأولى.

ولا يفوتني هنا ان اثنم الجهد الذي بذله الاخ الاستاذ عبد الله اليوسف في متابعته مشروعه وتوثيقه «تصويراً وتسجيلاً» بالرغم ما يكتنف هذه المهمة الميدانية من صعوبات لا تخفى على من يعرف عقلية المؤسسة الدينية في المملكة السعودية اتجاه هذه المعالم الأثرية والمشاهد العبادية المقدسة.

وكان الجزء الخاص بالمساجد والأماكن الاثرية في المدينة المنورة قد طبع من قبل دار المؤرخ العربي عام ١٤١٦هـ فأضيف له في هذه الطبعة مساجد ومواقع أخرى.

كما ضم إليه الجزء الخاص بالمساجد والمواقع الأثرية في مكة المكرمة. وبهذا يكتمل الكتاب فيصبح مشتملاً على أغلب المساجد والأماكن الأثرية المقدسة غير الحرمين الشريفين ومسجد قبا ومسجد القبلتين والمساجد السبعة كونها مواقع معروفة لدى المسلمين عموماً، وحجاج بيت الله الحرام على وجه الخصوص.

ومؤسسة دار الأسلام إذ تضطلع بنشر هذا الكتاب انما تهدف الى
خدمة تراثنا الاسلامي والمحافظة عليه من الضياع والاندثار، وليكون
دليلاً هادياً للباحثين ولمن أراد أن يطلع على مواطن حركة الرسالة
والرسول وتاريخ الامة .

سائلين المولى العلي القدير أن يتقبل هذا الجهد وان يجعله في صالح
الأعمال انه ولي التوفيق.

والحمد لله رب العالمين .

« المقدمة الخامسة عشر »

بحوث في التراث الإسلامي

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير خلقه وأشرف بريته سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين... وبعد...

يمثل التراث المرتكز الأهم في بناء حاضر الأمة ومستقبلها، فهو عنصر الأصالة ومادة العلاقة مع التاريخ بكل مايمثله التاريخ من حركة وأبعاد ومعطيات.

وأن الأمة التي لا تفقه تراثها أو تتكرر لتاريخها هي أمة لا تستطيع أن ترسم ملامح مستقبلها. فلم يعد التراث كياناً صامتاً لا حراك فيه ولا عطاء، إنما يشكل روافد للمعارف والعلوم، وتجارب للحضارة وتقدم الشعوب.

من هنا تأتي ضرورة الاهتمام بدراسة التاريخ، واستيعاب مفرداته وتحولاته من قبل الباحثين والمعنيين بقصة الحضارة، إدراكاً منهم أن هذه الدراسات لا تمثل الماضي فحسب، إنما هي خطوات جادة وأبعاد رحية لبناء الحاضر وآفاق المستقبل.

فقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام قوله: « اكتبوا علومكم فإنكم تحتاجون إليها » ولا شك أن هذه الحاجة ليست حاجة نظرية مجردة، إنما هي حاجة علمية دائمة وضرورة ملحة في كل المراحل والأزمنة.

ونحن إذا نعيش عصر الأرقام «digitalage» والاتصالات السريعة يتتابنا شعور خطير بان الدراسات التراثية مهددة بالانحسار والانقراض.

لأن أبناء هذا الجيل قد استغرقوا في تكنولوجيا العلوم، والمعلومات الجاهزة على شبكة الانترنت، فلم يعطوا للتراث عنايتهم، أو يتعبوا أنفسهم في استكشاف أسراره واقتناص كنوزه ونفائسه.

من هنا تأتي محاولة الأخ الأستاذ ناجي عبد الحسن جبار.

وهي تنطوي على شيء من التحدي لما هو مألوف عند رجال الإعلام، وشباب الصحافة، ورواد البرامج الإذاعية والتلفزيونية.

فأن هذه المحاولة رغم أنها باكورة أعماله كما يبدو لي، إلا أنها تتسم بالجدة والقدرة على البحث والتحقيق في عالم لا يعرف معاناة البحث فيه الا من عايش طعم هذه المعاناة ولذة الصبر على اشكالياتها.

لقد تناول الباحث في كتابه «بحوث في التراث الاسلامي» ثلاث دراسات هي :

- ١- الشيخ البلاغي بين جيلين.
- ٢- فضل القرآن الكريم في أصول الكافي مع نظرة على المشهد التفسيري.
- ٣- المنهج العرفاني عند السيد عبد الأعلى السبزواري.

وعلى الرغم من أن هذه البحوث والدراسات كانت تعبر عن مشاركات في مؤتمرات إسلامية محددة، وقد لا يبدو لدى القارئ الكريم أنها ذات عناصر مشتركة أو يجمعها جامع موضوعي محدد.

إلا أنها لدى التأمل في كشف الخيوط الرفيعة التي تشكل نسيجها الأصيل تثبت أنها بحوث ذات قيمة موضوعية مشتركة، وانها ترتبط بعدة عناصر تجمعها في وحدة واحدة.

ومن أهم هذه العناصر الأساسية في هذه البحوث حركية التراث في البحث التاريخي والروحي داخل إطار القاعدة الفكرية التي تقوم عليها مفردات هذه الدراسات والبحوث.

فهنالك علاقة وطيدة بين شخصية الشيخ محمد جواد البلاغي «رحمته الله» والسيد عبد الأعلى السبزواري قده من حيث البيئة الفكرية و الأجواء الدراسية والمناخ الروحي العام الذي يحيط بطبيعة مدرسة أهل البيت عليهم السلام.

إضافة الى المناهج التعليمية والفترة الزمنية والظروف السياسية والاجتماعية التي عاشها كل من الشيخ الرائد البلاغي والإمام السيد السبزواري في جامعة النجف الاشرف ذات الألف عام رغم الاختلاف في طبيعة معطيات كل منهما في الاسلوب وأدوات المنهج.

فحينما أخذت الحركات الفكرية الغربية تتصاعد وتصب تياراتها في مواجهة كبيرة مع الإسلام.

وأفرزت مظاهر جديدة على الساحة الإسلامية لم تكن معروفة من قبل، كان من أبرزها ظاهرة الفكر المادي، وبروز الاتجاه الإلحادي في التفكير.

إن هذا التحول الخطير حفز علماء الأمة الإسلامية في العراق على مواجهة الخطر الفكري عن طريق رسالة الإسلام الأصيلة بصورة علنية عامة.

وقد برز في هذا الميدان الدور الكبير للشيخ محمد جواد البلاغي الذي تصدى لكل مظاهر الانحراف الفكري والعقائدي.

وذلك من خلال نشر الوعي على الصعيد الثقافي العام، فكتب مجموعة من الكتب التي عالج فيها ظروف المرحلة التي تمر بها الأمة الإسلامية.

وكانت كتبه تتسم بالعلمية والمناقشات الموضوعية وبأسلوب سلس، كان الهدف عنده تعريف الأمة بالفكر الإسلامي، وترشيد الجيل الى الحالة الصحيحة من ناحية العقيدة والثقافة.

وأما دراسته عن شخصية السيد السبزواري في جانبها العرفاني، وهو جانب مثير ولم تكتشف كامل أبعاده العميقة التي كانت المحرك الروحي لجميع ما أعطاه السيد السبزواري على مستوى الفكر والتفسير والفقه والأخلاق والعرفان وشؤون العقيدة.

ولا شك ان هذه الدراسة سوف تفتح لكل الباحثين في مناهج العرفان وشخصياته المعاصرة آفاقاً رحبية من التطلع في مجالات البحث والدراسة، ولعل سفره الكبير « مواهب الرحمن في تفسير القرآن » يمثل المصدر الثر لمفردات مدرسة السبزواري ومعالم منهجه العرفاني.

وأما الدراسة الثالثة في فضل القرآن الكريم في الكافي، ذلك السفر الخالد للشيخ الكليني « ت ٣٢٩هـ » واسمه محمد بن يعقوب الكليني

البغدادي ، المكنى بأبي جعفر ، عاصر السفراء الاربعة للأمام المهدي الموعود «عج» حتى انتهت اليه رئاسة المذهب في عصر المقتدر العباسي ، وكان مجلسه محط رحال العلماء والمحدثين وطلاب العلم من جميع المذاهب الاسلامية.

وللشيخ الكليني تصانيف عدة يقف في مقدمتها الكتاب المشهور الكافي «أصولاً وفروعاً» وهو موسوعة حديثة عظيمة ، جمعت مختلف العلوم والفنون والآداب وحفظت تراث الصادقين من أئمة الهدى عبر عشرين عاماً من التأليف والتدقيق والبحث والتصنيف والمعاناة التي قضاها الشيخ الكليني أيام الفتن والصراعات ببغداد.

لقد ملأت موسوعته القيمة الفراغ الذي عاشته الأمة بعد عصر الإمامة عموماً وفترة الغيبة الصغرى على وجه الخصوص وحدث أشبه بالبلبلّة الفكرية التي عصفت بأجواء مدرسة أهل البيت عليهم السلام.

وكادت أن تؤثر تأثيرات سلبية خطيرة على تراث هذه المدرسة المباركة وتشوه معالمها في تلك الفترة العصيبة من تاريخها ، فجاء الكافي ليطمئن الجميع بان مدرسة أهل البيت عليهم السلام راسخة الجذور قوية البنيان.

وهي تحتزن كنوزاً ثمينة وتمتلك تراثاً غنياً لإشباع حاجاتها الفكرية والروحية والاخلاقية والاجتماعية على مدى الزمن.

ولا شك ان تناول هذا البحث حول الكافي يؤشر على مدى وعي وإدراك الأستاذ الباحث لدور التراث في بناء الأمة وترشيد حركتها الفكرية والثقافية وهي تعيش معترك الأفكار وصراع الهوية.

نسأل الله ان يتقبل جهود الأستاذ العزيز الذي عرفته من خلال قناة الفرقان العراقية وهو يقدم برامج المتميزة بالوعي والاصالة والهدفية والمعروفة بأسلوبها الجذاب المحب.

كما أسأله تعالى أن يوفقه للمزيد من البحث والتنقيب في كنوز التراث والتاريخ خدمة لقضايا الأمة وإحياء لمجدها التليد.

والله ولي التوفيق

« المقدمة السادسة عشر »

قبضة الهدى قصة رواد الشهادة الأوائل في العراق

قَالَ تَمَّالُ:

﴿ هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٢٩﴾ إِن يَمَسُّكُمْ فِي ذَلِكَ مِن فَجَأٍ فَكُونُوا صَادِقِينَ ﴿١٣٠﴾ وَلَا تَحْزَنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٣١﴾ ﴾

تمثل الشهادة في الفكر الإسلامي عنوان التغيير ومنهج التأصيل والبناء والحركة في تاريخ أمتنا الإسلامية، فهي الحضور الحي في معترك الصراع والمواجهة، ويخطئ من يتصور أنها تمثل الموت والأستئصال، كما يخلو للحكام المستبدين أن يعبروا عنها في قواميسهم البائسة وثقافتهم السطحية.

إن التصنيفات الجسدية لا تعني الفناء بل هي حياة من نوع آخر ترسخ الفكر، وتؤصل العقيدة، وتبعث الأمة نحو نهضة جديدة، ووعي متقدم. وهذه هي سنة الشهادة في العطاء الدائم الذي ليس له انقطاع.

فالإمام الحسين ... وإن قطّعه السيوف وسحقت جسده الشريف
سنابك الخيل، إلا إنه في ضمائر الأحرار وذاكرة التاريخ لا يزداد إلا
رسوخاً وبقاء ومضاء.

بل ما زال يقاتل حتى بعد استشهاده في كل مواقع الصراع والجهاد
والمواجهة، من أجل المبادئ الحقّة وكرامة الإنسان، وقد تحول إلى
معلم ملهم للشعوب التي تطمح إلى الحرية والانعتاق وتتطلع نحو
العزة والكرامة.

إذ رسم ملامح طريق الشهادة في تاريخ الأمة من أجل أن يظل
الشهداء دوماً عناصر قوة ومفاعيل حركة تدعو إلى التصحيح والتغيير
وعدم الاستسلام والخضوع لأرادة الطغاة والظالمين.

فالشهداء في الحياة الإسلامية علامات مضيئة في طريق الأجيال،
تشير لكل المتعبين في الطريق الصعب الطويل أن المسير من هنا. وإن أمة
لا تنجب شهداء ولا تبذل الدماء والتضحيات لهي أمة عقيمة وعاجزة
عن مواصلة التقدم والنماء.

قبضة الهدى وهم الشهداء الخمسة الذين أدركوا قبل غيرهم
خطورة المشروع البعثي على حاضر العراق ومستقبله، فكانوا الرواد
الأوائل للوعي التغييري والمواجهة السياسية الحادة.

إذ شخصوا من منذ وقت مبكر طبيعة المعركة الفكرية والسياسية
فقدموا أرواحهم الزكية قرابين في طريق الشهادة من أجل إحداث الهزة
العميقة في جسم الأمة في العراق الذي كان يراد له أن يموت بفعل
المخطط المبرمج لحزب البعث المجرم وممارساته القمعية.

ومن هنا كان يوم الواحد والعشرين من شهر ذي القعدة عام ١٣٩٤ هـ منعظاً تاريخياً اذن ببداية مرحلة جديدة مفادها المفاصلة التامة ونقطة اللا عودة بين إرادة الشعب العراقي وطبيعة النظام القبور.

وقد تجسدت هذه المفاصلة بأعلى صورها بمواقف المرجع الديني الكبير الإمام الشهيد السيد محمد باقر الصدر رحمته الله :

الذي صمم على الشهادة من خلال نداءاته الثلاثة التي عبئ فيها الشعب العراقي بكل مكوناته لخوض معركة المصير، فكانت شهادته في التاسع من نيسان عام ١٩٨٠م يوماً لا يغيب عن الذاكرة العراقية أبداً، وهو معلم بين مرحلتين من مراحل جهاد الشعب العراقي ضد الدكتاتورية.

وكانت حقاً ملحمة تاريخية تحول فيها العراق الجميل إلى سجن كبير لكل الأحرار من أبنائه.

ولا شك إن رأس الحربة في هذه الملحمة الدامية كان هم أبناء الدعوة الإسلامية من العلماء الواعين والشباب الراساليين والفتيات المؤمنات، كل هؤلاء وقفوا في خندق واحد يعلنون رفضهم الحاسم لكل مقولات حزب البعث وأساليبه القمعية وبرامجه العنصرية والطائفية المقيتة.

وتشهد أعواد المشانق وزنازين السجون العلنية والسرية، ومئات المقابر الجماعية، في عموم محافظات العراق وقصباته على هذه المواجهة التاريخية بين الشعب العراقي المتمثل بطلائع الحركة الإسلامية الواعية، وبين عصابات النظام المجرمة التي امتهنت القتل وإراقة الدماء.

وفي يوم التاسع من شهر نيسان ٢٠٠٣ إذ تنفس الشعب العراقي الصعداء يوم سقوط الصنم في ساحة الفردوس ببغداد. إذ آن للمحارب أن يستريح، وللمجاهد أن يلقي سلاحه، ليبدأ شوطاً جديداً في معركة البناء وسيادة القانون.

وحزب الدعوة الإسلامية وهو حزب الشهداء، ومدرسة إعداد الدعاة والمجاهدين الذين نذروا أنفسهم لخدمة الدين والوطن والإنسان، ينطلق اليوم من مبدأ الشعور بضرورة تكريم أولئك السابقين والمبدعين الذين تحولوا إلى رموز في مسيرة الدعوة، وأصبحوا قادة في حياة الأمة. أن يقف إجلالاً لتكريمهم وإعلان رمزيتهم والأفادة من تجاربهم بإعتبارهم مصدراً من مصادر الوعي الدعوي أصبحوا ثروة غنية ورصيдаً مباركاً في «مجالات الفكر والسياسة» والثقافة والتربية والجهاد.

وكتاب قبضة الهدى الذي طبع قبل أكثر من ثلاثين عاماً في المهجر يعود اليوم مرة أخرى في طبعة جديدة في العراق الجديد مزينة ومنقحة ليسجل حضور الشهداء الخمسة في حفل التكريم الذي يقيمه حزب الدعوة الإسلامية للاحتفاء بالشهداء والقادة المبدعين من القادة وانصار الدعوة في مرحلتنا الراهنة، ونحن ما زلنا نحث الخطى في طريق الشهداء الأبرار لبناء الأمة وقيادة الدولة.

والله من وراء القصد وهو حسبنا ونعم الكيل

بغداد
٢٠ / ٢ / ٢٠١٢م

القسم الثاني
البحوث والدراسات

(١)

في ذكرى المولدين النبي الاكرم ﷺ والامام جعفر الصادق عليه السلام

الرسول الأعظم في القرآن ﷺ

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿١٥﴾ وَدَاعِبًا إِلَى اللَّهِ بِآذَانِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴿١٦﴾
وَبَشِيرًا الْمُؤْمِنِينَ يَا أَيُّهَا اللَّهُ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿١٧﴾ ﴾ ﴿ الأحزاب ﴾ .

﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْئَهُ فَفَازَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٩﴾ ﴾ ﴿ الفتح ﴾ .

﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَذِكْرًا ﴿٢١﴾ ﴾

﴿ الأحزاب ﴾ .

النبي الأكرم ﷺ كما يصفه الإمام علي عليه السلام في نهج البلاغة:

قال عليه السلام:

فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ بَعَثَ مُحَمَّدًا ﷺ وَ لَيْسَ أَحَدٌ مِنَ الْعَرَبِ يَقْرَأُ كِتَابًا وَلَا يَدْعِي بُؤَّةً، فَسَاقَ النَّاسَ حَتَّى بَوَّأَهُمْ مَحَلَّتَهُمْ^(١)، وَ بَلَغَهُمْ مَنَجَاتَهُمْ فَاسْتَقَامَتْ قَنَاتُهُمْ^(٢)، وَ اطْمَأَنَّتْ صَفَاتُهُمْ^(٣). «بعثه» نذيراً لِلْعَالَمِينَ وَ مُهَيِّمِنًا^(٤) عَلَى الْمُرْسَلِينَ.

بَعَثَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ مُحَمَّدًا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لِإِنْجَازِ عِدَّتِهِ، وَ إِتْمَامِ بُؤْتِهِ، مَاخُودًا عَلَى النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُ، مَشْهُورَةً سَمَائِهِ، كَرِيمًا مِيلَادُهُ وَ أَهْلُ الْأَرْضِ يَوْمَئِذٍ مِلَلٌ مُتَفَرِّقَةٌ، وَ أَهْوَاءٌ مُتَشِيرَةٌ وَ طَرَائِقُ مُتَشَتَّةَةٌ.

أَرْسَلَهُ وَ أَعْلَامُ الْهُدَى دَارِسَةٌ، وَ مَنَاهِجُ الدِّينِ طَامِسَةٌ، فَصَدَعَ بِالْحَقِّ وَ نَصَحَ لِلْخَلْقِ، وَ هَدَى إِلَى الرُّشْدِ، وَ أَمَرَ بِالْقَصْدِ.

ابْتَعَثَهُ وَ النَّاسُ يَضْرِبُونَ فِي غَمْرَةٍ^(٥) وَ يَمْوُجُونَ فِي حَيْرَةٍ، قَدْ قَادَتْهُمْ أَرْمَةٌ الْحَيْنِ^(٦).

-
- (١) بؤاهم محللتهم: أنزلهم منزلتهم.
(٢) القنات: العود والرمح، والمراد به القوة والغلبة والدولة، وقوله استقامت قناتهم تعبير عن استقامة أحوالهم.
(٣) صفاتهم: بفتح الصاد الصخرة، وقوله اطمأنت صفاتهم: أي استقرت أرضهم وقاعدتهم.
(٤) المهيمن: والشاهد، والنبي شاهد برسالة المرسلين الأولين.
(٥) الغمرة: الماء الكثير والشدة، وما يغمر العقل من الجهل، والمراد هنا شدة الفتن والمحن.
(٦) الحين: بفتح الحاء، الهلاك والموت.

وَاسْتَعْلَقَتْ عَلَى أَفئِدَتِهِمْ أَقْفَالُ الرَّيْنِ^(١). أَرْسَلَهُ عَلَى حِينِ فِتْرَةٍ مِنْ
الرُّسُلِ، وَطُولِ هَجْعَةٍ مِنَ الْأُمَمِ، وَاعْتِزَامِ مِنَ الْفِتَنِ وَتَنَازُعِ مِنَ
الْأَلْسُنِ، فَقَفَى بِهِ الرُّسُلَ، وَخَتَمَ بِهِ الْوَحْيَ، فَجَاهَدَ فِي اللَّهِ الْمُدْبِرِينَ
عَنْهُ، وَالْعَادِلِينَ بِهِ .

أَرْسَلَهُ دَاعِيًا إِلَى الْحَقِّ، وَشَاهِدًا عَلَى الْخَلْقِ، فَبَلَغَ رِسَالَاتِ رَبِّهِ
غَيْرَ وَأَنْ^(٢) وَلَا مُقَصِّرٍ، وَجَاهَدَ فِي اللَّهِ أَعْدَاءَهُ غَيْرَ وَأَهْنٍ، وَلَا
مُعَدِّرٍ^(٣)، إِمَامٌ مَنْ اتَّقَى، وَبَصْرٌ مَنْ اهْتَدَى.

(١) الرين : بفتح الراء، التغطية والحجاب. وهو هنا حجاب الجهل والضلال.
(٢) وان : متباطئ ، مشاقل.
(٣) معدر : من يعتذر ولا يثبت له عذر.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي بعث محمداً رحمة للعالمين، وختم به الأنبياء والمرسلين، وجعله شاهداً وشهيداً وشهيداً على المسلمين، وأفضل الصلاة وأتم السلام على خير الخلق أجمعين سيدنا ونبينا محمد ﷺ وعلى آله الهداة الطيبين الطاهرين، وعلى صحابته الراضيين المرضيين، ومن دعا بدعوته من الأولين والآخرين.

في ذكرى المولدين:

مع إطلالة النور.. مولد منقذ البشرية الرسول الأعظم محمد ﷺ الذي جاء رحمة للعالمين، وذكرى ميلاد حفيده الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام الذي يمثل الامتداد الرباني في رسالات السماء، ترسم الدلالات والأبعاد الفكرية الإنسانية.

فليس هذا اليوم حدثاً عادياً يمرُّ كغيره من الأحداث.. إنه نقطة تحول كبرى في مسيرة الإنسان العقائدية والإيمانية والاجتماعية والسياسية، فهو يمتلك عمقاً استثنائياً يرتبط بالهدف الإلهي الأسمى من خلق الإنسان وخلافته على سطح هذا الكوكب.

وهو يحتزن في داخله كل مضامين الرسالات السماوية عبر المسيرة البشرية الطويلة بما تنطوي عليه من تجارب ومواقف وأحداث وتحولات ضخمة تشكل مجموعها تراث الإنسانية وحركتها المستمرة نحو التكامل والارتقاء.

الدلالة التاريخية:

فمولد الرسول الأعظم ﷺ بدلالته التاريخية يمثل البدء والختامة في آن واحد.. إنه بدء المسيرة التغييرية الكبرى، لآخر رسالة سماوية شاملة، حيث انطلق النبي ﷺ في الجزيرة العربية، التي كانت مسرحاً للصراعات، الجاهلية، والضياع في هموم القبيلة ومشاكلها التي تأججها كلمة هجاء في قصيدة شاعر، أو كأس من خمرة، أو ناقة تسرق، لهذا الطرف أو ذاك. كما أنهم كانوا عاكفين على أصنام يصنعونها بأيديهم من الطين أو من الحلوى، فإذا ما جاعوا عمدوا إلى ألهتهم فاكلوها بنهم وشره. فلا يملكون دولة، ولا يفقهون معنى الحضارة، إنما كانوا على هامش دولتين كبيرتين هما الفرس والروم.

فما أن تلقى النبي ﷺ الوحي في غار حراء، حتى نزل إلى الناس من الجبل يتصبب، وهو يحمل كلمة واحدة، ولكنها ذات مضامين عظيمة فبلغهم بهذه الكلمة كلمة «التوحيد».

يا أحمدَ الخلق العظيم ويا صدى
جبريلُ رَدَدَهُ ومَكَّةُ تسمعُ
إقرأ ففني شفتيك لحنُ نبوةٍ
وأقرأ ففني عينيك نجمُ يسطعُ

وبعد حروب سجال استطاعت الجزيرة أن تستوعب معنى هذه الكلمة، وأن تدرك مضامينها، فحملها الجيل الإسلامي الأول الفريد عقيدة في العقل والقلب، ومشعلا تضيء له طريقه اللاحب نحو

الكرامة والحرية والإنعتاق وتحرير الإنسان من الآصار والأغلال، وبهذه الكلمة استطاع المسلمون ان يكونوا أمة واحدة وأن يصنعوا تأريخاً جديداً يبدأ من هجرة الرسول الأكرم ﷺ وحركته من الدعوة إلى الدولة.

والمولد النبوي الشريف هو الخلاصة التي انتهت فيها رسالات الأنبياء.. فكان مولده ﷺ نقطة الإنبعث التاريخي لعالم جديد، يصاغ فيه الإنسان في حياة جديدة، تصنعها شريعة محمد ﷺ فقد قال ﷺ: « إن مثلي ومثل الأنبياء قبلي كمثل رجل بنى قصرأ مشيداً منيفاً ما خلا لبنة وأنا اللبنة » وهذا يعني أن النبي ﷺ هو المكمل لرسالات الأنبياء والمتمم لأخلاق العالمين حيث يقول ﷺ: « إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق ».

وفي إشارة عن علاقته بشيخ الأنبياء إبراهيم ورسالته التوحيدية يقول ﷺ: « أنا دعوة أبي إبراهيم » وهي تشير إلى قوله تعالى:

﴿ رَبَّنَا وَأَبِّئْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٣﴾ ﴾ البقرة .

الدلالة الحضارية:

فمولد الرسول الأعظم ﷺ بدلالته الحضارية يمثل الانطلاقة الأكبر نحو بناء واقع انساني موحد، تذوب فيه فوارق العرق واللون والإنتماء، وتمتزج كلها في إطار الإسلام، الذي أراد الله تعالى، دينا خاتماً للبشرية، ومنهجاً شاملاً ينظم سلوكها ومواقفها في بناء متكامل فيه الأمم والشعوب، والاقوام، وتحكم شريعته حياتهم من أجل أن

تنتهي قرون الظلام والعذاب، ويشرق نور الإسلام الساطع أملاً دائماً
وحقيقة ممتدة.

فكان سعد بن عبادة الخزرجي الأنصاري، وبلال بن رباح
الحبشي، وصهيب الرومي، وسلمان الفارسي، وعمار بن ياسر
حليف بني مخزوم، وأبو ذر الغفاري، وسيدهم علي بن أبي
طالب عليه السلام الهاشمي. فقد جمعت كل هؤلاء الأفاضل بودقة الإسلام،
وأزاحت عنهم كل الفوارق القبلية والعنصرية، وجعلتهم أمة واحدة
يسرون في خط واحد وينشدون هدفاً واحداً هو نصرته الدين وخدمة
الإنسانية.

﴿ إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴾ ﴿١٢﴾ ﴿ الأنبياء ﴾ .

الدلالة المعنوية:

ومولد الرسول الأعظم ﷺ بدلالاته المعنوية والروحية، يمثل لحظة
المراجعة الذاتية للإنسان المسلم، ليقف مع نفسه في ذكرى ميلاد
قائده، القدوة فيكتشف أين هو من رسول الله ﷺ في نهجه وسلوكه
وعظائه، وأين هو من رسالته في مفاهيمها وتعاليمها وحركتها وقيمها.

إنها وقفة مطلوبة في كل يوم، لكنها في ذكرى المولد العظيم تمتلك
بعداً آخر ينبع من الارتباط المباشر، بين مولد صاحب الرسالة، الذي
تحمل أعباء المسؤولية الربانية، وأداها كاملة غير منقوصة. وبين
مسؤولية الإنسان المسلم الرسالي المعاصر.

وبذلك تصبح وقفة المراجعة حالة اسلامية عامة يشترك فيها المسلمون كلهم، في أرجاء العالم من أجل مواصلة الطريق واقتفاء اثر رسول الله في مسيرته اللاحقة.

وما أجمل مقولة الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام حفيد رسول الله ﷺ في هذا الجانب وهو يقول: « ليس منا من لم يحاسب نفسه كل يوم وليلة.. ومن استوى يوماه فهو مغبون.. ومن كان آخر يوميه خيرهما فهو مغبوط.. ومن كان آخر يوميه شرهما فهو ملعون.. ومن لم ير الزيادة في نفسه فهو إلى النقصان.. ومن كان إلى النقصان فالموت له خير من الحياة » وهذا يعني إن الإنسان يجب أن يكون دائم الحركة، متواصل النماء، سواء على مستوى الفكر والثقافة، أم على مستوى العطاء والحركة لخدمة المبدأ والأمة، كما كان رسول الله ﷺ منبعاً يتفجر بالحركة والعطاء الدائم، ومشروعاً متواصلاً لخدمة دينه وترشيده أمته. هذه هي الدلالات الأساسية للمولد النبوي الشريف في معطياتها المباركة.

البعد الحركي للمولد النبوي:

حينما نعيش أجواء الذكرى المباركة للمولد النبوي الشريف يرتسم أمامنا الخط الطويل الذي امتد عبر أكثر من أربعة عشر قرناً من الزمن كانت محملة بالمواقف الكبيرة والملاحم العظيمة في حركة مزدحمة، لم تهدأ في يوم من الأيام.

وحين نقارن بين مرحلة الرسول الأعظم ﷺ وبين مرحلتنا الحاضرة فإننا نجد الكثير من أوجه التشابه، وهذا ما يمكن أن نلمسه في وصف الإمام علي عليه السلام حيث يقول: « بعث الله سبحانه محمداً رسول

الله ﷺ لأنجاز عده وإتمام نبوته، مأخوذاً على النبيين ميثاقه، مشهورة سماته، كريماً ميلاده، وأهل الأرض يومئذٍ ملل متفرقة، وأهواءً منتشرة، وطرائقٌ مشتتة».

إن المقارنة بين المرحلتين من شأنها أن تعمق إحساسنا بالمسؤولية وتضع أمامنا المشوار الطويل، الذي يجب أن نسلكه مستلهمين قيم الرسول ﷺ ونهجه المستقيم، في كل ما نريد أن نخطط له وننفذه.

فلقد كان ﷺ دائبة الحركة، كثير العطاء، حتى لقد عبر عنه الإمام علي العلي في إحدى كلماته الرائعة: «طيبب دواراً بطبه، قد أحكم مراهمه، وأحمى مواسمه، يضع ذلك حيث الحاجة إليه..» وفي مجال الحيوية والعطاء فقد جاء عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إذا قامت قيامة أحدكم وكان بيده فسيلة، فليغرسها» وهذا معناه أن الإنسان يجب أن يكون حركياً في مختلف الظروف وفي أشد المحن والمعاناة، وحتى ساعة موته حيث لا يأمل أن يحصد شيئاً من فساتله أو يقطف من ثمار زرعه، ولكنه يجب أن يزرع ويغرس ويسقي لأن الآخرين قبل الذات، ومشروع العطاء لا يتوقف على كسب المنافع والأرباح في الحياة الدنيا، إنما هناك الآخرة الذي يمتد ولا ينفد.

قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيَحْذَرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْغَالِبِ ﴿٣٠﴾﴾ ﴿آل عمران﴾

لقد بلغ الرسول ﷺ رسالته، بالحكمة والموعظة الحسنة، فكانت الكلمة وسيلة التغيير التي لا تقهر، وها نحن مدعوون لأن نعطي للكلمة دورها الحضاري في مسار الرسالة، فمنحها الدور المحمدي في التأثير والتبليغ والدعوة إلى الإسلام.

إننا في زمن صراع الكلمة وأزمة الهوية والثقافة والأفكار، فيجب أن نعتز بهويتنا الإسلامية وفكرنا الأصيل وأن يكون خطابنا الثقافي والإعلامي عبر الكلمة الهادية، القوية، الواثقة، المطمئنة بعيداً عن الكلمة الهزيلة، والخطاب المهزوم.

مولد الإمام جعفر الصادق عليه السلام:

ونقف في ذكرى مولد إمامنا جعفر بن محمد الصادق عليه السلام الذي يمثل الامتداد الرباني لخط رسول الله صلى الله عليه وآله والعمق الرسالي لدوره في حياة الأمة، حيث حمل الرسالة وحافظ على أصالتها من التشويه والتحريف والتزوير في زمن كان الإسلام مهدداً من داخله في عقائده وأحكامه وقيمه وأخلاقه. قال عليه السلام: «حديثي حديث أبي، وحديث أبي حديث جدي، وحديث جدي حديث الحسين، وحديث الحسين حديث الحسن، وحديث الحسن حديث أمير المؤمنين، وحديث أمير المؤمنين حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وحديث رسول الله قول الله عز وجل»^(١).

كما الإمام الصادق عليه السلام وضع الإطار والأسس والمرتكزات لبناء الجماعة الصالحة التي تمثل النخبة الواعية من العلماء والفقهاء والرواة والمجاهدين الذين حملوا تراث الإمام الصادق عليه السلام وأفكاره وعبروا بها إلى الأجيال القادمة.

(١) أصول الكافي / ١ / ٥٣ باب النوادر حديث / ١٤.

فقد نقل العلامة السيد محسن الأمين العاملي: «إن الحافظ بن عقدة الزيدي جمع في كتاب رجاله أربعة آلاف رجل من الثقة الذين رووا عن جعفر بن محمد فضلاً عن غيرهم وذكر مصنفاتهم»^(١).

وبهذا استطاع الإمام الصادق عليه السلام أن يرسى قواعد فكرية أصيلة لمدرسة أهل البيت استكملت منهج النبي صلى الله عليه وآله وحصنت الأمة من الذوبان والضياع في متاهات التيارات الفكرية والسياسية المنحرفة، ونشرت هذه المدرسة المباركة علوم الإسلام في شتى الآفاق، واستمر عطاؤها الثرى يحرك في جسم الأمة عناصر الإبداع والقوة والمواصلة.

ولعل مقولة مالك ابن أنس: «ما رأيت عين ولا سمعت أذن ولا خطر على قلب بشر أفضل من جعفر بن محمد الصادق علماً وعبادة وورعاً»^(٢). وهي مقولة تجمع التعبير كله حول علم الإمام الصادق عليه السلام ودوره المتميز في حياة الأمة الإسلامية وعظمة شخصيته في التاريخ. خصوصاً إذا أضفنا إليها ما رواه الخوارزمي «٥٦٨هـ» عن أبي حنيفة أنه قال: «ما رأيت أفقه من جعفر بن محمد عليه السلام. وقال كذلك: لولا السنتان لهلك النعمان»^(٣). مشيراً إلى السنتين اللتين حضر فيهما لأخذ العلم عند الإمام جعفر الصادق عليه السلام.

إننا ورثة مسيرة طويلة لا تقبل التردد والتراجع، وليس أمامنا إلا خيار المواصلة والعمل الدؤوب من أجل أداء واجبنا الشرعي، ومسؤوليتنا التاريخية لخدمة أبناء وطننا العراق، والتي تتزايد مهامها مع

(١) أعيان الشيعة: ١ / ٦١١.

(٢) تهذيب التهذيب: ٢ / ١٠٤.

(٣) مناقب أبي حنيفة: ١ / ١٧٢.

تزايد التحديات المضادة للإسلام ودعائه في كل ساحة من ساحاته وفي كل موقع من مواقعها.

إنها مسؤولية متسعة بسعة مجالات المواجهة الحضارية بين الإسلام وأعدائه والتي تتحرك على ميادين متنوعة وبوسائل متجددة على الدوام. وجامعة الإمام جعفر الصادق عليه السلام ليست رقما يضاف إلى الأرقام الأخرى في قائمة الجامعات والمؤسسات التعليمية الجديدة في العراق إنما هي عنوان جديد لهوية أصيلة ترتوي من المنابع الأولى لتراث الأمة وتنطلق برؤى حديثة تنسجم مع متطلبات العصر ومستجداته.

لقد كانت هذه الجامعة بكل مفرداتها ومناهجها ممنوعة في الحقبة المظلمة وبذلك حرمت الأمة من بركاتها، فيجب علينا اليوم أن نجعلها تقف إلى مصاف الجامعات العالمية الرصينة، بما تمتلكه من أصالة في التاريخ ووضوح في الرؤية وتطلعات نحو آفاق المستقبل.

(٢)

منهج البحث التاريخي عند الامام الشهيد السيد محمد باقر الصدر فدك في التاريخ إنموذجاً

خصائص مدرسة الشهيد الصدر

أجمع الباحثون ورجال الفكر والمعرفة على اختلاف انتماءاتهم ومشاربهم الفكرية والسياسية على إن الإمام الشهيد الصدر مدرسة رائدة ذات أبعاد متعددة وأفاق رجة بكل ما يحمل عنوان المدرسة من مضامين ودلالات موضوعية.

وهو معلّم شاخص استطاع أن ينقل الفكر الإسلامي من حالة الجمود والمراوحة والدفاع عن نفسه الى حالة التآلق والتصدي والهجوم على التيارات الوضعية ذات النزعة المادية والبعد الواحد.

وأجمعوا أيضاً على إن عملية التأسيس، والتأصيل، والعمق، والشمولية، والإبداع، والدقة، والتجديد، والريادة، والنقد الموضوعي، والأمانة العلمية، والترابط المنهجي، والإصلاح التعليمي والاجتماعي وحمل هموم الأمة والجهاد والمواجهة السياسية حتى الشهادة هي العناصر البارزة الحية والمرتكزات الأساسية لمدرسة الإمام

الشهيد الصدر الفكرية والسياسية والجهادية من دون مبالغة أو تهويل أو ادعاء.

ويبدي أكثر المفكرين والكتاب العرب شعورهم بالحزن والأسف بسبب أن تعرفهم على أعمال وإبداعات الشهيد الصدر الفكرية جاءت متأخرة جداً، ولو أنهم أطلعوا على مشاريعه وأفكاره في وقت مبكر لتغيرت كثير من قناعاتهم ونظراتهم في إطار قضايا الفكر وشؤون المجتمع.

ولا شك في أن التعتيم الإعلامي والحصار الأمني الذي فرض من قبل النظام البعثي المباد على مدرسة الإمام الشهيد الصدر ومشاريعه الفكرية منذ التمع شخصيته وظهور أفكاره في النجف الأشرف في بداية الستينات من القرن الميلادي الماضي، حال دون اطلاع النخب المثقفة في العالم العربي والإسلامي على منجزاته وإبداعاته.

وهذا ما صرح به العديد من الباحثين والمفكرين إذ فجعوا بقصة شهادته الأليمة، أمثال الفيلسوف الدكتور زكي نجيب محمود، و الدكتور حسن حنفي من مصر، والدكتور القانوني شبلي ملاط من لبنان، والمؤرخ الفلسطيني حنا بطاطو الذي أرّخ للعراق واكتشف من خلاله أهمية الشهيد الصدر وموقعه السياسي، والفكري، والاجتماعي في حاضر العراق ومستقبله، والدكتور محمد عبد اللاوي رئيس قسم الفلسفة ووحدة البحث العلمي في جامعة وهران في الجزائر الذي كرس سنوات طوالياً من حياته العلمية في دراسة أفكار الإمام الشهيد الصدر وقدم كتابه القيم «فلسفة الصدر» وهو دراسات وبحوث بالغة الأهمية في مدرسة الصدر الفكرية، وقد تميزت بحوثه

بالرصانة، والدقة، والنقد، والتحليل إذ جاءت على وفق أصول البحث العلمي بعيداً عن المناهج الوصفية والتقريبية والخطابية.

ومما يلفت النظر إن مدرسة الشهيد الصدر الفكرية لم يسجل عليها نقدٌ أو مؤاخذه ذات قيمة علمية تستحق الذكر، ما خلا بعض الملاحظات المتعلقة ببعض الأفكار التي تحتمل بطبيعتها تعدد الآراء واختلاف وجهات النظر. وهذا إن دل على شيء إنما يدل على صلابة أفكار هذه المدرسة وقوة منهجها وحصانة أسلوبها.

والشيء الذي ميز كتابات الصدر من غيرها من الكتابات والأعمال إنها كانت إجابات لمشكلات عصره وقضايا أمته. ولم تصدر عن وحي الترف الفكري الجانح في الخيال والتنظير المجرد. وهذا ما جعل أعمال الشهيد الصدر تحدث نقلة نوعية وتحولاً كبيراً في عالم الفكر وقضايا المجتمع.

ومن الجدير بالذكر إن مؤلفات الشهيد الصدر التي قدمها لنا لا تعبر عن تمام مشروعه وتراث مدرسته، فقد غادرنا على عجل وهو يحمل في عقله وقلبه المزيد من المشاريع والأفكار والهموم التي كان ينوي عرضها وبثها لأبناء جيله والأجيال القادمة، لتعالج مشكلات الحياة الإسلامية وما تفرزه من قضايا وتعقيدات على مستوى الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية للفرد، والجماعة، والنظام، والدولة.

من هنا يتحتم على تلامذته، وجميع المهتمين بتراثه، ومعطيات مدرسته الرائدة، التواصل مع أفكاره، وإحياء تراثه، واستلهاهم مكنوناته، ومفرداته ومحاوله إكمال مشاريعه التي لم تكتمل بعد،

وهي بلا شك بحاجة الى كثير من الاهتمام والدراسة والتحقيق، وذلك بالاعتماد على أدوات البحث والمنهج العلمي، الذي استخدمه الصدر في أعماله وإبداعاته المعرفية، والتحلي بالروح المعنوية التي امتاز بها وعدم الانحياز والموضوعية والشجاعة، والسعي الى إشاعة ثقافة البناء والتنمية. وإذا كان الشهيد الصدر قد بدأ مدرسيا في جامعة النجف الاشرف العريقة ذات الألف عام. ففيها، أصوليا، فيلسوفا، مبدعا، فانه خاض ميادين معرفية أخرى تجلّى فيها إبتكاره وتجديده واستقلال رأيه سواء أكان ذلك في موضوع البحث، أو أسلوب المعالجة وهذا ما يظهر جليا في دراساته الاقتصادية، والقرآنية، والتاريخية.

بدايات العلاقة مع التاريخ

وإذا كان الباحثون والمثقفون قد بهرتهم بحوث الصدر ودراساته، الاقتصادية والفقهية والفلسفية، بوصفها أبرز العلامات الشاخصة في مدرسته الفكرية، وأخذت منهم حيزا كبيرا من الجهد والاهتمام، فان موضوع التاريخ وهو العلم الذي ولع فيه الشهيد الصدر منذ شرح شبابه يشكل مرجعا وأساسا في رؤيته للأشياء، ومنهج تفكيره في البحث العلمي باعتبار أن التاريخ يعطي للباحث بدايات الأشياء ومسارها وتحولاتها عبر الزمن، وهذا ما تمثل في كتاباته، وقراءاته لموضوعات تاريخية مهمة في الحياة الإسلامية. التي كان لها انعكاسات اجتماعية، وثقافية، وسياسية، وتربوية على صعيد الفرد، والأمة، والدولة.

وأعمال وكتابات الشهيد الصدر في مجالات التاريخ عديدة ومتنوعة كان من أبرزها، بحثه المكثف في الولاية والإمامة ونشأة الشيعة

والتشيع ، وهو مقدمة أعدها لكتاب « تاريخ الشيعة الأمامية وأسلافهم حتى القرن الرابع عشر الهجري » للدكتور عبد الله فياض .

وهذا الكتاب وان كان يبدو بحثاً مقتضباً ودراسة موجزة جداً بوصفه مقدمة لكتاب الدكتور فياض الا انه يعدّ دراسة تاريخية مهمة في موضوعها ، حيث طبق الامام الشهيد الصدر منهجه العلمي العام في هذه الدراسة والقائم على حساب الاحتمالات ، إذ حصر البحث الشائك والمعقد في مستقبل الرسالة بعد رحيل وغياب الرسول الاعظم ﷺ في ثلاث احتمالات هي :

إما الاهمال والسلبية المطلقة من مصير الرسالة ومستقبلها ، وإما اتباع نظام الشورى ، وإما التمسك بنظرية النص والتعيين .

وقد ابطل الصدر الاحتمال الاول والثاني ، وأبقى على الاحتمال الثالث حسب الدليل والبرهان الذي تقتضيه طبيعة الاشياء ، وينسجم مع منطق العقل ، والشرع في آنٍ واحد .

وذلك كون ان الاحتمال الاول وهو يعني موقف الاهمال واللامبالاة والسلبية المطلقة من قبل الرسول ﷺ لمستقبل الرسالة أمر غير معقول ، وان الاحتمال الثاني الذي يعني فكرة الشورى ونظام التوافق لقيادة الامر بعد رسول الله ﷺ لم يسعفه الدليل وبالتالي فهما احتمالان يفتقدان الى الحجية الشرعية والدليل التاريخي ، فلم يبقَ امامه في منهج البحث الا الاحتمال الثالث وهو القائم على النص والتعيين لمنصب الامامة وقيادة الامة بعد رسول الله ﷺ فقد اثبت صحة هذا الاحتمال ليس وفقاً لمنهج علم الكلام وأدواته العقلية والرياضية فحسب .

بل عالج الصدر قضية الامامة من جميع جوانبها برؤية تحليلية شاملة، حسب طبيعة الظروف ووقائع التاريخ وما يقتضيه النص والعقل السليم في هذا الموضوع الخلافي الاول بين المسلمين.

وعلى هذا يمثل بحث الصدر في الامامة رغم ايجازه، خلاصة الاسس والمرتكزات لمنهج العلمي في حقل التاريخ.

واما عن دراسته التاريخية الاخرى والتي هي: « دور الائمة في الحياة الاسلامية » وأصل هذا الكتاب بحث كان قد القي نيابة عن الامام الشهيد الصدر سنة ١٣٨٦هـ في الجلسة الخامسة للموسم الثقافي الأول لجمعية الرابطة الادبية في النجف وقد نشرته مجلة « الايمان » في عددها « ٣ - ٤ » من سنتها الثالثة ١٩٦٧م ١٣٨٧هـ.

وقد تعرض الامام الصدر في هذا البحث الى المنهج الترابطي المتكامل في فهم وكتابة سيرة وحياة اهل البيت عليهم السلام والتي حددها بنمطين من الفهم والتحليل:

الأول: المنهج التجزيئي: وهو المنهج الذي يتناول حياة اهل البيت عليهم السلام كحلقات منفصلة غير مترابطة بخط موصول وفهم مشترك.

اما الثاني: وهو المنهج الكلي المترابط الذي يتناول سيرة اهل البيت عليهم السلام لكون الامامة حقيقة ربانية واحدة تمثل العنصر المشترك في حياتهم ومسيرتهم ومواقفهم.

وكانت هذه المقالة نقطة البداية لعدد من المحاضرات والبحوث شكلت مجموعها فيما بعد الكتاب المذكور.

أما بحثه في «سنن التاريخ» والذي هو عبارة عن فصل من مجموعة محاضرات كان قد ألقاها الشهيد الصدر في «التفسير الموضوعي» على تلامذته وغيرهم في السنة الأخيرة من عمره الشريف في مسجد الشيخ الطوسي، وهي السنة التي نعى فيها نفسه الزكية بقوله:

«أنا الآن استوفيت هذا العمر... ومن المعقول جداً ان اموت في السن التي مات فيها أبي ... وأخي»^(١).

وفي هذا البحث «سنن التاريخ» قد تناول الصدر القوانين والسنن التي تتحكم بمحركة ومسيرة الانسان، وقد استشهد بعدة شواهد قرآنية وتاريخية في هذا المجال.

وآخر كتاب له في هذا الباب كتاب: «أهل البيت .. تنوع أدوار ووحدة هدف» وهو مجموعة محاضرات ألقاها الشهيد الصدر على تلامذته في مناسبات وفيات الائمة الاطهار عليهم السلام وهي فترات العطل الدراسية في النجف الأشرف.^(٢)

هذه اهم الدراسات والبحوث للشهيد الصدر في المجال التاريخي، اضافة الى الاشارات والمقتبسات التاريخية المتناثرة في كتبه الاخرى والتي وظفها الصدر في بحوثه ودراساته أروع توظيف وكان منها:

حديثه حول «المحنة» والذي ذكر فيه قصة صمود المحدث الجليل: «محمد بن ابي عمير الازدي» امام الجلادين، في سجون الطاغية

(١) ينظر حديثه المؤثر في محاضرته: «حب الدنيا».

(٢) وهذا يعني أن الشهيد الصدر لم يكن يتمتع براحة أو استرخاء في أيام العطل الدراسية مكرساً كل وقته وساعات فراغه للبحث والدراسة والتنقيب وهذا درس عملي ينبغي أن نتعلمه من السيد الشهيد حتى نستطيع مواجهة التحديات الكبيرة وتعويض ما خسرناه من الزمن.

هارون العباسي، وقصة القائد المغاربي الشجاع يوسف بن تاشفين الذي خاض غمار البحر من اجل نصره المسلمين في اسبانيا في القرن الخامس الهجري. ومحاضراته في «حب الدنيا» التي ذكر فيها درساً اخلاقياً لكل العاملين في سبيل الله مستلهماً من قصة اعتقال الامام موسى بن جعفر عليه السلام من قبل هارون الرشيد، وكيف ينبغي ان يستفيد منها العلماء والعاملون في تهذيب النفس ومواجهة التحديات وهي آخر محاضرة ألقاها في هذا المضمار قبل استشهاده.

وهناك دراسات تحليلية ومقالات معمقة في مجال التاريخ وفلسفته وتوظيف احداثه نشرت على شكل دراسات ومقالات في المجلات والدوريات العربية والإسلامية، اضافة الى الاشارات الخاطفة التي بثها في عموم تراثه ومؤلفاته خصوصاً كتابه الكبير «اقتصادنا».

واما كتاب «فدك في التاريخ» فهو أول بحث تاريخي للإمام الشهيد الصدر في النجف الاشراف عالج فيه مشكلة من أعقد مشكلات التاريخ وهو في السابعة عشرة من عمره الشريف وهو ما نص عليه المختصون بكتابة سيرته وترجمة حياته الفكرية.

ويعد هذا الكتاب الدراسة الاكثر عمقاً وشموليةً في مجال البحث التاريخي لاعتبارين اساسيين:

الاول: انها اول دراسة تاريخية في حياة الامام الشهيد الصدر اثبت من خلالها انه صاحب رأي ومنهج ويمتلك استخدام ادوات البحث العلمي في مجال التاريخ بموضوعية وكفاءة.

الثاني: ان موضوع «فدك في التاريخ» من الموضوعات الحساسة بوصفها انها اول قضية خلافية في حياة المسلمين، ولها ابعاد عقائدية،

وفقهية ترتبط بموقع الامامة والخلافة بعد رسول الله ﷺ وموضوع الوراثة في حياة الانبياء.

وكل هذه الجوانب والابعاد تحتاج الى دقة في التعامل وشفافية في الاسلوب والمعالجة.

التعريف بكتاب فذك

مارس الامام الشهيد الصدر عملية الكتابة والتأليف منذ نعومة اظفاره، حيث صنف في تلك الفترة من عمره الشريف جملة من الدراسات والابحاث الفكرية والتاريخية والمعرفية.

وكان في طليعة ما كتب «رسالة في علم المنطق» وهي عبارة عن دراسة تضمنت ملاحظات نقدية ومؤاخذات في منهجية وأفكار وقواعد كتب ومصنفات علم المنطق.

والتي دوّنها إبان اشتغاله في دراسة هذا العلم على يد أخيه الأكبر وأستاذه سماحة آية الله السيد اسماعيل الصدر «رحمته» ولربما تعتبر هذه الرسالة في نظر الكثير من تلامذته والمهتمين بمدرسة الامام الشهيد الصدر وتراثه، أول المؤلفات التي كتبها الشهيد الصدر في حياته.

ثم تلا بعد هذا المصنف مؤلف آخر تحت عنوان «العقيدة الألهية في الاسلام» وهو كتاب ألفه الصدر أيام شبابه في مدينة الكاظمية المقدسة مسقط رأسه.

وقد نص عليه الشهيد الصدر في كتاب «فدك في التاريخ» وأقتبس منه بعض المقاطع والعبارات.^(١) ولا نعرف بالضبط منهج هذا الكتاب وما يحتوي عليه من موضوعات وعناوين، وذلك نظراً لكونه لم يطبع ولم ينشر بين الناس، ولعل مصيره أضحى من بين الكتب والاعمال الفكرية والعلمية الاخرى التي صادرتها السلطة الجائرة وأتلفتها.^(٢)

يبدو ان العبارات التي استشهد فيها الصدر واستعان بها في كتاب فدك، كانت توحى أن هذا الكتاب كان مؤلفاً في علم الكلام والفلسفة، حيث أن عنوانه والقرائن التي تحف به والصيغات المبتوثة في هذا الكتاب أفصحت عن حالة طبيعته.

وأنه عبارة عن كتاب خاص حول اصول العقيدة الاسلامية، وأن الشهيد الصدر أراد أن يبين ماهيتها والاستدلال عليها بالبراهين العلمية والفلسفية وفق منهجه العلمي الجديد.

ولما هاجر الامام الشهيد الصدر الى مدينة النجف الاشرف في النصف الثاني من عام ١٩٤٦م قاصداً الحوزة العلمية لاكمال دراساته في الفقه والاصول والفلسفة بهذه الجامعة العريقة ذات الالف عام.

كان أول تأليف له فيها هو كتاب «فدك في التاريخ» والذي يعد في نظر الكثير من العلماء والباحثين أهم دراسة تاريخية، وعلمية، وفقهية، وعقائدية في هذا الموضوع.

وقد اختلف تلامذة الشهيد الصدر والمهتمين بترائه، عن تاريخ تأليف هذا الكتاب، فذهب البعض الى أن الشهيد الصدر قد ألف

(١) ينظر: كتاب فدك / ١٠٢ - ١٤٨.

(٢) انظر: نص الوثيقتين في اخر الكتاب.

كتاب فدك وهو لا يزال في الحادي عشر من عمره وقيل الرابع عشر،
وذهب آخرون إلى أن هذا الكتاب قد انجزه الشهيد الصدر وهو في سن
السابعة عشر وهذا ما نرجحه، وقيل الثامنة عشر، في حين ذهب قسم
آخر إلى جعل هذا الكتاب من تأليفات الصدر أيام شبابه دون التقيد
بتحديد سنة معينة له، وذلك عملاً واعتماداً على ما ذهب إليه الصدر
في مقدمة هذا الكتاب أنه كتبه في مطلع شبابه جاعلاً منه مذكراً يؤرخ
حياته الفكرية في الكتابة والتأليف.

وحيث أن هذا الكتاب لم يكن في نية وحسابات الشهيد الصدر
طبعه ونشره يوم ذاك لضعف ذات اليد.

وكان جلُّ اهتمامه منصباً على كتابه «غاية الفكر في علم أصول
الفقه» الذي كان يتطلع إلى نشره وبثه في الجامعة الدينية في النجف
الاشرف لاحساسه أنه جهد علمي وفكري مثّل فيه رأءه، وأبداعاته،
ومطارحاته لأقوال العلماء ومناهجهم ومبانيهم الفقهية والأصولية.

وحين عرض هذا الكتاب على المرحوم الحاج محمد كاظم الكتبي
صاحب المكتبة الحيدرية الشهيرة، فقد سارع الحاج الكتبي على
موافقته لطبع كتاب «غاية الفكر» في قبال أن يعطي الشهيد الصدر
الحق إليه في طباعة كتاب «فدك في التاريخ» لما لهذا الكتاب من أهمية
عقائدية وأقبالٍ من قبل الباحثين والقراء.

وقد وافق الامام الصدر على ذلك ولم يبد أي ممانعة في هذا الامر.

وقد طبعا الكتابان في سنة واحدة أي في عام ١٣٧٤هـ وتلاقفته
الايدي والمكتبات ونفذا من السوق بسرعة عجيبة.

ونظراً لأهمية كتاب فدك وصداه في اوساط العلماء وبين الناس ، فقد أعيدت طبعته عدّة مرات ، وترجم الى اللغة الفارسية ، ولا يزال هذا الكتاب هو الأهم في مضمونه واسلوبه رغم كتابات وبحوث الكثيرين عن قضية فدك وملابساتها. وقد أثّرت على كتاب فدك بعض الظنون والمدعيات ، كان أهمها أن الشهيد الصدر كان لا يرغب في اعادة طباعة «فدك» وقد منع طلابه واصحابه من ذلك ، لكون هذا الكتاب لا ينفع المرحلة المعاشة ، ومن شأنه أن يثير الحساسية المذهبية والطائفية وقد يزيد القطيعة والفجوة بين المسلمين ، وهذا ما يستشف من الرسالة التي بعثها الامام الصدر الى الاستاذ الباحث حسن الامين ، والتي جاء فيها :

«... وفي نفس الوقت فانا لا ارجح اعادة نشر الكتاب نظراً الى طبيعة موضوعه وملابساته العاطفية ، وأرى ان العمل الفكري الايجابي المستقل افضل من الدخول في المناقشات المذهبية مهما كانت موفقة وعميقة..»^(١).

وقد نستوحي من ذلك ان الشهيد الصدر لا يشجع على طباعة كتاب «فدك» خصوصاً بعد تصديه للمرجعية الدينية واصدار رسالته العملية «الفتاوى الواضحة». وطلب البعض طباعة هذه الرسالة الفقهية في مصر وهي الرسالة المتميزة باسلوبها ، ومنهجيتها وتبويبها الفقهى الجديد.

ففي الرسالة التي ابرقها الشهيد الصدر في ١٩ / ذي الحجة ١٣٩٦ هـ الى الشيخ علي الاسلامي ، حيث يقول :

(١) محمد باقر الصدر.. السيرة والمسيرة في حقائق ووثائق ١ / ٢٢٣.

«...وقد تحققت بدايات بعض الآمال التي أسعى الى تحقيقها، فأني كنت افكر ان المرجعية النائية عن الامام الصادق عليه السلام إذا استطاعت ان تقدم احكام الشريعة في اطار فقه اهل البيت عليهم السلام بلغة العصر، ومنهجة العصر، وبروح مخلصه فسوف تستطيع ان تقنع عدداً كبيراً من ابناء اهل السنة بالتقليد للمجتهد الامامي باعتباره اجتهاداً حياً وواضحاً على مستوى العصر، وبذلك يعود نائب الامام الصادق عليه السلام مرجعاً للمسلمين عموماً، كما كان الامام كذلك ويكون هذا التقليد مرحلة للانتقال الى التشيع الكامل، وهذا ما تحققت بوادره، لان بعض المدرسين المثقفين من السنة في بغداد راجعوني طالبين تحويل تقليدهم من ابي حنيفة الى الفتاوى الواضحة، وعلى هذا الاساس فقد قررنا طبع «الفتاوى الواضحة» في القاهرة انشاء الله تعالى ليقدم صورة واضحة للفقهاء الامامي المليء تقوى وورعاً وايماناً بين يدي المتعلمين من ابناء مصر»^(١)

ان هذه الرسالة والتي سبقتها هي ابرز ما يسجل لاثبات الرأي القائل بمعارضة الشهيد الصدر لطباعة كتاب «فدك» ونشره.

في حين ان هناك رسائل أخرى تقابل هذه الرسالة سمح فيها الشهيد الصدر بشكل واضح وصريح من اعادة طبع كتاب «فدك في التاريخ» ونشره، وتعميمه في العالم العربي والاسلامي.

وحتى أجاز ترجمته كما في الرسالة التي كتبها الشهيد الصدر في بداية السبعينات الميلادية الى السيد احمد الحسيني الاشكوري والتي قال فيها:

(١) محمد باقر الصدر.. السيرة والمسيرة في حقائق ووثائق ١ / ١٥٩.

«... وأما موضوع ترجمة كتاب «فدك» فأمره موكول اليكم فان اهتمامكم بالكتاب كاهتمامي، فانتم مأذون في اجازة الترجمة اذا رأيتم انها كاملة ومناسبة لفظاً ومعنى» (٢).

وما بين هذه وتلك تكتمل الصورة لدى القارىء الكريم، وتتبدد جميع المزاعم والمدعيات في ان الشهيد الصدر لم يقف موقفاً سلبياً حيال كتاب «فدك» الا لكون المرحلة التي تصدى فيها كمرجع للامة ورائد من رواد الاصلاح تتطلب التخلي بعض الشيء عن نشر ومزاولة الموضوعات التاريخية المثيرة، والحساسة.

وان كان البحث في التاريخ الاسلامي بشكل عام حساس ومثير للخلاف والجدل. وفي ضوء ذلك فأن الامام الشهيد الصدر وفي المرحلة التي عاشها وهي مرحلة عصبية ومعقدة كان يقدر وضع المسلمين ويراعي حالهم ويتألم لما يجري عليهم من احداث وظروف، لأنه كان يرى أن المؤامرات والمخططات المعادية للاسلام والمسلمين لا تفرق ولا تميز بين مذاهبهم ومدارسهم وإنما كانت تستهدف جميع المسلمين اينما كانوا.

ورغم ما يعصف بالمسلمين من أزمات وصراعات، فقد كان الشهيد الصدر لا يرى ان ذلك يمنع من أن يقوم العلماء والمفكرون بفتح باب الحوار العلمي لدراسة قضايا الأمة الاسلامية خصوصاً تلك المسائل التي لها عمق وامتداد تاريخي كبير في حياة الامة على اختلاف مواقعها.

(٢) محمد باقر الصدر.. السيرة والمسيرة في حقائق ووثائق ١ / ٢٢٤.

لأن عوامل اختلاف المسلمين في نظر الامام الشهيد الصدر لا تنشأ دائماً من التاريخ وأحداثه.

وإنما تنبثق عادة من الفهم الخاطيء لقراءة التاريخ، أو من النوايا الخبيثة والاغراض السيئة لتلك المسائل التاريخية. ولعل المتطرفين والمتشددين والجاهلين من كل أمة ومذهب هم وراء جميع ما يحدث في المسلمين من تصدع واختلاف وتنازع.

أما المؤرخ الموضوعي الذي يكون ميزانه البحث والتحقيق والعلم والاخلاص، فإن دراسته وتحقيقه للتاريخ يختلف تمام الاختلاف عن أولئك الذين يسعون الى تأجيج النعرات الطائفية والبغضاء بين المسلمين بدل كشف الحقيقة واعتماد الحوار والدليل والبرهان...

وهذا ما تجسد لدى الشهيد الصدر في دراسته التاريخية لقضية «فدك» إذ أنه لم ينجرف وراء العواطف والموروثات ولم ينطلق من العقد والمسبقات، وإنما تعامل مع التاريخ بمسؤولية وحياد. لأنه كان يرى سهولة الأمر أن يحاكم أحدنا التاريخ أو يحاسب اشخاصه لكونهم قد خانوا الامانات او تنكروا للحقائق والحقوق. ولكنه من المعيب جدا ان نكون نحن مثلهم نفتقد الحياد والموضوعية والامانة العلمية ونحاز وراء الاهواء والتعصب والعواطف.

القيمة العلمية لكتاب فدك في التاريخ

ومن خلال متابعتنا لمن كتب عن تراث الصدر ومدرسته الفكرية نلاحظ أن هناك غفلة وعدم اهتمام وتركيز من قبل الباحثين على كتاب «فدك في التاريخ» ولعل ذلك يرجع الى عدة أسباب وتبريرات منها:

١- إن هذا الكتاب يعدُّ أول مصنف كتبه الصدر في أيام شبابه وقد لا يرى بعضهم انه يمثل صيغة النضج الكاملة والمستوى المعرفي المتألق كما يمثله كتاباه الخالدان «اقتصادنا» و«فلسفتنا» مثلاً.

٢- قد يكون كتاب «فدك» مدعاة لإثارة التعصب المذهبي والحساسية الطائفية في مرحلة تاريخية معينة، وهو أمر لا ينسجم مع منهج الشهيد الصدر بوصفه رائداً من رواد الوحدة الإسلامية والتقريب بين المذاهب الفقهية.

٣- إن الكتاب يتناول مسألة تاريخية موهلة في القدم ولا علاقة لها بالواقع ويجب أن تنصب الجهود والاهتمامات على القضايا المعاصرة.

٤- إن قضية فدك قد تناولها المؤرخون القدامى في موسوعاتهم التاريخية وقد لا يكون لكتاب الصدر أي جديد أو إبداع فيها يستحق الدراسة والتأمل.

وفي معرض الإجابة عن هذه الملاحظات والتبريرات التي يدعيها بعضهم على كتاب «فدك في التاريخ» فإننا نعتقد أن هذه المؤاخذات غير صحيحة، وإنها تفتقد للدقة و بعد النظر كونها بخست حق هذا الكتاب، ولم تستوعب أبعاده ومضامينه بعمق لأنه وإن كان أول تجربة في التأليف العلمي للشهيد الصدر.

الا انه يمثل باكورة الأعمال التي كشفت بالنسبة لنا عن ملامح المنهج الفكري وأسلوب المعالجة الموضوعية في قضية حساسة وخطيرة في تاريخ المسلمين ، وذلك باستخدامه أدوات البحث العلمي الرصين الذي يسعى لاكتشاف الحقيقة بعيداً عن التعصب والأحكام المسبقة فضلاً على ان مسألة حجم الكتاب أو صغر عمر الشهيد الصدر يوم تأليفه ليست ملاحظة أساسية في تقويم البحوث والدراسات العلمية ذلك ان المعيار في تصويب المنجز المعرفي يرجع الى تحديد مرتكزات المنهج وقوة الأفكار والقدرة على معالجة المشكلات التي تمخضت عنها مسار البحث وهي في هذا المجال نسيج واحد يلمحه الباحث في كل مصنفات وآثار الصدر الفكرية، ابتداءً من كتابه «فدك في التاريخ» وحتى إبداعه الكبير «الأسس المنطقية للاستقراء».

ولعل من المبالغة بمكان ان يقال ان كتاب فدك يثير النعرات المذهبية والحساسية الطائفية بين أبناء الأمة الواحدة على طول الخط وفي كل المراحل ، واذا صح هذا المنطق فإننا يجب ان نعطل كل قضايا التاريخ والسيرة النبوية ومناقشات مسائل العقيدة وعلم الكلام ، والحوار في الفقه والمسائل الاجتهادية وهذا يتعارض مع منطق القرآن الذي تناول بالآيات البينات أهم مسائل العقيدة والأحكام الشرعية ونقد كثيرا من الأقوام وهاجم المنافقين وشجب العادات السيئة والتقاليد الموروثة ولم يكثرث بالعواطف والرغبات والأهواء.

وأخال إن هذا الاتجاه يريد ان يقضي على ممارسة الحوار والنقد والبحث العلمي والاجتهاد في صنوف المعرفة وأحداث التاريخ ، ولكننا نشاطر الرأي القائل بتأجيل البحث وغلق باب الجدل العقيم في الموضوعات العقيدية والتاريخية ذات الحساسية الخاصة اذا تصدى لها من هو غير مؤهل في البحث فيها ولم يمتلك القدرة على معالجتها على

وفق أصول البحث العلمي واستخدام قواعده وادواته ، أو كانت له
غايات مغرضة لإثارة الفتن وتأجيج النعرات. أما إذا تصدى لها باحثٌ
موضوعي ومؤرخ ضليع كالشهيد الصدر المعروف بأدب الحوار،
والخطاب التقريبي ، والمنهج العلمي وبأسلوب لا يثير اصحاب الرأي
الآخر ولا يبتغي الفتنة بقدر ما يسعى الى اكتشاف الحقيقة من بين
طيات التاريخ وتراكماته المعقدة فان البحث التاريخي سيعطي ثماره في
انجاز مهمة التحقيق والتصحيح.

وأغرب شيء في تسويغ عدم الاهتمام بكتاب فدك أن هذا الكتاب
يمثل موضوعاً موعظاً في القدم ولا يمس شؤون الحاضر والقضايا
المعاصرة !! إذ لم يدرك أصحاب هذا الفهم ان قضايا التاريخ وان
كانت بعيدة عنا بحسابات الزمن ، الا ان لها انعكاسات وتأثيرات
واقعية في حاضرنا ومستقبلنا في مجالات التربية والثقافة ، وادارة الحكم
والسياسة ، وعلينا أن نواجهها بروح موضوعية وشجاعة في البحث
والمعالجة ، وان تأجيلها أو تعطيل البحث حولها لا يعني التقليل من
آثارها ، أو التخلص من إيجاباتها على المستوى الاجتماعي والسياسي
والثقافي.

وعلى هذا لا نرى صواب الاتجاه الذي يتخوف من دراسة التاريخ
الإسلامي ويتردد في محاكمة رجاله وصنّاع أحداثه ، بحجة ان ذلك
العهد قد انتهى ، وإنها أمة قد خلت ، لأننا نعتقد ان التاريخ خط
موصول مترابط الحلقات ، ولا يمكن ان نفهم قضاياها فهماً متكاملًا ،
أو أن ندرك أبعاده ما لم تتكامل رؤيتنا لتلك الأجزاء المترابطة ، ذلك
ان أحداث الماضي تؤثر في الحاضر ويمكن ان تسهم في رسم ملامح
آفاق المستقبل.

وكتاب «فدك في التاريخ» هو الانجاز المعرفي في إطار التاريخ الذي تجاوز تلك الاتجاهات والنظرات القاصرة لحقيقة دراسة التاريخ وتأثيراته في فهم الواقع ومتطلباته.

وبرغم إن الشهيد الصدر كان قد أعدّه ليكون مذكراً له عند الحاجة ، ومؤرخاً لحياته الفكرية وهذا من تواضعه العلمي «³» لكنه كان دراسة وافية كشفت عن نبوغ مبكر وعمق علمي وخبرة متقدمة في قراءة الروايات التاريخية.

ولله در المرحوم الوجيه الحاج الشيخ محمد كاظم الكتبي نجل الشيخ صادق الكتبي صاحب المكتبة الحيدرية المشهورة بخدمة كتب التراث وقضايا العقيدة الذي أسدى لمدرسة أهل البيت عليهم السلام والمكتبة العربية والإسلامية خدمة جليلة حين ادرك هذه الحقيقة فاسرع الى تبنى طباعة ونشر هذا الكتاب القيم الذي لا يزال يعد الانجاز الأهم والأعمق والأشمل في موضوعه.

ولكن المؤسف أن هذا الكتاب برغم أهميته العلمية الكبيرة الا انه لم يحظ باهتمام الباحثين والمهتمين بأعمال وتراث الإمام الشهيد الصدر. ومن هنا وانطلاقاً من ضرورة إحياء تراث الشهيد الصدر بكل مفرداته وانجازاته بوصفه كلاً لا يتجزأ.

جاءت هذه الدراسة الموجزة لتعرف بقيمة هذا الكتاب وأهميته وإبراز مواطن القوة والإبداع في المنهج الذي استخدمه الإمام الشهيد الصدر في دراسة هذه القضية المهمة والحساسة في تاريخ المسلمين.

فدك .. الموقع والتاريخ

جاء في مجمع البحرين: فدك بفتحين، قرية من قرى اليهود بينها وبين المدينة يومان^(١).

وهي قرية حجازية تقع على مقربة من مدينة الرسول ﷺ وهي أرض زراعية غنية بمائها ونخيلها، وكان يسكنها طائفة من اليهود حتى السنة السابعة من الهجرة، ثم أصبحت بعد هذا التاريخ جزءاً من دار الإسلام وذلك حينما ظهرت مكائد اليهود ومؤامراتهم ونقضهم للعهود التي أبرمها الرسول ﷺ معهم فصمم النبي ﷺ على مواجهتهم بعد ان فرغ من يهود خيبر، فدب فيهم الخوف والفرع، إذ قذف الله في قلوبهم الرعب لذا سارعوا الى مصالحة الرسول ﷺ على النصف من قرية فدك، من قبل ان يسير اليهم بنخيل او رجال، وروي أنهم صالحوه على كل الأرض، فكانت فدك لرسول الله خالصة، لأنه لم يوجف عليها بنخيل ولا ركاب^(٢).

وبهذا أصبحت رقبة الأرض وإدارة هذه القرية الزراعية الغنية بالثمرات بيد النبي ﷺ لأنها من الأرض التي لم يوجف عليها بنخيل ولا ركاب، كما نص القرآن الكريم على ذلك بقوله تعالى:

﴿ وَمَا آفَاةُ اللَّهِ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رَسُولَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ ﴾ الحشر.

(١) انظر: مجمع البحرين ٣ / ١٣٧٠.

(٢) انظر: السيرة النبوية - ابن هشام ٣ / ٣٨٤، ولم يوجف عليها: أي لم يجتمع عليها.

وحين نزل قوله تعالى: ﴿وَأَتَتْ ذَا الْقُرْبَيْنِ حَقَّهُ﴾^(١). قدمها النبي الأكرم ﷺ نحلة «هدية» خالصة لبضعته فاطمة الزهراء عليها السلام وبقيت عندها حتى وفاة النبي الأعظم ﷺ ثم خضعت هذه القرية لظروف وملابسات عصبية وسياسات ملتوية ومعقدة.

ويمكن إجمال تلك الأدوار التاريخية التي تقلبت فيها ارض فدك بما يأتي:

- بعد رحيل الرسول الأكرم ﷺ الى الرفيق الأعلى أقدم الخليفة أبو بكر على انتزاع هذه الأرض من الصديقة فاطمة وجعلها جزءاً من ملكية الدولة ومصادر ثروتها.
- وبعد وفاة الخليفة الأول أبي بكر تولى الأمر بعده الخليفة عمر بن الخطاب، الذي أرجع فدك الى ورثة رسول الله ﷺ وهم علي عليه السلام والعباس عم النبي ﷺ.
- ولما توفي الخليفة الثاني قام عثمان بن عفان فاستولى عليها واقطعها الى مروان بن الحكم.
- ولما تولى الإمام علي عليه السلام أمر الخلافة في بيعة عامة انتزعها من يد مروان - ضمن منهجه وسياسته المعروفة بإرجاع الأموال المغصوبة من قبل بني أمية في عهد عثمان بن عفان - وجعلها وقفاً ذرياً لأولاد فاطمة الذين كانوا يصرفون ما زاد عن حاجاتهم من حاصلاتها على فقراء المسلمين وذوي الحاجة منهم، وقد رجح ذلك السيد الشهيد الصدر «قدس سره» في بحثه الذي نحن بصدد الحديث عنه^(٢). ولعل اروع تعبیر للإمام علي عليه السلام حول قضية فدك هو قوله المشوب بالحزن والألم في الرسالة التي بعثها الى عامله على

(١) الاسراء / ٢٦

(٢) انظر: فدك في التاريخ / ٢٧

البصرة « عثمان بن حنيف » في سياق معاتبته وتأنيبه على حضور
مأدبة دعاه اليها الاغنياء والموسرون من ابناء هذه المدينة :

« ..بلى كانت بأيدينا فدك من كل ما اظلمت السماء فشحت عليها
نفوس قوم، وسخت عنها نفوس قوم آخرين، وما اصنع بفدك
وغير فدك والنفوس مضانها في غدٍ جدث.. » ^(١).

وبعد شهادة الإمام علي عليه السلام على يد الخارجي اللعين عبد الرحمن
بن ملجم وتولي معاوية بن ابي سفيان الخلافة بالمكر والخديعة، قام
فاقطع أرض فدك الى ثلاثة أشخاص، ثلثاً لمروان بن الحكم، وثلثاً
لعمر بن عثمان، وثلثاً لابنه يزيد، ولم تزل على هذا الحال حتى
خلصت بالكامل الى مروان بن الحكم.

ولما هلك مروان بن الحكم تولى الخلافة بعده عمر بن عبد العزيز
الذي اراد ان يرد فدك الى أصحابها الشرعيين فعمد أولاً الى شراء
حصص وأسهم هذه الأرض من إخوته، ولما صارت فدك بيده،
قرر ان يرجعها الى أولاد فاطمة عليها السلام الا انه واجه معارضة شديدة من
إخوته حيث قالوا له إن كنت فاعلاً فأمسك الأصل وأقسم الريع
والغلة لمن تريد من أبناء فاطمة عليها السلام وهكذا كان وهكذا فعل.

ثم اغتصبها يزيد بن عبد الملك من أولاد فاطمة وظلت تحت يده
وتحت أيدي أولاد مروان حتى نهاية دولتهم.

وعند قيام دولة بني العباس قام مؤسسها أبو العباس السفاح برد
أرض فدك من بني مروان الى عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي
بن أبي طالب عليه السلام إلا ان هذه الحال لم تستمر بعد ان طمع بعض
خلفاء وحكام بني العباس بهذه الأرض.

ويذكر لنا التاريخ حوار الامام موسى بن جعفر عليه السلام مع الخليفة
العباسي هارون الرشيد الذي سأل الامام عن حدود فك لغرض ان

(١) نهج البلاغة / كتابه الى عثمان بن حنيف.

يردها اليه، فأجابه الامام عليه السلام ان حدودها فوق ما تظن، وأكبر مما تتصور، فألح هارون على الامام عليه السلام بأن يحدها، فبدأ الامام عليه السلام يرسم حدودها المعنوية والرمزية بقوله:

«.. الحد الاول لفدك: عدن. والحد الثاني: سمرقند. والحد الثالث: افريقيا. والحد الرابع: سيف البحر مما يلي الجزر وارمينية..»
و حين أكمل الامام عليه السلام رسمه لحدود هذه القضية توثب هارون مغضباً وهو يقول: هذه حدود الخلافة وهي كل الدنيا. أجابه الامام عليه السلام أجل وهي كذلك^(١). وبعد هذه الحادثة ظلت فدك متداولة بين بني العباس والفاطميين، حتى انتهى بها المطاف الى عبد الله البازيار إذ منحها اليه المتوكل بعد ان انتزعها في اثناء خلافته من الفاطميين.

ثم يحجب التاريخ أخبار فدك ويلوذ بالصمت بعد تلك الأدوار المتقلبة بين السياسات الظالمة وصولاً الى العصر الحديث. وبعد سقوط الدولة العثمانية وقيام الدولة القومية الحديثة في بلاد المسلمين وظهور المملكة العربية السعودية التي اتبعت المذهب الوهابي المتخلف والمعروف بتشدهد وعدائه وتكفيره المسلمين الذين لا يتفقون مع أفكاره وطريقته في فهم الدين وشؤون الحياة ولا سيما أتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام وهذا الاتجاه قد أساء الى الإسلام وحضارته وكان عاملاً معوقاً لمسيرة الإسلام وانتشاره في العالم، وخصوصاً في بلاد الغرب الذي بدأ يفتح على الاسلام بسبب تأثير الجاليات الاسلامية وتصاعد اعداد المهاجرين.

(١) المناقب - ابن شهر اشوب. «بتصرف».

ومن أبرز مظاهر تخلفهم هدم مراقد ومشاهد الأئمة الطاهرين في البقيع، بل جميع المعالم والآثار لمختلف الحضارات والأديان، وكان من بين ما قام به هذا المذهب المشوه طمس معالم فدك وتغيير اسمها إلى «الحائط» وهو اسم لا ينسجم مع طبيعة فدك وتاريخها.

وذلك لإخفاء صورة فدك الفاطمية لأنها تعبر عن ظلامه شاخصه ما انفكت تلاحق الظالمين بالرفض والاحتجاج. بعد هذه التطورات التاريخية لقضية فدك نلاحظ أن الإمام الشهيد الصدر لم يهتم بمتابعة فدك عبر تلك السياسات والعهود، ولكنه كرس دراسته وجهده على أصل القضية وجذورها من حيث التاريخ ومواقف الأنظمة والأشخاص من هذه الظلامه التاريخية.

وبما إن الإمام الشهيد الصدر كان يدرك ويقدر حساسية هذه القضية وأثارها فلم يتعامل معها من منطلق عاطفي أو مزاجي، وإنما اتبع في ذلك المنهج العلمي والمناقشة الموضوعية معتمدا في كل ذلك على مصدر المعلومة الموثوقة والمستندات التاريخية.

فدك .. وقف شرعي لبني فاطمة (عليها السلام)

رجح الإمام الشهيد الصدر ضمن بحثه في قضية فدك إن هذه القرية الحجازية، هي ملك لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) خاصة لا يشاركه فيها أحد وذلك لأنها من الأراضي التي لم يوجف عليها بخيل ولا ركاب. وكان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يتصرف بربعها وغلاتها على اضيافه وعلى فقراء المسلمين وعلى جميع من يمر على هذه الأرض من أبناء السبيل وظلت على هذه الحال مدة من الزمن إلى أن نزل قوله تعالى: ﴿وَمَاتَ ذَا الْقُرْبَيْنِ حَقًّا﴾ فوهبها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) «نحلة» لبضعته الطاهرة فاطمة الزهراء (عليها السلام)

تكريماً لها و عرفانا بجهود أمها خديجة بنت خويلد « ﷺ » التي
ناصرته في أيام المحنة والعسرة ودعوته للإسلام في مكة، وتنزيهاً لبني
فاطمة عليها السلام عما في أيدي الناس من فضول الأموال والصدقات.

ولما تولت فاطمة عليها السلام إدارة نخلتها جعلتها وقفاً لذريتها وما زاد من
ريعها وثمرها يصرف على فقراء المسلمين ومساكينهم وأبناء السبيل
منهم.

وهي سنة أخذتها من سيرة أبيها رسول الله ﷺ عندما كان يبحث
على اشاعة نظام الوقف ومفاهيمه وأعمال الخير والبر ويدعو الى
مشاريع التكافل والإحسان كما جسّد ذلك عملياً في ارض وأموال
مخبرق اليهودي الذي أوصى بكل أمواله أن تكون ملكاً لرسول
الله ﷺ خاصة، ولكن رسول الله ﷺ جعلها وقفاً على الفقراء وذوي
الحاجات من المسلمين^(١).

و حين توسعت الدولة الإسلامية وازدادت حاجات المجتمع
وتعقيداته وبدأ التطور وال عمران يسري شيئاً فشيئاً في الحياة الإسلامية
بدأ الصحابة وذوو القدرة من المسلمين يتبعون سنة رسول الله ﷺ في
نظام الوقف وإشاعة ثقافته في بناء المجتمع المدني حتى روي عن جابر
بن عبد الله الأنصاري انه قال: « ما مات صحابي وهو قادر إلا وترك
وقفاً أو عينا صدقة ».

وهذا الخبر يؤكد انتشار ظاهرة الوقف واتساع دائرته بوصفه مظهراً
من مظاهر العمل الصالح ذلك انه يسهم في تعميق أو اصر الإخاء
والتكافل الاجتماعي وبناء المجتمع المدني المتحضر، بحيث أصبح

(١) انظر: السيرة النبوية - ابن هشام ٣ / ٩٩.

المجتمع الإسلامي الأول نسيجاً منسجماً يشد بعضه بعضاً على قواعد الحب والبر والإحسان. وأهل البيت عليهم السلام هم دعاة الخير ورواد الوقف ومؤسسوه في حياة الناس.

بل إن وجودهم وأشخاصهم هي وقف للإسلام وخدمة للمسلمين والإنسانية فنفسهم ليست أثيرة عندهم وقد طبعت على صنع الخير والبر والإحسان.. كل ذلك لا لأجر ولا لطمع ولكنه ابتغاء لمرضاة الله سبحانه.

أوقاف أخرى للصديقة الزهراء عليها السلام

وليست أرضُ فدك هي أول وقف في حياة الصديقة فاطمة الزهراء عليها السلام بل كانت لها أوقاف أخرى لا تقل عنها أهمية، فقد قال أبو جعفر الباقر عليه السلام لأبي بصير: «ألا أحدثك بوصية فاطمة عليها السلام؟ قلت: بلى، فأخرج حقاً أو سفظاً فأخرج منه كتاباً فقرأه:

بسم الله الرحمن الرحيم.. هذا ما أوصت به فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وآله أوصت بحوائطها السبعة: بالعواف، والدلال، والبرقة، والمبيت «الميثب» والحُسني، والصفافية، ومال أم إبراهيم، الى علي بن أبي طالب عليه السلام، فان مضى عليّ فالى الحسن، فان مضى الحسن فالى الحسين، فان مضى الحسين فالى الأكبر من ولدي، تُشهد الله على ذلك والمقداد بن الأسود الكندي، والزبير بن العوام، وكتب علي بن أبي طالب عليه السلام». قال الشيخ الطوسي والصدوق وروي أن هذه الحوائط كانت وقفاً، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يأخذ منها ما ينفقه على

أضيافه ومن يمر به. فلما قبض جاء العباس يخاصم فاطمة عليها السلام فيها. فشهد علي عليه السلام وغيره أنها وقفٌ عليها» ^(١).

ومن الواضح عند الفقهاء أن الوصية هنا تجري مجرى الوقف والصدقة الجارية في سبيل الله. وهكذا فعل أيضا بعلمها الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بممتلكاته التي وقفها على خالاته ما عشن وعاش أولادهن فإذا انقرضوا فهي لذوي الحاجة من المسلمين، فقد جاء عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام انه قال: «تصدق أمير المؤمنين بدار له في المدينة في بني زريق فكتب:

بسم الله الرحمن الرحيم.. هذا ما تصدق به علي بن أبي طالب وهو حيٌ سوي. تصدق بداره التي في بني زريق صدقة لا تباع، ولا توهب، ولا تورث. حتى يرثها الله الذي يرث السموات والأرض، وأسكن هذه الصدقة خالاته. ما عشن وعاش عقبهن، فإذا انقرضوا، فهي لذوي الحاجة من المسلمين. شهد الله..» ^(٢).

وقوله عليه السلام صدقة لا تباع ولا توهب ولا تورث، هو معنى الوقف الشرعي المؤبد في سبيل الله. وهكذا كانت سيرة بقية الأئمة الطاهرين عليهم السلام وأبنائهم عبر الزمن، لأن الأموال والعقارات ليست ذات قيمة حقيقية عند أهل البيت عليهم السلام إلا بمقدار ما تؤديه من عمل الخير وإسعاف للملهوف ومرضاة الله تعالى. وان قيمة الإنسان في نظر أهل البيت عليهم السلام هي بمقدار ما يعطي لامته من وجوده وفكره ومواهبه على مستوى الأسرة والمجتمع ونشر العلم وتقديم الخدمات في المجالات الإنسانية كافة.

(١) وسائل الشيعة ١٣ / ٣١١.

(٢) وسائل الشيعة ٣ / ٣١١.

قال الإمام الصادق عليه السلام: « ستة تلحق المؤمن بعد وفاته : ولدٌ يستغفر له ، ومصحف يخلفه ، وغرسٌ يغرسه ، وبئرٌ يحفرها . وصدقةٌ يجريها ، وسنة يؤخذ بها من بعده »^(١). وهذا الحديث الشريف يجمع الخير كله ويستوعب مجالات الاحسان في الحياة كافة.

المؤشرات على وقفية فدك

وتأسيساً على ما تقدم نذكر أن هناك عدة قرائن وإشارات أشارت الى وقفية فدك وإنها صدقة جارية في بني فاطمة وذوي الحاجات من المسلمين. وكان من أبرزها الحوار الساخن الذي جرى بين فاطمة عليها السلام والخليفة الأول. إذ قال أبو بكر مخاطباً فاطمة عليها السلام: « كان رسول الله يأخذ من فدك قوتكم ويقسم الباقي ويحمل منه في سبيل الله فما تصنعين بها؟ قالت عليها السلام اصنع بها كما يصنع بها أبي »^(٢).

إن هذا التعامل مع فدك من قبل رسول الله وبضعته فاطمة عليها السلام يؤشر أنها كانت وقفا ذرياً على آل محمد عليهم السلام وما زاد منها كان يصرف على فقراء المسلمين ، وذلك من خلال تأكيد الزهراء عليها السلام للخليفة الأول أنها تصنع بها كما كان يصنع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولكن الخليفة كان يتوجس خيفة من هذا الوقف الذري أن يتحول الى عنصر من عناصر القوة للجهة المعارضة في نظره وحساباته.

والمؤشر الآخر الذي يستفاد منه في تأكيد وقفية فدك هو موقف الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز واعترافه بأحقية بني فاطمة من علي عليه السلام وذلك من خلال كتابه الى واليه على المدينة «أبي بكر بن

(١) الشيخ الصدوق - من لا يحضره الفقيه ٤ / ٢٤٦.

(٢) شرح نهج البلاغة : ٤ / ٢٤٦

عمر بن حزم» ولما اطلع أخوة عمر بن عبد العزيز على موقفه الحازم وتعاطفه مع بني فاطمة عليها السلام نقموا عليه وعاتبوه وقالوا له: «هَجَّنتِ فعل الشيخين» ثم أصروا عليه أن يرتد عن هذا الموقف وقالوا له: «فان أبيت إلا هذا فامسك الأصل واقسم الغلة ففعل».

أي جعل رقبة ارض فدك بيده بوصفه خليفة، وجعل الربيع والغلة لآل فاطمة عليها السلام فحسب.

الشهيد الصدر ووظيفة المؤرخ وصفاته

يرى السيد الشهيد الصدر إن التاريخ الذي يستحق بذل الجهد والتحقيق ومعاناة البحث والالتزام بالموضوعية والحياد هو التاريخ الذي يتحرى الحقيقة ويكشف عن حركة الأشياء والأحداث كما هي في الواقع من دون إضافة أو تغيير أو تهويل سواء وافق ذلك التحري والاكتشاف رأي ومقاصد المؤرخ أم خالفها خصوصاً إذا استبطن ذلك التاريخ مبادئ العقيدة والانتماء المذهبي.

وفي ضوء ذلك تتضح لنا المفارقة والتناقض عند بعض المؤرخين القدامى والمحدثين وذلك حينما يؤكدون التجرد والأمانة والصدق والنزاهة والاعتدال والأناة في إصدار الأحكام.

إلا إنهم من الناحية العملية يخالفون ادعاءاتهم إذ يقعون ضحية التعصب والتحيز والانفعال واتهام الآخرين من دون حجة ولا دليل مقبول. وليس وراء ذلك سوى دوافع العداة وإثارة الخصومات والفتن.

والغريب أن بعض المؤرخين يخرج عن دائرة اختصاصه ويقحم نفسه في منازعات كلامية وفقهية تحتاج بطبيعتها الى أدوات خاصة في البحث والمعالجة.

وان بعض المؤرخين يصل به الانفعال وعدم التوازن الى أن يتهم كل باحث منصف اعترف بحق ومكانة أهل البيت عليه السلام بالتشيع والغلو حتى شاعت عبارتهم في مطاوي التاريخ « فلان يتشيع » وان كان هذا المتشيع من طائفة ومذهب المؤرخ نفسه.

ولا شك في أن المصالح السياسية والطائفية المقيتة كانت وراء تأجيج ودعم مثل هذه الاتجاهات المنحرفة التي تسعى الى إضعاف الأمة وتمزيق وحدة المسلمين.

وفي ضوء ذلك لم يسع الإمام الشهيد الصدر في بحثه التاريخي في قضية فدك أن يكون منحازاً لأحد طرفي القضية وفرض على نفسه أن لا ينطلق من دوافع مذهبية خاصة وان لا يعتمد إلا على المصادر والمستندات المتفق عليها عند الطرفين المتنازعين.

وبعبارة أخرى انه سعى وبدقة الى تحليل النصوص والروايات التاريخية لإثبات نتائج البحث والتحقيق وبلورتها على نحو موضوعي منسجم مع منطق العقل وطبيعة الأشياء.

وكان الشهيد الصدر لا يكثرث بالعواطف والمشاعر فيما إذا صدمتها النتائج غير المرضية لها لأن المسؤولية لا تقع على المؤرخ بما هو باحث عن الحقيقة وعلى جهوده ومعاناته إذا كانت على وفق الأصول الصحيحة المتبعة في منهج البحث العلمي. بل تقع على عاتق الموضوع ذاته.

وقفة الصدر مع العقاد

وعلى هذا الأساس لم يجد الشهيد الصدر مصداقية لعمل وموقف الأستاذ عباس محمود العقاد مؤرخاً وباحثاً في قضية فدك في كتابه «فاطمة الزهراء والفاطميون». لأنه انتهج فيه أسلوب التبرير والتعذير والموازنة غير الموفقة، فقد توغل في وصف فدك وأطراف النزاع ولكنه لم يصدر أي حكم أو يتخذ أي موقف من أحد الطرفين برغم وضوح النصوص والحجج والأدلة بل اختار لنفسه تعبيراً زاد المسألة غموضاً وتعقيداً على حد تعبير الشهيد الصدر.. إذ قال العقاد:

«والحديث في مسألة فدك هو كذلك من الأحاديث التي لا تنتهي إلى مقطع للقول متفق عليه.. غير أن الصدق فيه : لا مرأى أن الزهراء أجلّ من أن تطلب ما ليس لها بحق، وإن الصديق أجلّ من أن يسلبها حقها الذي تقوم به عليه البينة»^(١).

ويبدو أن العقاد من خلال هذا النص كان محرجاً، وقد بذل جهداً أدبياً في صناعته وتكلف في ربط مضامينه لكن ما يؤسف له هو أنه لم يكن موفقاً في معالجة هذه القضية الواضحة والحساسة، والتي كانت أول خصومة في الإسلام بعد وفاة رسول الله ﷺ وذلك لخروجه على مهمته بوصفه باحثاً موضوعياً ومؤرخاً وأديباً فبدا - في اثناء معالجته لهذه القضية - كاتباً مرتبكاً وناقداً قلقاً، بحيث لم يحفظ أصول البحث التاريخي وتجاهل رسالة القلم ومسؤولية الكلمة. وقد علق

(١) فاطمة الزهراء والفاطميون، عباس محمود العقاد / ٦٠.

الشهيد الصدر على كلمة العقاد قائلاً: «إن تزكية الخليفة والصديقة معاً أمر غير ممكن»^(١).

في حين أن الشهيد الصدر حدد المواقف والنتائج بصراحة ووضوح تجاه كل حدث في مسار البحث ملتزماً بجميع الضوابط والقواعد المعتمدة في منهج البحث العلمي. من هنا يجمع الباحثون في الدراسات التاريخية على إن عمل المؤرخ لا يقتصر على مرحلة جمع الأخبار والأحداث التي وقعت في الزمن الماضي.

وان كانت هذه العملية تشكل جوهر التاريخ وأساسه إلا إن المهمات والوظائف الملقاة على عاتق المؤرخ تتجاوز مرحلة الجمع والتكديس للروايات والوقائع التاريخية أو تصنيفها وتبويبها حسب تسلسل وتعاقب الأزمان لتتعدى إلى مرحلة إجراء عملية الفحص والتشريح والتحليل لتلك الأحداث والوقوف على أسبابها ودوافعها وما تركه من آثار ومخلفات ثقافية وسياسية واجتماعية على الأجيال المتعاقبة.

ومما لا ريب فيه ان أي إجراء أو تقويم من هذا النوع لا يكون كيفما اتفق ولا بحسب ما تشتهي النفوس والأمزجة. وإنما هي مهمة كبيرة تفرض على أصحابها والمتصددين لها التحلي بالأمانة والالتزام الموضوعي بالبحث، لان دراسة التاريخ وتحقيقه ونقده ليست عملية سهلة ومتاحة لكل الناس، بل هي مسؤولية كبيرة وحساسة تترتب عليها كثير من التبعات والنتائج، يتعرض المؤرخ فيها إلى المحاسبة والنقد أكثر من أي باحث آخر.

(١) فدك في التاريخ / ٤٢ دار التعارف للمطبوعات.

لذا عزم الشهيد الصدر أن لا يدخل التاريخ ولا يلج في أعماقه قاصاً أو روائياً أو حاكياً للأخبار والأحداث من دون رؤية واضحة ولا موقف محدد. وإنما آلى على نفسه أن يكون مؤرخاً هادفاً وجاداً في بحث قضايا التاريخ وأحداثه.

شروط البحث التاريخي عند الشهيد الصدر

وعلى هذا الأساس يرى الشهيد الصدر أن شروط الحياة الفكرية المنتجة في حقل التاريخ وغيره من الحقول المعرفية لا بد من أن تكون على وفق الأسس والمرتكزات الآتية :

- ١- التجرد من العواطف والمسبقات الذهنية.
- ٢- الحرية في البحث والتفكير.
- ٣- الأناة في إصدار الأحكام واستخلاص النتائج.
- ٤- البراعة الفنية والتنظيم المنهجي والقدرة على التصوير في تقويم سجل الماضين^(١).

وفي ضوء ذلك حذر الشهيد الصدر من قضية خطيرة درج عليها المؤرخون في موسوعاتهم التاريخية إذ يتناولون قضايا التراث فأنهم غالباً ما يعمدون الى استثناء كثير من الشخصيات من عملية النقد والتقويم ويحيطونها بهالة من العظمة والتقديس ، في حين ان اصول البحث التاريخي تقتضي في رأي الشهيد الصدر أن نتعامل مع تلك الشخصيات على وفق الثابت من التاريخ و ما عرف عنها من سيرة

(١) أنظر: فدك في التاريخ / ٣٥.

وسلوك شخصي واجتماعي وسياسي ، وليس بحسب ما تبتدعه
الاهواء والعواطف وينشؤه التعبد والتقليد^(١).

وفي هذا الاتجاه يؤكد الشهيد الصدر على تجاوز طريقة البحث في
إطار الذات « الشخصية » التي هي مدار بحث المؤرخ واصل مبتغاه الى
دراسة وملاحظة الذات والموضوع معاً أي السيرة الشخصية
والنشاطات الاجتماعية والمواقف السياسية وجميع الظروف
والملاسات الخاصة التي أحاطت بتلك الشخصية.

لذا فرّق الشهيد الصدر بين منهجين في التدوين التاريخي :

منهج الباحث عن الحقيقة ، المتحرر من الموروثات وضغوط التقليد
والعاطفة وما تمليه عليه من ضوابط وشروط.

ومنهج مكبل بالتسويفات والمسبقات الذهنية ومتخم بهالات
التقديس والتعظيم والعواطف الى حد الخيال وكأن حياة السابقين حياة
مثالية ليس فيها من الفتن والمشاكل والأزمات والصراعات البشرية
شيء يذكر ، مؤكداً أن البحث في التاريخ الذي نحتاج إليه ويكون معبراً
عن طموحنا هو ذلك التاريخ الذي يستند في قراءته الى حركة أجيالنا
السالفة على أسس الدراسة والتحقيق والأمانة والنقد الموضوعية
وليس ذلك التاريخ الذي ينطلق من وحي التمجيد العاطفي الى درجة
يكون فيها اقرب الى الترجمة المذهبية من البحث الموضوعي للتاريخ.

(١) المصدر نفسه : فدك في التاريخ / ٣٥.

ولا يفهم من كلام الشهيد الصدر هذا معاداته لعواطف الناس وحبهم لرجال السلف فمن حق كل إنسان أن يفتخر بأجداد الماضين ويعتز برجاله الذين سجل لهم التاريخ المواقف المشرقة لا سيما رجال العصر الأول للرسالة. ولكن حينما يتصدى الباحث لمهمة التحقيق في التاريخ عليه أن يلقي بعواطفه ومشاعره جانباً ويكرّس تمام تفكيره وجهوده لخدمة البحث عن الحقيقة ملتزماً بشروط الأمانة والمسؤولية والتجرد في البحث، لكي يقوم على اسس علمية خالصة، مستوفياً شروطه الموضوعية وادواته الصحيحة سواء أكان من حيث النظر والتفكير ام من حيث التحليل والاستنتاج.

الشهيد الصدر ومشروع نقد التاريخ

وبناءً على ذلك اشار الشهيد الصدر بكل وضوح الى وجود عوائق وأسباب أدت الى غياب مشروع النقد التاريخي لدى كثير من الباحثين وهيمنة المناهج التقليدية التي تفتقد الى عناصر التحليل والموضوعية في كتابة التاريخ، وترجع أسباب ذلك الى شحة مصادر النقد التاريخي لكون النقد التاريخي يؤدي بطبيعته الى مخالفة المؤلف وقد يصطدم بالتقاليد ويجرح العواطف العامة في كثير من الأحيان. وبرغم إحساس وشعور أكثر الباحثين بأهمية إجراء عملية النقد هذه مشروعاً دائماً للتاريخ، لكنهم يجمعون عن ممارسة هذه المهمة الشاقة، خوفاً من التهم الجاهزة، بفتاوى الردة والزندقة ومعاقبة السلطات ذات النفوذ والهيمنة عامة والمؤسسات التقليدية خاصة.

فضلاً عن وجود أسباب أخرى تحول بين المؤرخ وحرية البحث في نقد التاريخ، لعل من بينها الجهل في وظيفة المؤرخ لدائرة اختصاصه وسيطرة العوامل السياسية والاجتماعية على تفكيره وغلبة الذاتية

والأهواء على عقله ومزاجه.وإذ يرفض الإمام الشهيد الصدر مثل هؤلاء المؤرخين التقليديين ، فإنه يؤكد على ضرورة أن يتصدى المؤرخ الشجاع الجريء الى محاكمة التاريخ ونقد أحداثه ، وتقويم شخوصه ، وأن لا يتهيب من النتائج التي يتوصل إليها من خلال أدوات البحث والتحقيق العلمي الصحيح.

وهذا ما نراه متجسدا بوضوح عند الإمام الشهيد الصدر ، بعد نقده لظاهرة التقديس والإعجاب بالتاريخ ، فقد تجلّت شجاعته النادرة التي اقتحم بها القضايا والموضوعات ذات الأهمية والمكانة الخاصة في حسابات الآخرين مخالفًا قناعات من يرى أنها من المنوعات والمحرمات.

قال الشهيد الصدر :

«ولكنني لا أفهم أن يمنع عن التعمق في الدرس العلمي أو التمحيص التاريخي لموضوع كموضوعات الساعة التي نتكلم عنها من ذلك الزمن ، أو يحظر علينا أن نبدأ البحث في مسألة فدك على أساس أن أحد الخصمين كان مخطئًا في موقفه بحسب موازين الشريعة ومقاييسها ، أو أن نلاحظ أن قصة الخلافة وفكرة السقيفة لم تكن مرتجلة ولا وليدة يومها إذا دلنا على ذلك سير الحوادث حين ذاك وطبيعة الظروف المحيطة بها»^(١).

ويضاف الى ذلك أيضا أنّ الشهيد الصدر الذي بحث التاريخ بروح الحياد والموضوعية امتاز عن كثير من المؤرخين بنزعة أخلاقية عالية ، سواء في مجال نقل الروايات ونقدها ، أم في تحليل الوثائق التاريخية أم

(١) فدك في التاريخ / ٣٨

في مجال محاكمة مواقف وشخصيات تلك العهود الماضية الى درجة لا يجد فيها القارئ في أسلوب الشهيد الصدر أي تجريح أو انحياز أو تجنّب، حتى على خصومه بل كان ينتقي أفضل العبارات والمفردات في توصيف الأشخاص والمشاهد.

وهناك ملاحظة أساسية لا يفوتنا التنبية عليها، وهي أن الشهيد الصدر في دراسته لقضية فدك لم يكن مؤرخاً فحسب، بل كان مؤرخاً وفقهياً، إذ وظّف خزينة الفقهي وما يرتبط به من علوم ومعارف كالحديث والرجال وغيرها لصالح البحث التاريخي.

وهذا ما تجلّى واضحاً في محاكمة الكتاب، وهو القسم الأخير من كتاب فدك، حيث أبدع في مناقشة القضية واستيعابها.

استنتاجات

بعد هذه النظرات السريعة في منهج البحث التاريخي عند الشهيد الصدر يمكن استنتاج ما يأتي:

- ١- إنّ الشهيد الصدر مدرسة رائدة ذات جوانب وأبعاد متنوعة اختزلت التجارب والتيارات المعرفية، وتميزت منها بكل ما هو حرٌ وجديد.
- ٢- انفردت هذه المدرسة الأصيلة بالتأسيس، والتجديد، والإبداع، والعمق، والدقة، والشمول، والموضوعية.
- ٣- إنّ مدرسة الشهيد الصدر لم تقف عند حدود العراق أو المسلمين الشيعة، وإنما تجاوزت هذه الحدود، إذ اعترفت بمنهجيتها وقيمتها الفكرية كبار المفكرين والمثقفين في العالمين العربي والاسلامي.

- ٤- إن كتاب «فدك في التاريخ» يُعدّ أول نتاج للشهيد الصدر تجسدت فيه ملامح منهج البحث التاريخي وخصائص المؤرخ الموضوعي.
- ٥- رجّح الشهيد الصدر - في أثناء بحثه في «قضية فدك» - أن هذه الأرض المباركة هي وقف ذري على أبناء فاطمة عليها السلام وذوي الحاجة من المسلمين ونحن نميل الى وقفيتها كذلك من خلال المؤشرات التي سقناها في هذا البحث.
- ٦- لم يكن التاريخ في رأي الشهيد الصدر سجلاً للماضين فحسب، فضلاً عن انه ليس كياناً صامتاً، بل هو تجربة متراكمة لها اثارها الثقافية والتربوية والسياسية في الحاضر والمستقبل.
- ٧- مثل الشهيد الصدر المؤرخ الموضوعي المؤتمن على التاريخ، ولم يجعل الالتزام والحياد والشجاعة والصدق والموضوعية مجرد شعارات أو ادعاءات لا واقع لها بل جسدها بكل صدق وأمانة.
- ٨- لم يكن التحفظ من قبل الشهيد الصدر حول طباعة ونشر كتاب فدك في دولة مصر العربية الا لكون موضوع «فدك» قد لا ينسجم مع التصور المأخوذ عن شخصية الشهيد الصدر بأعتباره رائداً من رواد الاصلاح ومرجعاً للتقريب بين المذاهب من قبل عموم الشعب المصري وخاصة الطبقة المثقفة المنبهرة بإطروحات ونظريات الشهيد الصدر الفكرية والمعرفية.
- ٩- إن كتاب «فدك في التاريخ» الذي أهمله الباحثون من دون مسوغ علمي يستحق المراجعة والتأمل والقراءة من جديد، لما فيه من عناصر الإبداع والتجديد في منهج البحث التاريخي.

وثيقتان

الصدر فكر لا يقتل !!

ان من جهل النظام البعثي المقبور وسخفه ، يحسب ان الفكر يقتل بالرصاص ، بيد ان الفكر لا يهزم الا بفكر اقوى منه ، ولا شك ان الشهيد الصدر مدرسة فكرية راسخة الجذور واسعة الابعاد.

فبرغم كل الاساليب التي انتهجها النظام البعثي لمحاصرة افكار ومؤلفات الامام الشهيد الصدر ، الا انها تحولت الى اشباح تطارده في كل الساحات.

وهاتان الوثيقتان دليل صارخ على مدى خوف النظام وهلعه من تلك المؤلفات التي ابدعها الشهيد الصدر وما زالت تقاقل حتى بعد استشهاده.

الجمهورية العراقية
وزارة الاوقاف والشؤون الدينية

الرقم... ٩.....
التاريخ... ٩ / ٢ / ١٩٨٢ ...

«سري»

وزارة الاوقاف والشؤون الدينية / المؤسسات الدينية / العتبات

م / سحب كتب

كتابكم المرقم ٣٧٨٩٨ في ٨ / ١٢ / ١٩٨١

والحاقا بكتابتنا المرقم ٢٥ / س في ٨ / ١٢ / ١٩٨١

لقد تم فتح وتفتيش المكتبة في الحسينية المذكورة وتم العثور على مجموعة من

الكتب التي تعود للمجرم محمد باقر الصدر وهي :

١ . كتاب بحوث في شرح العروة الوثقى اربع اجزاء.

٢ . بحث حول المهدي.

٣ . المعالم الجديدة للاصول جزء واحد.

نرجو التفضل باعلامنا ماذا نفعل بها هل نرسلها لكم أم نحرقها أم ماذا؟

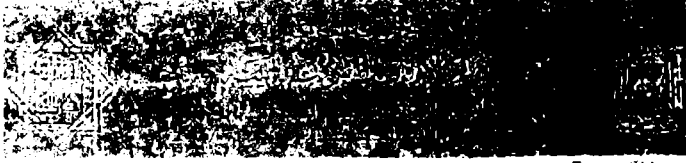
للتفضل بالاطلاع لطفا.

التوقيع

عباس عبد الامير عباس

مدير الاوقاف والشؤون الدينية في بابل وكالة

(أ)



الرقم
التاريخ ١٩٨١/٧/٢٧

ختم الواردة

((سري))

وزارة الأوقاف والشؤون الدينية / المؤسسات الدينية / المعينات
م / حسب كتيب

كتابكم الرقم ٣٧٨١٨ لسنة ١٩٨١/١٢/٣٠

والحافا بكتابنا الرقم ٢٥/س لسنة ١٩٨١/١٢/٨

لقد تم فتح وفتح المكتب في المسببة المذكورة وتم العثور على مجموعة من الكتب التي
صود للشهر محمد باقر الصدر وعسى :

- ١ - كتاب بحوث في شرح العمدة النوفلي أربع أجزاء .
 - ٢ - بحث حول المبادئ .
 - ٣ - الصائم الجديدة للوصول جزء واحد .
- نرجو التفضل بالتأليف إذا فعلت بها عمل نرسلها لكم أم نحررها أم ماذا ؟
للتفضل بالاطلاع لطفاً .

عاشق عبد الإله عباس
مدير الأوقاف والشؤون الدينية في بابل والاسسة

قيادة منطقة اربيل
التوجيه السياسي ٨٤٢٠
الرقم ت س / ٩ / —
التاريخ ٨ ك ١ ١٩٨١

الى - القائمة أوب وج عد التسلسلات ١ و ٢ و ٣ و ٤ و ٥ و ٦

الموضوع / اتلاف كتب

كتاب قيادة الفيلق الاول «ت س» ١٦٦٣١ في ٣٠ ت ٢ ١٩٨١
نرجو الابعاز الى ضباط التوجيه السياسي لوحداتكم باتلاف الكتب المطبوعة
المؤلفة من قبل المجرم محمد باقر الصدر واعلامنا.

التوقيع
العقيد الركن
علي حسن موسى
ع / قائد منطقة اربيل

نسخة منه

قيادة الفيلق الاول ت س / كتابكم اعلاه.

(ب)

بسم الله الرحمن الرحيم

قيادة منطقة أريحا
التوجيه السياسي ٨٤٠

الرقم ت س / ١ /
التاريخ ٨ له ١٩٨١

الى - القائمه آ و ب و ج عدد التسللات ١ و ٢ و ٣ و ٤ و ٥ و ٦
الموضوع / اتصال كتبت

كتاب قيادة الفيلق الاول (ت.س) ١٦٦٢١ في ٣٠ ت ١٩٨١ .
نرجو الاجاز الى قيادة التوجيه السياسي لوجوه انكم باتفاق
الكتب المتروكة المتروكة من قبل الجيم بحمد باقر الصده واطلانا .

المفوض الركن
علي حسن موسى
رئيس / قائد منطقة أريحا

تمخه الى
قيادة الفيلق الاول ت.س / كتابكم اعلاه .

التجديد والزمن

رؤية الشهيد الصدر لمؤثرات التجديد

مقدمة:

ارتبط مصطلح «التجديد» بالجانب الفكري إلى حد كبير، بحيث صار ينظر إلى هذه المفردة على أنها تقتصر على هذا الجانب دون سواه. وقد خضع لهذا الفهم جمهور من الكتاب والمفكرين والمثقفين، فقيّموا التجديد على انه ظاهرة فكرية اولاً وأخيراً.

ورغم صحة هذه الرؤية في عمومها، إلا أنها لا تعكس الحقيقة كاملة، فالتجديد لا ينحصر على الحقل الفكري وحده، بل يتعداه إلى مجالات الإجتماعية والإقتصادية والسياسية، باعتباره مشروعاً حضارياً في حياة الأمة والمجتمع.

ومن هنا يكون الفكر أحد آفاق المشروع التجديدي الحضاري، مع التأكيد على قيمة هذا الحقل وموقعة في الحالة الحضارية بشكل عام، على أساس إنّ البنية الفكرية هي القاعدة الأساسية في انطلاق المشروع التجديدي، وهي التي تحدد هويته وامتجهاته العامة في الواقع الإجتماعي.. وتدخل أيضاً في تحديد مساحته الجغرافية.. كما إنها قد ترسم مدياته المستقبلية وقدرته على الأمتداد عبر الزمن. أنّ حصر

التجديد بالجانب الفكري وحده يحجم التجديد كظاهرة حضارية مؤثرة في المسار التاريخي للأمم والشعوب، ويحذف من سجلاتها التاريخية العديد من المحاولات، إضافة إلى أسماء القائمين بها في مختلف الفترات.

إن الجديد فعل حضاري محرك في الحياة الإجتماعية وله مجالات متنوعة ومضاهره المختلفة التي تتحدد على أساس حاجة الواقع الإجتماعي، فقد يفرض الواقع بعض الفترات ان يكون مجال التجديد في البناء الفكري، وقد يفرض في فترات أخرى الحركة السياسية أو الموقف الثوري.

وهنا يأتي دور الرمز المجدد وقدرته في تحديد الخيار المناسب. أننا نطلق من هذه الفكرة من خلال دراسة التاريخ الإسلامي ودور أئمة أهل البيت في حياة الأمة، فهم عليهم السلام الرواد الحقيقيون لحركات تجديدية متتالية حيث كان كل إمام يضطلع بدور خاص به ويأتي الإمام الذي يليه ليستكمل هذا الدور، أو يبدأ حركة تجديدية من خلال حاجة الظرف إلى ذلك.

فالإمام الحسين عليه السلام كانت الظروف التي عاصرها تستدعي القيام بعمل ضخم ومؤثر بشكل كبير من أجل إعادة الأمة إلى أصالتها الضائعة، بعد أن تعرضت لمحاولات إبعادها عن نهجها الإسلامي الأصيل نتيجة سياسات الأمويين المنحرفة. فقد أستطاع حكامها تصوير الخلافة على أنها منصب مقدس يجب طاعته حتى لو كان الخليفة منحرفاً عن الإسلام معادياً لنهجه مثل معاوية ويزيد وغيرها.

واستطاعوا أن يوجدوا تياراً من وعاظ السلاطين يقدمون للأمة
فكراً منحرفاً تحت أسم الإسلام، وكان هذا التيار ينمو ويتعاضم
بشكل خطير بفعل التخطيط المبرمج والدعم المادي الذي يقدمه حكام
الخلافة الأموية في هذا الاتجاه.

لقد كانت الحركة الإسلامية تحتاج إلى حركة تجديدية أساسية، تعيد
الواقع إلى أصالته الإسلامية، وتنبه الأمة بما يشبه الصدمة إلى انزلاقها
في تيار الانحراف الأموي، وضرورة العودة إلى الخط الصحيح بعد أن
ضاعت أحكام الإسلام، وأصبح الخليفة هو الذي يحدد الأحكام
حسب رغباته وأهوائه.

ومن هنا كان الإمام الحسين عليه السلام يؤكد للأمة إنه خرج في حركته
لطلب الإصلاح في أمة جده صلى الله عليه وآله وسلم، ولم يكن في
المجتمع الإسلامي شخص غيره قادر على القيام بهذا الدور، لما يتمتع
به عليه السلام من مكانة متميزة في نفوس المسلمين لكثرة ما ورد في حق أهل
البيت عموماً من آيات قرآنية ومن أحاديث نبوية تبين عظيم منزلتهم
وغنهم والقرآن الكريم حقيقة واحدة، كما في الحديث الشريف:

«إني أوشك أن أدعى فأجيب، وإني تارك فيكم الثقلين كتاب الله
عز وجلّ وعترتي، كتاب الله جبل ممدود من السماء إلى الأرض،
وعترتي أهل بيتي، وإن اللطيف أخبرني إنهما لن يفترقا حتى يردا
علي الحوض، فانظروا بم تخلفوني فيهما»^(١).

(١) الترمذي، ج ٢، ص ٣٨٠، ومستدرک الصحیحین ج ٣، ص ١٠٩. وقد ورد هذا
الحديث بألفاظ أخر في الكثير من كتب الحديث عند الفريقين.

وفي ضوء ذلك، كان الإمام الحسين هو الإنسان الوحيد الذي انبسطت به تلك المهمة الخطيرة في تصحيح مسار الأمة، وكان عليه أن يختار أحد أمرين:

أما أن يبائع يزيد، وإما أن ينكر أعماله وينكر على المسلمين كافة إقرارهم أعمال يزيد، وبذلك يغير ما كانوا عليه، ويمكن الأئمة من بعده من أن يقوموا بإحياء ما أندرس من شريعة جده صلى الله عليه وآله وسلم وهذا ما اختاره الحسين عليه السلام واستهدفه في قيامه^(١).

وبهذا الموقف العظيم الذي ضحّى به الإمام الحسين بنفسه وبأهل البيت أحدث التجديد الحقيقي للشريعة ونّبّه إلى مسؤوليتها التاريخية الكبيرة بعد أن كانت غارقة في الجمود.

وبذلك تهيأت قطاعات منها لنشر الإسلام الصحيح من جديد من خلال الارتباط بأئمة أهل البيت عليهم السلام، وبدأ الأئمة إعداد الأمة لمرحلة تقبل الفكر الأصيل بدءاً من الإمام السّجاد ومن بعده الإمام الباقر ليبدأ الإمام الصادق حركته التجديدية العملاقة على الصعيد الفكري، حيث كانت الظروف تستدعي القيام بهذا الدور الفكري الرائد.

وأستمر الدور الرائد للأئمة عليهم السلام حتى غيبة الإمام المهدي عليه السلام، لإعادة الإسلام الصحيح إلى المجتمع في حركة تجديدية هائلة «فأعادوه حكماً بعد حكم وعقيدة بعد عقيدة حتى تم في نهاية هذا العهد تبليغ جميع ما جاء به الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، وأبعده عنه كل محرّف وزائف في حدود من تقبل منهم وتم تدوين سنة

(١) مرتضى العسكري، معالم المدرستين ٣، ص ٣٣٦.

الرسول صلى الله عليه وىله وسلّم في رسائل صغيرة ومدونات كبيرة... وبذلك أنتهى واجب الأئمة التبليغي في آخر سنة من حياته»^(١).

لقد كان أئمة أهل البيت عليهم السّلام الرواد المتفردين في إحياء الدّين، وتجديد الواقع الإسلامي العام من خلال أدوارهم المتنوعة حسب طبيعة الظروف التي يعيشها كل إمام والتي تستدعي القيام بدور خاص تتطلبه الأجواء العامة للحياة الإسلامية.

وقد أكد الشهيد الصّدّر على هذه الفكرة وقدم تصورات المبدعى لها في سلسلة من المحاضرات تحت عنوان: «أهل البيت... تنوع أدوار ووحدة هدف». ونختار من أفكاره بعض الفقرات التي تبين رأيه في هذا الخصوص يقول «نذكر»: :

«و حين ندرس الأئمة ككل ونربط بين هذه النشاطات، وبعضها ببعض ونلاحظ إنّ العمليات وضعت على مدى ثلاثة أجيال، نجد أنفسنا أمام تخطيط مترابط يكمل بعضه بعضاً، ويستهدف الحفاظ على تواتر النصوص عبر أجيال عديدة حتى تصبح في مستوى الوضوح والإشهار، تتحدى كل مؤامرات الإخفاء والتحديد»^(٢).

ويؤكد رضوان الله عليه على هذه الحقيقة في فقرة أخرى بقوله :

«وعقيدتي، إن وجود دور مشترك مارسه الأئمة جميعاً، ليس مجرد افتراض نبحت عن مبرراته التاريخية، وإنما هو ما تفرضه العقيدة نفسها وفكرة الإمامة بالذات، لأن الإمامة واحدة في الجميع

(١) المصدر نفسه ص ٣٩٢.

(٢) الشهيد الصّدّر، أهل البيت تنوع أدوار ووحدة هدف ص ١٤٢.

بمسؤولياتها وشروطها ، فيجب أن تنعكس انعكاساً واحداً في شروط الأئمة عليهم السّلام وأدوارهم مهما اختلفت أدوارهم الطارئة بسبب الظروف والملابسات ، ويجب أن يشكل الأئمة بمجموعهم وحدة مترابطة الأجزاء ، ليواصل كل جزء من تلك الوحدة الدّور للجزء الآخر ويكمّله .»

إننا نلاحظ في هذه النصوص التي طرحها الشّهيد الصّدّر إنه يفسر دور الإمام في ضوء المشروع التجديدي الذي قام به من أجل تأكيد الأصالة الإسلامية ودفع الأئمة بالإتجاه الصحيح الذي يريده الإسلام.

وقد كان لمنهج الأئمة عليهم السّلام في التجديد أثره الأكبر في ظهور الحركات والمشاريع التجديدية في الحياة الإسلامية على يد علماء مدرستهم الإسلامية الأصيلة كلما دعت الحاجة الى ذلك.

التجديد وحركة الزمن

يرتبط مفهوم التجديد بشكل مباشر مع حركة الزمن ، فهي التي تمثل الإطار العام لتكوّن الدّوافع التجديدية في النطاق الفكري والاجتماعي.

إذ لا يمكن أن نتصور ولادة حركات تجديدية متعاصرة في مقطع زمني واحد ، فلكل ظرف زمني حركته الخاصة في مجال التجديد.. حركة تنشق من المعطيات العامة للواقع المعاش بكل مركباته الثقافية ، الاجتماعية ، والإقتصادية ، والسياسية ، مما يشكل دافعاً لانطلاقة حركة التجديد التي لا بد أن تأخذ بالإعتبار هذه المعطيات في بلورة أسس الحركة التجديدية.

وربما يثار أمام هذه الفكرة التي قررناها بسرعة، ملاحظة مفادها أن التاريخ شهد انبثاق عدة محاولات تجديدية في ساحة واحدة في الفترة نفسها. وهذه الحقيقة تاريخية لها مصاديقها في التاريخ القديم والحديث، وفي حياة الكثير من الأمم والشعوب، بصرف النظر عن انتمائها العقائدية وهويتها العرقية، ولا مجال للتشكيك في هذه الحقيقة على الإطلاق.

نحن نتفق مع هذه الملاحظة، لكن الذي نريد أن نؤكد عليه في هذا الخصوص أن تلك المحاولات لا تمثل حركات تجديدية متعددة، إنما هي تشكل مجموعها حركة واحدة في التجديد، لكن باتجاهات متنوعة وبأساليب متعددة، كان روادها رجال أكفاء تمتعوا بمواصفات ذاتية عالية، فحرك كل واحد منهم اتجاهاً تجديدياً ضمن الخط العام لحركة التجديد في عصره ومجتمعه، ويمكن أن نجد العديد من الشواهد التاريخية على ذلك.

ففي النصف الثاني من القرن الثالث الهجري، ظهرت حركة تجديد في الفكر الشيعي تمثلت في حفظ تراث أئمة أهل البيت عليهم السلام، فقد كتب محمد بن الحسن الصفار الأعرج «ت ٢٩٠» كتابه «بصائر الدرجات في علوم آل محمد» الذي كان بداية حقيقة للموسوعات الحديثة، بادرة تجديدية في هذا الحقل الحساس من حقول المعرفة الإسلامية. ثم تلاه الشيخ الكليني في تدوين كتابه «الكافي»، والكليني أحد رموز التجديد في عصره، وأحد الخالدين في التاريخ الثقافي الشيعي.

كما برز الشيخ ابن بابويه القمي «ت ٣٢٩» ضمن حركة التجديد هذه ليضيف لها ابعاداً جديدة، فهو أول من ابتكر طرح الأسانيد

وجمع النظائر، واتي بالخبر مع القرينة^(١). ثم أكمل منهجه ابنه الشيخ الصدوق « ٣٨١ » الذي تجاوزت تأليفاته الثلاثمائة كتاب من أشهرها كتابه « من لا يحضره الفقيه » وهو أحد الكتب الأربعة لدى الشيعة الإمامية التي ظلت ممتدة عبر الزمن تحتفظ بتألقها وبريقها اللامع وأهميتها العلمية المتميزة^(٢).

لقد أسفرت تلك النشاطات عن بلورة اتجاه حديثي رائد في تاريخ التشيع وكان مركز الفقهاء المحدثين مدينة قم المقدسة فقد جاء الوامع للمجلس الأول « ص ١٤٩ » ان زمان علي بن الحسين بن موسى بن بابويه كان في قم من المحدثين مائتا ألف رجل محدث^(٣).

وهذا الرقم الكبير يشير إلى قوة تلك الحركة التجديدية وإمكانيتها على التأثير في الحياة الاجتماعية وقدرتها في التحول إلى تيار عام مؤثر في الحياة الثقافية آنذاك.

إن كل من هؤلاء الرموز هو مجدد كبير لا يرقى إليه الشك، وهم جميعاً ينتمون إلى حركة تجديدية واحدة في مجال الحديث والرواية، وإن هذه الحركة ما كان لها أن تتبلور بالشكل الذي حدث والذي فرض نفسه على امتداد العصور وواكب بكفاءة حركة الزمن، لولا تضافر جهود رموزه واستكمال اللاحق منهم لجهود السابق، مما جعل الحركة حية قادرة على الإستمرار والعطاء، وكذلك جعلها تحتزن

(١) للوقوف على رأي أبين بابويه في أسانيد الحديث راجع: البحراني، لؤلؤة البحرين ص ٣٨١.

(٢) راجع الذريعة للطهراني، ج ١ ص ٦٧ وأجزاء أخرى وردت فيها مؤلفات الشيخ الصدوق.

(٣) الشيخ يوسف البحراني، لؤلؤة البحرين ص ٣٧٣ هامش ٥٠ نقلاً عن الدكتور عبد الهادي الفضلي في تاريخ التشريع الإسلامي.

عناصر أستمرايتها وتجديدها من خلال إعداد الأجيال التي تحمل رايها ومعالم منهجها، فلم تتحجم داخل اطارها الخاص ولم تتوقف في منتصف الطريق، بل امتدت مع الزمن قوة مؤثرة.

وخلال تلك الفترة أيضاً الشيخ المفيد «ت ٤١٣» كرائد لمدرسة تجديدية في الكلام والفقه والتاريخ، وقد طور مدرسته تلميذه السيد المرتضى «ت ٤٣٦» حيث كان من أوائل المنادين بالإجتهد، وترك أثره الخالد «الشافي في الإمامة».

وقد أمتدت هذه الحركة التجديدية واستطاعت أن تحتل موقعها في الحياة العلمية الإسلامية بشطل مؤثر ممتد مع الزمن على يد الشيخ الطوسي «ت ٤٦٠» الذي تتلمذ على يد المفيد والمرتضى وأسس فيما بعد مدرسة النجف الأشرف خالدة الدهر. وبلغ عدد تلامذته أكثر من ثلثمائة مجتهد، وترك تراثاً غنياً لا يزال حياً معتمداً إلى اليوم مثل كتابه «الإستبصار» وكتابه «التهذيب» وهما من الكتب الأربعة التي لا يمكن الإستغناء عنهما عند علماء الشيعة.

الشيخ الطوسي هو أول من فتح باب الإجتهد المطلق، وهو الذي نظم مناهج الإستنباط والبحث الأصولي^(١). ويجب أن لا ننسى هذه الحركة كانت تتطور وتسبق الأحداث في ظل ظروف صعبة من الناحيتين السياسية والاجتماعية.. فعلى الصعيد السياسي كانت السلطة البويهية تعيش فترة التدهور والضمور في بغداد نتيجة الإضطرابات والأوضاع القلقة.. وعلى الصعيد الإجتماعي كانت الطائفية تتأجج نارها بشدة حتى وصل الأمر إلى إحراق المكتبات والأضرحة، فضع نتيجة ذلك تراث كبير من نتاجات علماء الإسلام

(١) علي الفاضلي القائني، علم الأصول تاريخياً وتطوراً، ص ١٣٤.

لم يعوض أبداً. لكن رغم صعوبة تلك الظروف التي الظروف التي كانت تسير بشكل معاكس للحركة العلمية، إلا إن الزمن لصالحها، وهذه هي ميزة المشاريع التي تستند إلى الموضوعية والأصالة.

إن خلاصة الفكرة التي طرحها هنا والتي أتينا على ذكر هذه الشواهد التاريخية، هي إن حركة التجديد مرتبطة بحركة الزمن ولا يمكن ولادة أكثر من حركة الزمن لصالحها، وهذه هي ميزة المشاريع التي تستند إلى الموضوعية والأصالة.

إن خلاصة الفكرة التي طرحها هنا والتي أتينا على ذكر هذه الشواهد التاريخية، هي إن حركة التجديد مرتبطة بحركة الزمن ولا يمكن ولادة أكثر من حركة في الحقل الواحد في فترة واحدة. وإن رمز الفترة الزمنية الواحدة المجددين هم أصحاب اتجاه تجديدي ضمن الحركة التجديدية نفسها.

ويجب التأكيد في هذا الخصوص إن هذه الفكرة لا تعني بأي حال من الأحوال التقليل من دور الرموز، فلكل دوره المشهود الذي يفوق محاولات التقييم والإشادة، بل إن عظمة الرمز تكمن في قدرته على إضافة مساهماته في الحركة التي يجد فيها سرّ النجاح والعطاء فيزيدها عطاءً، ويذوب فيها من أجل أن يدفع بها إلى الأمام لكي تتحقق أغراضها العليا وأهدافها الكبيرة.

وتلك هي سيرة العظماء في التاريخ عندما يتعاملون مع قدراتهم الذاتية على إنها المبادئ وحقّ الأمة وليست شخصياً للذات. ويجب التأكيد أيضاً إنّ الرمز المجدد ضمن حركة تجديدية يتمتع بالقدرة على

تأسيس حركة جديدة عندما تستدعي الظروف ذلك ، كما سيأتي في هذه الدراسة.

التجديد مشروع واقعي:

إن التلازم بين التجديد وبين عامل الزمن يتمثل في علاقة متفاعلة تتداخل الخطوط ، مما يفرض التأمل بدقة من أجل استكشاف مكوناتها ومؤثراتها المتبادلة. فالتجديد لا يولد من خلال رغبة مجردة تحاول أن تفسد نفسها في واقع الأمة إن مثل هذه المحاولة لا يمكن أن تتحقق علمياً ، لأنها تفتقر إلى المقدمات الميدانية الحقيقية ، فهي أشبه ما تكون بقفزة في الفراغ.

إن التجديد حاجة يفرضها الواقع العام بكل مكوناته الثقافية والإجتماعية والسياسية... والتجديد مشروع متكامل ينطلق من أرضية واقعية ، من نظرة شمولية تستوعب حركة الزمن بدقة ووعي ، وهذا ما يميز المشروع التجديدي عن غيره من المحاولات الأخرى.

لقد ولدت الكثير من المحاولات في حياة الأمم والشعوب في كل فترة من فتراتنا ، غير إنها لم تتمتع بالقدرة على استيعاب واقعها استيعاباً موضوعياً واعياً ، فلم تستطع أن تتحول إلى تيار تجديدي مؤثر في حركة الزمن ، مما جعلها تنزوي وتنطفئ سريعاً.

كما إن هناك الكثير من المحاولات التي رصدت الواقع بدقة وتوافرت على نظرة واسعة لمؤثرات الظروف الميدانية ، لكنها مع ذلك لم تتحول غلى حركة تجديدية ، بل بقيت في حدود الظرف الذي ولدت فيه ، وتجمدت خطواتها هناك فلم تستكمل الطريق.

ولعل السبب يعود إلى انها لم تتوافر على الإرادة الكاملة التي تحوّل المشروع إلى حقيقة ميدانية ملموسة على ارض الواقع وهو ما يمكن ان نصلح عليه بالشخصية التجديدية، ولذلك عجزت عن استباق الزمن او مواكبته ، فكانت صدى يتردد وخطوات مثقلة تتحرك وراء الزمن.

إن قيمة الحركة التجديدية هي في قدرتها على الإنطلاق في ظرف معين وتحريك عناصر هذا الظرف باتجاه المستقبل في خطوات متسقة مع حركة الزمن ، بحيث لا تتأخر عنه ولا تتخلف مهما كانت الحركة متسارعة حتى تحقق أغراضها. وهذا هو الفارق بين حركة التجديد... وبين غيرها من المحاولات التي تولد وتموت قبل ان تحقق غرضها وقبل ان تركز هويتها في الذاكرة الإجتماعية.

إن التجديد ليس رغبة لفعل شيء ما ، بل هو منهج متوازن يحتاج إلى العقل الذي يستوعب الواقع من أجل أن يقيّم ويخطط ويبدع... ويحتاج إلى الظرف المناسب من أجل أن ينفذ برامجه بواقعية... ويحتاج إلى الإرادة على الفعل والمواصلة من اجل أن يستمر في العطاء ، وبعبارة أخرى ، إلى الشخصية التجديدية.

وفي ضوء هذه الفكرة نحاول أن ندرس الفهم الذي يقدمه الإمام الشهيد الصدر للمشروع التجديدي.

عوامل التجديد في رؤية الشهيد الصدر:

عندما يدرس الإمام الشهيد رضوان الله عليه ، المشاريع التجديدية فإنه يقدم رؤية موضوعية شمولية في تقييم التجربة - موضوع الدراسة - وذلك لعاملين أساسيين:

الأول: ما تميز به الشهيد الصدر من قدرة عالية في كل المجالات التي تناولها بالبحث والدراسة، وهذه سمة طبعت حياته العلمية بالكامل رغم قصر عمره المبارك. فهو باحث من طراز خاص.

إذ إنه لا ينطلق في دراسته من محاولات تجزئية تنحصر في جو الدراسة، بل إنه قدس سره يجعل الدراسة - كمنهج عام عنده - خاضعة لرؤية شمولية عامة يندرج موضوع الدراسة ضمن سياقاتها الكلية. وعلى هذا فإن رويته للمشاريع التجديدية تستند إلى العمق الشمولي الذي تحتاجه مثل هذه الدراسات عادة.

الثاني: إن الشهيد الصدر هو نفسه مجدد وصاحب حركة تجديدية مؤثرة في واقعه الثقافي والاجتماعي والسياسي، المر الذي يجعل من تقيماته للتجارب التجديدية على قدر كبير من الأهمية، لأنها منطلقة من عقلية تجديدية حقيقية ومن نظرة ترصد الماضي والحاضر والمستقبل بهوموم التجديد.

سنحاول هنا أن ندرس تجربة الشيخ الطوسي كنموذج للتجديد كما تناولها الشهيد الصدر «رحمته» .

رؤية الشهيد الصدر لتجربة الطوسي :

يرى الشهيد الصدر إن مساهمة الشيخ الطوسي في علم الاصول لم تكن مجرد استمرار للخط، بل كانت تطوراً جديداً ضمن التطور الشامل في التفكير الفقهي والعلمي الذي حققه. وتمثل ذلك في مجال الاصول بكتابه «العدة» وفي مجال الفقه بكتابه «المبسوط» .

ومن خلال هذا الإنجاز يعتبر الشهيد الصدر إن الشيخ الطوسي حد فاصل بين عصرين يطلق عليهما العصر التمهيدي والعصر العلمي الكامل، « فقد وضع الشيخ الرائد حد للعصر التمهيدي وبدأ عصر العلم الذي أصبح الفقهة الاصول فيه علناً له دفته وصناعته وذهنيته العلمية الخاصة »^(١).

ثم يتناول الشهيد الصدر دراسته هذه التجربة التجديدية في ضوء موقعها في الترتيب الزمني للحركة العلمية، فيعتبر إن البحث الفقهي الذي سبق الطوسي كان يقتصر في الغالب على إستعراض المعطيات امباشرة للأحاديث والنصوص أي إصول المسائل، ويرى في كتاب المبسوط « محاولة ناجحة عظيمة في المقاييس التطوير العلمي لنقل البحث الفقهي من نطاقه الضيق المحدود في إصول المسائل إلى نطاق واسع يمارس الفقيه فيه التفريغ والتفصيل والمقارنة بين الأحكام وتطبيق القواعد العامة ويتبع احكام مختلف الحوادث والفروض على ضوء المعطيات المباشرة للنصوص »^(٢).

يؤكد الإمام الشهيد على أهمية الترابط في مشروع التجديد الفكري مع حركة الزمن وذلك بقوله: « إن التطوير الذي أنجزه الشيخ « الطوسي » في الفكر الفقهي كان له بذوره التي وضعها قبله أستاذه السيد المرتضى والشيخ المفيد وقبلهما ابن أبي عقيل وإبي عقيل وإبن الجنيد.... »

وكان لتلك البذور أهميتها من الناحية العلمية حتى نقل عن أبي الجنيد الفقهي واسمه « التهذيب » فذكر إنه لم ير لأحد من الطائفة

(١) الصدر، المعالم الجديدة للاصول، ص ٥٦ - ٥٧.

(٢) الصدر، المعالم الجديدة للاصول، ص ٦٠.

كتاباً أجود منه ولا أبلغ ولا أحسن عبارة ولا أرق معنى منه ، وقد استوفى فيه الفروع والاصول وذكر الخلاف في المسائل واستدل بطريقة الإمامية وطريق مخالفيتهم. فهذه الشهادة تدل على قيمة البذور التي نمت حتى آتت أكلها على يد الطوسي^(١).

ويلخص الشهيد الصدر رؤيته لتجربة الطوسي التجديدية في بعدها الزمّني بقوله :

« ما مضى المجدد محمد بن الحسن الطوسي - قدس سره - حتى قفز بالبحوث الإصولية وبحوث التطبيق الفقهي قفزة كبيرة وخلف تراثاً ضخماً في الأصول يتمثل في كتاب «العدة» وتراثاً ضخماً في التطبيق الفقهي يتمثل في كتاب المبسوط. ولكن هذا التراث الضخم توقف عن النمو بعد وفاة الشيخ المجدد طيلة قرن كامل في المجالين الإصولي والفقهي على السواء» .

وهذه الحقيقة بالرغم من تأكيد جملة من علمائنا لها تدعو غلى التساؤل والإستغراب ، لأن الحركة الثورية التي قام بها الشيخ في دنيا الفقه والاصول والمنجزات العظيمة التي حققها الشيخ في هذه المجالات كان المفروض والمتروّقب أن تكون قوة دافعة للعلم وأن تفتح لمن يخلف الشيخ من العلماء آفاقاً رحبية للإبداع والتجديد ومواصلة السير في الطريق الذي بدأه الشيخ ، فكيف لم تأخذ أفكار الشيخ وتجديداته مفعولها الطبيعي في الدّفع والإغراء بمواصلة السير^(٢).

(١) المصدر السابق ، ص ٦٢ - ٦٣ .

(٢) الصدر ، المعالم الجديدة للاصول ، ص ٦٢ - ٦٣ .

ويقدم الإمام الصّدر تفسيره لهذه الظاهرة الغربية، من خلال دراسته للظروف الزّمانية، حيث يرى إنّ هجرة الطوسي إلى النجف الاشراف فصلته عن حوزته المبدعة في بغداد، وأنه ركّز على التفاعل مع أفكاره العملاقة، فكان لا بد من مرور فترة زمنية حتّى تصل مستوى استيعاب أفكاره والتفاعل معها حيث كتب يقول:

«فهجرته إلى النجف وإن هيأته للقيام بدوره العلمي العظيم لما أتاحت له من تفرغ ولكنها فصلته عن حوزته السياسية، وهذا لم يتسرب الإبداع الفقهي العلمي من الشّيخ إلى تلك الحوزة التي كان ينتج ويبعد بعيداً عنها، وفرق كبير بين المبدع الذي يمارس إبداعه العلمي داخل نطاق الحوزة ويتفاعل معها باستمرار وتواكب الحوزة إبداعه بوعي وفتح، وبين المبدع الذي يمارس إبداعه خارج نطاقها ويبعداً عنها، ولهذا كان لا بد - لكي يتحقق ذلك التفاعل الفكري الخلاق - إن يشتد ساعد الحوزة الفتية التي نشأت حول الشّيخ في النجف حتّى تصل إلى ذلك المستوى من التفاعل من الناحية العلمية، فسادت فترة ركود ظاهري بانتظار بلوغ الحوزة الفتية ذلك المستوى، وكلّف ذلك العلم أن ينتظر قرابة مائة عام ليتحقق ذلك بتفكيرها المبدع الخلاق إلى الحلة»^(١).

ونستطيع أن نفهم من رؤية الشّهيد الصّدر في تفسيره هذا، أنّ الشّيخ الطوسي سبق حركة الزّمن في مشروعه التجديدي العملاق، وتقدم على واقعه في مسافة زمنية طويلة، ويمكن أن نتصور حجم هذا الإنجاز بشكله الحيّ عند التأمل في المراحل التي تلت مرحلة الطوسي

(١) الصّدر، المعالم الجديدة للأصول، ص ٦٦.

والتي تحولت فيها النجف إلى المعقل الأوّل للفكر الشيعي لمنجزاته العلمية الرائدة..

ويقلل الشهيد الصّدّر من أهمية التّفسير السائد لظاهرة الجمود العلمي الذي اعقب الشّيخ الطوسي والقائل بأن قداسة الشّيخ الطوسي منعت الآخرين من العلماء مناقشة آرائه. فيقدم سبباً آخر في تفسير هذه الظاهرة يسير في سياق الأوّل من حيث ارتباطه بعامل الزّمن، وهو أن الفكر السنّي في تلك الفترة قد تحجم في دائرة التقليد وأغلق باب الإجتهد رسمياً، وبذلك انكمش الفكر الإصولي السنّي ومني بالعقم -على حد قول السيد الشهيد- الأمر الذي جعل التفكير العلمي لعلماء الشيعة يفقد أحد محفزاته المحركة.

ويؤكد الشهيد الصّدّر إنّ الحركة التجديدية التي أحدثها الشّيخ الطوسي والتي عاشت توقفاً نسبياً بعده، عادت من جديد للتفاعل بالمستوى الذي يتناسب مع أفكاره. وذلك على يد الفقيه المبدع محمد بن أحمد ابن إدريس «ت ٥٩٨» الذي انطلق في حركته التجديدية من تقدير دقيق للظروف الفكرية التي اتسمت بالجمود فقرر أن يعيد الحياة فيها من جديد، وتمكن بالفعل احداث نقلة نوعية في الواقع الذي عاصره، على إنّ من المهم ان نتذكر إنّ هذه النقلة عندما حدثت فإنّها ادركت حينذاك مستوى الشّيخ الطوسي، وكأّنه كان لا يزال حيّاً الى تلك الفترة الزّمنية.

ويعود السيد الشهيد الى تفسير ظاهرة الإنطلاقة الجديدة للفكر الشيعي في تجربة ابن إدريس، مستنداً على حركة الزّمن حيث يقول إنّ «الحوزة العلمية التي خلفها الشّيخ الطوسي سرى فيها روح التقليد لانها كانت حوزة فنية، فلن تستطيع أن تتفاعل بسرعة مع تجديرات

الشيخ العظيمة ، وكان لا بد أن تنتظر مدة من الزمن حتى تستوعب تلك الافكار وترتفع الى مستوى التفاعل معها والتأثير فيها ، فروح التقليد فيها كانت مؤقتة بطبيعتها»^(١).

وهذا باختصار رؤية الشهيد الصدر لتجربة الشيخ الطوسي التجديدية والتي يؤكد فيها رضوان الله عليه على أهمية عامل الزمن في مشاريع التجديد التي ظهرت في تاريخ الفكر الإسلامي واستطاعت أن تفرض وجودها واستمراريتها مع حركة الزمن وقد إختارنا نموذج الشيخ الطوسي في دراسة الشهيد الصدر باعتبار إن تجربته تمثل سبقا لحركة الزمن.

التجديد وحركة الزمن في فكر الشهيد الصدر:

يرى الشهيد الصدر إن المشروع التجديدي يتنامى من خلال عامل الزمن ، حيث تكون كل مرحلة مقدمة من المرحلة التالية. وذلك في المجال الواحد من مجالات التجديد ، ففي التجديد الفكري وبالتحديد التجديد الإصولي ، يحدد الشهيد الصدر الأصول الثلاثة التالية :

أولاً: العصر التمهيدي ، ويعتبر قدس سره إن هذا العصر بدأ بإبن أبي عقيل وإبن الجنيد وفيه وضعت البذور الأساسية لعلم الإصول.

ثانياً: عصر العلم ، وهو العصر الذي بدأ بالشيخ المجدد الطوسي فكان رائده ورمزه الأكبر. وفي هذا العصر تحددت معلم الفكر الإصولي على أساس البذور الأولى. وكان من رجال العصر إبن إدريس والمحقق الحلي والعلامة الحلي والشهيد الأول.

(١) الصدر، المعالم الجديدة للاصول، ص ٧٠.

ثالثاً: عصر الكمال العلمي، وفيه واصل رجال هذه المدرسة التجديدية مشروع البهبهاني التجديدي على امتداد فترة زمنية قاربت النصف قرن.

ويرى الشهيد الصدر إنّ هذا التقسيم الزمّني العام، تتفرغ عنه تقسيمات زمنية فرعية حيث يقول: «ولا يمنع تقسيمنا هذا لتاريخ العلم إلى عصور ثلاثة، إمكانية تقسيم العصر الواحد من هذه العصور إلى مراحل من النمو، ولكل مرحلة رائدها وموجهها، وعلى هذا الأساس نعتبر الشيخ الأنصاري قدس سره المتوفى «١٢٨١» رائداً لأرقى مرحلة من مراحل العصر الثالث وهي المرحلة التي يتمثل فيها الفكر العلمي منذ أكثر من مائة سنة حتّى اليوم»^(١).

وهكذا نرى إنّ الشهيد الصدر «قدس سره» يؤكد على التجديد من خلال عامل الزّمن وفق ترابط دقيق في العلاقة بينهما، نستطيع أن نلخصها بالمرتكزين التاليين:

الأول: إن الحركة التجديدية إنّما تنبثق نتيجة اتجاه عوامل موضوعية تفرضها طبيعة الظروف العامة في مرحلة زمنية محددة، فقد يبرز اتجاه تجديدي يسبق الزّمن كما هو الحال في تجربة الشيخ الطوسي، وقد يبرز اتجاه تجديدي يواكب الزّمن ويمنع التخلف عنه كما في تجربة الوحيد البهبهاني.

الثاني: إنّ الفترة الزّمنية لطول العصر العلمي إنّما تتحدد في ضوء مهمة الحركة التجديدية وخصائصها المميزة مما يجعل إمكانية تقسيمه إلى مراحل زمنية متعددة كما في العصر الثالث لتطور علم الاصول.

(١) الصدر، المعالم الجديدة للاصول، ص ٨٩.

وفي الختام أوجّه الدّعوة من جديد إلى كل الإخوة المفكرين
والباحثين إلى ضرورة الإستمرار في دراسة الشهيد الصّدر كتجربة
ومنهج ومدرسة رائدة في التجديد المعاصر.

(٤)

شخصية الامام الشهيد الصدر

دراسة في اشكالية المنهج

مدخل:

هل تمت دراسة الامام الشهيد السيد محمد باقر الصدر «رحمته» بالشكل المطلوب... أم ان هذه الدراسة لم تنجز بعد؟ هذا السؤال تفرضه اعتبارات عديدة.

أولها: طبيعة الشخصية الاستثنائية للامام الصدر وتعدد مجالات الابداع عندها، بحيث تتطلب الاحاطة بها جهداً واسعاً يتحرك على الابعاد الفكرية والعلمية والحركية التي تميز بها.

وثانياً: ان الشهيد الصدر هو رمز التحرك الاسلامي في العراق وصاحب مدرسة حركية لها خصائصها وسماتها المتميزة مما يفترض ان تكون الدراسة بحجم معطيات مدرسته الفكرية والسياسية والحركية.

وثالثاً: انه ليس من الصحيح أن نتعامل مع الامام الصدر على انه تاريخ فحسب، بل هو حالة ممتدة قدمت للاسلام وللامة الكثير،

والمطلوب تأصيل معالم خطه في أجيال الأمة ، لاسيما وان ما قدمه يمثل مرتكزات أساسية لمشاريع طويلة الأمد في مجالات مختلفة.

وعلى هذا فدراسته كشخصية منتمية الى زمن محدد ومحاطة بظروف الفترة التي عاشها، تعبر عن قصور في الرؤية والفهم لدور الأمام الصدر وموقعه الحقيقي في التاريخ المعاصر.

ان هذه الاعتبارات وغيرها - لا تمثل الاحاطة الكاملة بجو السؤال - فهو يحتاج الى مراجعة ما كتب وقيل عن الامام الصدر، وتقييم هذا النتاج بمحصلاته العامة، وهو نتاج كبير تجمع على مدى ما يزيد على ثلاثة عقود من الزمن.

فبعد استشهاده في نيسان ١٩٨٠ ظهرت الكثير من المقالات والكتابات حول شخصيته الفذة، وكانت مناسبات الذكرى السنوية لاستشهاده تمثل فورة الانتاج عنه، ثم ما تلبث الفورة أن تهدأ وقد تتلاشى بانتظار الذكرى السنوية اللاحقة. ويمكن تلمس هذه الظاهرة من خلال مراجعة الأرشيف الاعلامي من صحف ومجلات وتسجيلات تلك الفترة، من الذكرى السنوية الاولى وحتى اخر ذكرى لاستشهاده.

في المناسبات الأولى لاستشهاده كانت الكتابة عنه لها بريقها الخاص، حيث كان هناك من يكتب مشاهداته وذكرياته عن الأمام الصدر، وهي مما يتم كتابته للمرة الاولى عن القائد الذي أعطى كل شيء لرسالته وأمته.

وكان تلامذته هم المتميزون في هذا الاتجاه بحكم علاقتهم به وقربهم منه، ونستطيع أن نطلق على تلك الفترة بأنها فترة تسجيل المادة التاريخية المتعلقة بالامام الشهيد. الى جانب السرد التاريخي المجرد.

كانت هناك محاولات لدراسة أبعاد شخصية الامام الصدر وتسليط الأضواء عليها من جوانبها المتعددة غير أن تلك المحاولات تميزت بانها كانت محدودة المعالجة حيث يركز الكتاب على أحد جوانب السيد الصدر ولاسيما الاقتصاد والفلسفة، فهما المحوران اللذان نالا الاهتمام الاكبر من قبل الكتاب. في حين كانت الجوانب الاخرى في شخصيته تحظى باهتمام ثانوي، أو لعلها لم تنل الاهتمام أصلاً، أما الدراسة الشاملة التي تستوعب شخصية الامام الصدر من جميع جوانبها وبصورة علمية تتناسب مع حجم هذه الشخصية العملاقة، فانها لم تظهر بعد.

ولأن عمق الفاجعة كان شديداً، فقد كانت أية محاولة كتابية تتناول الامام الصدر تلقى قبولا حسناً من لدن القراء. كما ان قلة الدراسات المختصة بالسيد الشهيد كان لها دورها في إعطاء الدراسات قيمة وأهمية.

ان مراجعة ما كتب عن المرجع الشهيد الصدر منذ استشهاده والى الان، تشير الى عدم تمكنها من الاحاطة بشخصيته.

وان استيعاب أبعادها ما تزال ناقصة مقارنة بحقيقة الامام الشهيد، فهو يحتاج الى مشروع متكامل لدراسته لانه كان في نفسه المشروع الحضاري الكبير الذي أراد أن يحقق للاسلام عناصر القوة والانطلاق، بعد أن عاش لفترات طويلة مستهدفاً من جهات عديدة

اقليمية ودولية حاولت محاربته في كل جوانبه الفكرية والسياسية والاجتماعية^(١).

(١) صدرت عن الإمام الشهيد الصدر باللغة العربية بحوث ودراسات كثيرة. الا ان الكتب المخصصة عنه محدودة في عددها ويمكن حصرها بما يلي:

١. مقدمة كتاب مباحث الأصول للسيد الأستاذ آية الله السيد كاظم الحائري. وقد تناول فيها حياة أستاذه السيد الشهيد بصورة مفصلة ومشاريعه الإصلاحية في الحوزة العلمية وفي العمل السياسي، وظروف اعتقاله وقصة استشهاده كما ناقش السيد الحائري بعض الجوانب الهامة في مواقفه والتي يُثار حولها الجدل والنقاش.. والمقدمة تصلح لأن تكون كتابا مستقلا عن السيد الشهيد في حينه، ثم توسع السيد الحسيني في دراسته عن السيد الشهيد فاخرج كتابا موسعا بعنوان «محمد باقر الصدر حياة حافلة وفكر خلاق».

٢. الإمام الشهيد محمد باقر الصدر دراسة في سيرته ومنهجه للسيد محمد الحسيني: تناول فيها المؤلف أسرة الشهيد الصدر وطفولته ودراسته العلمية وموقعة العلمي ونشاطه السياسي والفكري.. وقد استند المؤلف في كتابه على المقابلات الشخصية وبعض النصوص الوثائقية التي حصل عليه وبعد هذا الكتاب من أوسع الكتب حول السيد الشهيد.

- السيد محمد باقر الصدر دراسة في المنهج لنزيه حسن. وهي دراسة جديدة في مجالها حول الخصائص والسمات التي تميز بها السيد الشهيد بالإضافة الى منهجية الموسوعي في البحوث والدراسات التي كتبها في حقول المعرفة وآفاقها.

- محمد باقر الصدر دراسات في حياته وفكره نخبه من الباحثين الصادر عن مؤسسة دار الاسلام.

- استشهاد الإمام السيد محمد باقر الصدر من منظور حضاري.. الصادر عن المكتب الإعلامي لحزب الدعوة الإسلامي. وهو استعراض تحليلي سريع عن الملابسات السياسية والعوامل والظروف التي ساهمت في استشهاد.

- هناك كتب ودراسات أخرى نذكر منها:
- الشهيد الصدر مفجر الثورة الإسلامية في العراق... غالب حسن الشابندر.
- محمد باقر الصدر بين دكتاتوريتين لعادل رؤوف.
- الشهيد الصدر.. فضائله وشمائله للسيد فاضل النوري.
- والجهاد الفكري والسياسي للشهيد الصدر.. للسيد صدر الدين القبانجي.
- الشهيد الصدر.. الفيلسوف الفقيه.. عبد الحسين البقال.
- الشهيد الصدر.. ثورة شعب ومصير أمة.. الشيخ عبد اللطيف الخفاجي.
- الشهيد الرابع للدكتور موفق الربيعي.

اشكالية المنهج في الكتابة عن الامام الصدر

من خلال مراجعة عامة لمناهج دراسة الشخصيات نلاحظ أن الباحثين اعتادوا على تناول ظروف النشأة ودراسة العوامل الاجتماعية والفكرية التي أثرت على الشخصية. ثم تسليط الاضواء على نمو الشخصية وتطورها، ودراسة آثارها النظرية والعلمية في الفترة التي عاشتها.

وعندما نقرأ ما كتب عن شخصية الامام الصدر، فاننا نلاحظ ان معظم الدراسات لم تستكمل عناصر المنهجية السابقة -رغم تحفظنا على هذه المنهجية- أما القسم الاخر وهو قليل من الناحية الكمية، فقد تمسك أصحابها بهذه المنهجية وربما كانت هناك إضافات قدمها الباحث خلال دراسته، لكنها اضافات ثانوية بالنسبة الى الخط العام لمنهج البحث.

- فلسفة الصدر دراسات فس مدرسته الفكرية للدكتور الجزائري محمد عبد اللاوي.

- محمد باقر الصدر السيرة والمسيرة للاستاذ أحمد ابو زيد وهو موسوعة بخمسة مجلدات شاملة حول حياته وفكره ومشاريعه وجميع انجازاته وشهاداته ويعد الكتاب وغير ذلك من الكتب والدراسات.

ونود الإشارة الى ان مجلة «الفكر الجديد» الفصلية قد وضعت منهجاً ثابتاً في خطها الثقافي والعلامي يتمثل في الاهتمام بنشر الدراسات الخاصة حول الإمام الصدر، ولا يخلو عدد من أعدادها من بحث أو مقالة عن السيد الشهيد. وتتعامل المجلة مع الدراسات التي تتناول شخصية السيد الصدر على أنها خارجة عن التسلسل الزمني للنشر ولها الأسبقية على غيرها من الدراسات كما قد خصصت المجلة عددها السادس عن الشهيد الصدر استوعب جوانب هامة من حياته وفكره وتراثه.

وفي تصورنا ان اعتماد هذه المنهجية في دراسة شخصية واسعة ومؤثرة مثل شخصية الامام الصدر لا تكون كافية في استيعاب أبعاده واتجاهاته التي تتميز بالعمق والشمولية، مع التأكيد على ان الدراسات التي تناولت شخصية الامام الصدر من جوانبها المختلفة لا تزال محدودة عددياً بشكل يثير الاستغراب.

أما الدراسات والمقالات التي تركز على جانب من جوانب شخصيته كالإقتصاد والفلسفة والأصول والفقه والحركة فهي رغم كثرتها، الا انها لحد الان لم تصل الى مستوى تكوين الرؤية الحقيقية المقنعة حوله.

واذا ما حاولنا اعطاء تفسير لهذه الظاهرة، فاننا سنتوقف مع عامل الزمن، حيث نلاحظ ان معظم الدراسات تظهر في المناسبات السنوية لاستشهاده.

فهي كتابات لأحياء الذكرى أكثر مما هي الدراسات لاكتشاف واستيعاب الشخصية.

ويجب أن لا ننسى غلبة العاطفة في أجواء الذكرى فهي تعتم على العديد من العناصر المهمة التي يجب دراستها في شخصية الامام الشهيد.

لقد فرضت العاطفة جوها على نطاق الكتابة، وكانت تشكل عنصر توجيه لمسار البحث، ولا نشك انها قيدت الباحث وحالت بينه وبين التوغل بعمق لموضوعات هامة في حياة الامام الصدر. وسنعود لمناقشة هذه النقطة في الصفحات القادمة من هذه الدراسة.

اننا لا نقلل من قيمة الجهود العلمية التي قدمها الكتاب في معالجاتهم لشخصية السيد الشهيد، لكننا ندعو الى التمييز بين اسلوب الاشادة واسلوب الاستيعاب . فما تحتاجه الامة هو استيعاب فكر الامام الصدر في كافة مجالاته، لانه الفكر الحي القادر على تقديم الحلول لمشاكل الواقع الاسلامي، ولانه الفكر الذي مثل على طول مساره ظاهرة متطورة وممتدة مع الزمن . والأهم من ذلك ان الامام الصدر قدم فكره ليكون حركة مغيرة في كل آفاق الحياة الانسانية، واستطاع أن يحقق انجازات ضخمة ومشهودة.

وإذا كانت ظروف استشهاده قد حالت دون مواصلته المباشرة في تقديم العطاء الفكري، فان تراثه قادر على المواصلة فيما لو استطعنا أن نحول تراثه الى مشروع فكري. ولا نشك ان مقومات هذا المشروع متوفرة في تراثه، انما المسألة الأساسية تكمن في منهجية التوظيف الموضوعي لفكره الابداعي الاصيل .

وهذا هو الذي يدعونا الى التأكيد على ضرورة اعتماد منهجية جديدة لدراسة شخصيته، منهجية قادرة على الاحاطة بكل أبعاده الشخصية والاجتماعية والحركية والفكرية والسياسية، وبعبارة واحدة اننا بحاجة الى منهجية شمولية تستوعب الامام محمد باقر الصدر من أجل أن تكون قادرة على استكمال مشروعه الاسلامي الكبير.

ولا بد من التأكيد هنا أن الغرض من هذه المنهجية ليس الوفاء للامام الشهيد فحسب، بل خدمة قضايا الاسلام والامة وهو الهدف الذي كرس حياته الشريفة من أجله.

إننا نحتاج في دراسة الشهيد الصدر الى منهجية متكاملة ، مثلما كان السيد يعتمد هو منهجية متكاملة في مشاريعه الرائدة. نحن بحاجة ماسة الى استيحاء روح الصدر عند الكتابة عنه. ولو نجحنا في ذلك نكون قد أحبطنا المخطط الاستكباري الرامي الى قتلِ المفكرِ الصدر، ونكون قد أبقيناه قيمة حية مع الزمن ومشروعاً متجدداً في العطاء العلمي والعملية.

قد تبدو هذه المحاولة شاقة وعسيرة، غير أن الحقيقة خلاف ذلك . فالذين كتبوا عن الامام الصدر كان منهم من يتمتع بالقدرة والكفاءة ونعتقد جازمين أنهم لو اعتمدوا المنهجية المطلوبة لاعطوا الشهيد الصدر حقه.

ونعتقد جازمين أيضا ان الكتابة عن السيد الصدر لو تحولت الى مجال قائم بذاته غير مرتبط بمناسبة الذكرى السنوية لاستشهاده، لظهرت أعمال ناجحة في دراسة شخصية الامام الشهيد تتطور وتتكامل مع حركة الزمن بصورة طبيعية.

مرتكزات أساسية في المنهج

من أجل تكوين رؤية موضوعية لدراسة شخصية الأمام الشهيد، لا بد من التحرك أولاً على الخصائص الأساسية التي تميزت بها شخصيته، فمن دون الاحاطة بهذه الخصائص تأتي الدراسة ناقصة عاجزة عن رسم الخطوط الكاملة لموضوع الدراسة. ومهما حاول الكاتب بذل الجهود من أجل الاحاطة بدراسة جانب من جوانب الشخصية كالعطاء العلمي أو النشاط السياسي مثلاً، فان النتائج التي يتوصل اليها لن تكون بالمستوى المطلوب مالم يستوعب خصائصه

الشخصية كلها . فليس هناك تجزئة للشخصية ، انما هي وحدة مترابطة الاجزاء ، وان العطاءات هي نتاج تكوينها العام .

وان من الممكن تخصيص دراسات مطولة حول الفكر الاقتصادي للامام الشهيد ، وقد تستطيع هذه الدراسات تقديم عرض علمي ناجح لافكاره الاقتصادية وعمق تفكيره في هذا المجال . وقد تستطيع هذه الدراسات ان تصل الى نتائج جيدة فيما يتعلق بالفكر الاقتصادي الذي قدمه الامام الصدر .

لكننا لا نتردد في القول ان هذه الدراسات اذا انطلقت من تراث الصدر في المجال الاقتصادي واعتبرته المصدر الأساسي في معالجتها . فانها لا يمكن أن تصل الى المستوى المطلوب ، وستبقى هناك فراغات لم تملأها الدراسة ، تتمثل هذه الفراغات في أبعاد شخصية الامام الشهيد وخصائصه الذاتية .

فهو لم يكتب في الاقتصاد لرغبة علمية مجردة ، انما هو خاض هذا المجال وأبدع فيه - كما أبدع في غيره- لان دوافع الكتابة عنده تنطلق من نظراته الشمولية للواقع الاسلامي ، وتلك هي الخصيصة البارزة في شخصيته .

فالكتابة واختيار الموضوع واسلوب المعالجة عند الامام الصدر هي كلها مواقف ثابتة تعكس مسؤوليته الرسالية التي عاشها هماً دائماً طوال عمره المبارك رغم سرعة رحيله عن هذا العالم شهيداً سعيداً .

ولو قدر للباحثين أن يدرسوا الظروف السياسية والثقافية والاجتماعية التي عاشها « رحمته » الى جانب دراسة شخصيته ، عند معالجتهم لفكره الاقتصادي ، فأنهم بلا شك سوف يقدمون إضافات

هامة في دراساتهم . ولجاءت تلك الدراسات معبرة عن شخصية الامام الصدر الى درجة كبيرة . وقد تنجح في تقديم مشروع السيد الشهيد في الحقل الاقتصادي ، وليس مجرد الاكتفاء بتقديمه كمفكر اقتصادي .

وهذه الملاحظة نسجلها على المجالات الأخرى ، كالدراسات الفلسفية والحركية والاصولية وغيرها . فنحن نؤكد على ان النتاج الفكري لا يمكن دراسته بصورة منفصلة عن المعالم الاساسية للشخصية .

ونستطيع ان نقدم نموذجاً أولياً لمرتكزات المنهج الاساسية التي يجب دراستها وتفهمها في مشروع الكتابة عن الامام الصدر وهي كما يلي :

أولاً : لا يمكن دراسة شخصية الامام الصدر بصورة تجزئية تفصل بين أبعاده الحركية والقيادية والفكرية ، انما هو وحدة موضوعية قائمة بذاتها ففكره واسلوبه وعمله كان يتحرك بمنهجية شاملة دون فواصل مستقلة . وفي اعتقادنا أن هذه المسألة واحدة من أهم المسائل الموضوعية التي تعيننا على دراسة شخصية الصدر .

ولعل الذين عايشوه عن قرب يدركون أهمية هذه الحقيقة ومدى تجسدها في الحياة العامة والشخصية لاستاذنا الشهيد ، فلقد كرس حياته القصيرة من أجل تقديم النموذج الشمولي في التحرك الاسلامي واستطاع ان يكون هو النموذج .

ان السيد الشهيد كان منظومة الفكر الشامل والعمل الشامل وهذا هو الذي جعله يستوعب الواقع الاسلامي بكل آفاقه وأبعاده ، ويمكنه من الاحاطة الواعية بحاجاته ومشكلاته فقدم في ضوء ذلك معالجاته وطروحاته الفريدة من خلال النظرية والتطبيق معاً .

ثانياً: لم يركز الامام الصدر جهوده على حقل واحد من حقول النشاط الاسلامي ولو فعل ذلك لتميز عن سواه بلا منازع، لكنه كان يتعامل مع الواقع الاسلامي برؤية شمولية واسعة مستمدة من شمولية الاسلام واتساعه لكل شؤون الحياة. لذلك قدم نتاجاته الاصلية الرائدة في المجالات المختلفة فكتب في الاقتصاد والفلسفة والمنطق والاصول والتاريخ والتفسير والمفاهيم الحركية والرؤى السياسية وكان في كل ما كتب أفضل من كتب.

فرغم مرور اكثر من ثلاثة عقود على استشهاده فان تراثه الفكري لا يزال هو الأول في كل مجال من مجالاته.

اضافة الى شموليته في النتاج الفكري فان الامام الصدر اعتمد المنهج الشمولي نفسه في التحرك المبدئي، فكان هو رجل الفكر، وقائد التحرك، واستاذ الحوزة، ومرجع المسلمين وابن الامة، ثم كان المجاهد المضحي الذي ختم حياته بالشهادة.

ان دراسة شخصيته من خلال هذه الابعاد تجعلنا نصل الى الحقيقة الساطعة بان القائد الشهيد الصدر لم يترك لنا عذرا. انه نهض بمسؤولية كبيرة تجعل كل واحد منا يشعر بالتقصير مهما قدم وضحي من اجل الاسلام ومصالح المسلمين.

ثالثاً: مثلت حياة الامام الصدر مرحلة قائمة بذاتها لها خصائصها ومميزاتها التي تنفرد بها عن الفترة السابقة فبعد ان كان النشاط الاسلامي يتركز على اعتماد أسلوب «الدفاع» لحفظ الاسلام المستهدف من قبل الاعداء، فان السيد الصدر أحدث نقلة نوعية في شكل المواجهة بين الاسلام واعدائه، حيث أخرج النشاط الاسلامي

من خندق الدفاع والتقليدية الى ساحة المواجهة والحركية وبذلك أعطى للاسلام صورة التحدي وخط الانطلاق نحو الاتجاهات المضادة، بحيث صار واضحاً ان آلية الصراع مع أعداء الاسلام أصبحت معكوسة عما كانت عليه في فترة ما قبل الامام الشهيد «عليه السلام» .

فالاسلام أصبح هو الذي يتحدى وهم الذين يبحثون عن خنادق الدفاع والاحتماء من صولاته الفكرية المكتسحة، ولم يجعل الامام الصدر هذا النمط من المواجهة حالة فردية، بل استطاع أن يحولها الى حالة عامة، حيث اعاد «تذكير» الثقة بالنفس الى أبناء الاسلام فنهجوا نفس اسلوبه في طرح الفكر الاسلامي بصورته المتحدية المؤثرة في الاوساط الثقافية والاجتماعية. وبذلك زرع القناعة الكبيرة بان الاسلام أقوى، وان الفكر الاسلامي هو الذي يتحدى. فيما يحتاج الآخرون الى اثبات مصداقيتهم الفكرية والعلمية. وهذا تحول فكري واجتماعي وسياسي هائل لم يحدث طوال حقبة زمنية طويلة من تاريخ الامة الاسلامية، رغم وجود الكثير من العلماء ورجالات الفكر الاسلامي وما قدموه من جهود مضيئة من اجل الدفاع عن الاسلام ضد أعدائه.

والذي يستحق الدراسة والتأمل ان الشهيد الصدر استطاع ان يحدث هذا التحول بطريقة النقلة النوعية السريعة، بمعنى انه امتلك عامل المبادرة كله وسلب خصوم الاسلام حرية الفعل والاختيار، فوجدوا أنفسهم في خندق الدفاع ملاحقين بزحف فكري أصيل متأهب لخوض أية مناظرة فكرية مع أية مدرسة من المدارس الوضعية رغم تعددها.

وبذلك فقد اوجد الشهيد الصدر حالة التمييز العقائدي بين الاسلام وبين ما سواه، وقدم الدليل العلمي المشهود على ان الاسلام

بحاجة الى عملية توظيف واعية ليحقق انتصاراته على التيارات
الوضعية ليس إلا.

ولقد كان لهذه التجربة أثرها العميق في النفوس حيث انطلقت
النشاطات الاسلامية الفكرية التي تميزت بالحركة والتجدد والابداع ،
بعدها كانت غائبة عن الميدان أو خاضعة للتقليدية الصارمة . وهكذا
تأسست مرحلة فكرية واجتماعية وسياسية قائمة بخصائصها
ومستلزماتها على يد الامام الصدر. مرحلة صنعها فرد وسارت فيها
أمة بحيث يمكن وصفها بانها مرحلة ما قبل الصدر وان الصدر أصبح
معلماً يفصل بين مرحلتين.

رابعاً : ان فكر الامام الصدر وان ظهر في مرحلة زمنية معلومة الا
انه لا يزال فكراً حياً وهو في بعض الساحات كان فكراً سابقاً لأوانه.

إن إيماننا بهذه الحقيقة يمكّننا من التفاعل بصورة أكبر مع نتائج
الشهيد الصدر. مما يفرض علينا أن نعيد التأمل فيها لاستنطاقها بعمق
ووعي من أجل تقديمها لأبناء الأمة الإسلامية في مختلف مواقع الصراع
الفكري والمواجهة السياسية.

خامساً : ما قدمه السيد الشهيد في مجالات المعرفة المختلفة لا يحق لنا
النظر إليه على أنه تراث فكري مجرد، إنما المطلوب توظيفه بصورة
دائمة ، وتقديم نظرياته ومشاريعه لأبناء الأمة ، لأننا نؤمن أن نتاج
الأستاذ الشهيد هو مشروع فكري حي.

وهو حق لكل أبناء الإسلام ، وعلى هذا فان المسؤولية تقع بشكل
أكبر على تلامذة السيد الشهيد وأبناء مدرسته من اجل استكمال
مشروعه الفكري ، ومواصلة مسيرته اللاحقة. وليس الاكتفاء بالعرض

والتعريف فالامام الصدر لا يحتاج إلى من يردد مقاله ، والأمة لا تريد سماع ماكتبه فحسب.

انما هي بحاجة الى معالجات موضوعية لمشاكلها المعاصرة انها تريد الاجابة على ما يواجهها به الاعداء. وذلك من خلال آراء الامام الصدر وأفكاره التي كان يكتبها ويقولها فتحسم الموقف بلا عناء.

ان فهم السيد الصدر لا يتجمد على إعادة تراثه انما مقياسه الحقيقي استكمال مشواره الطويل الذي بدأه يوم كان الاسلام محاصرا في الزوايا ومضى به حتى يوم استشهاده، ولا يزال ممتدا لم يكتمل بعد.

هذه ملاحظات عامة للتأمل والتفكير والمناقشة من أجل تكريس الجهود لصياغة منهجية جديدة لدراسة رائد الفكر الاسلامي المعاصر استاذنا الامام الشهيد السيد محمد باقر الصدر « قَتَرْتُكَ ».

آفاق المنهج في دراسة الشخصية:

ان الملاحظات التي أخذناها على ماكتب عن الامام الشهيد ، كانت تتركز في محصلاتها النهائية حول المنهج المعتمد ففي تناول شخصيته ، فدراسة الشخصية يجب أن تقوم على تخطيط مسبق يهدف الى جعل الدراسة علمية وليس محاولة عرضية في سياق الجهد الكتابي ، بمعنى ان الكاتب يقدم سردا تاريخيا للوقائع والاحداث والتطورات ينعطف احيانا عن السرد الى التحليل ليتوقف قليلا قبل أن يعود الى السرد ، وهكذا تتكرر العملية الى أن تنتهي الدراسة. وهذا ما قرأناه في الكثير من الجهود الكتابية حول الشهيد الصدر والتي حاولت دراسة شخصيته.

ورغم ان هذه الجهود تستحق التقدير ويستحق أصحابها الشكر الا انها لم تصل الى ما هو مطلوب. والذي نقصده هنا القيمة العلمية . بل محصلة هذه القيمة في مدياتها المستقبلية إذ أنه لا يكفي ان تجمع الدراسات بطريقة كمية فيها التكرار والاعادة باعتبار ان كل دراسة تأتي مفصولة عن سابقتها، إنما المطلوب أن تتكامل الدراسات مع بعضها البعض فتأتي الدراسة اللاحقة لتكمل نواقص السابقة، وتبدأ من النتائج التي توصلت اليها، فتضيف أبعاداً جديدة لآفاق الشخصية وتتكشف النقاط التي غابت عن الدراسات السابقة.

وبذلك تتحول الكتابة عن شخصية الامام الصدر الى مشروع قائم بذاته، متصل الحلقات، منسجم في أجزائه، يتميز بالتظافر العلمي بين المساهمين في الكتابة عنه. وهذا لو تحقق فان محصلة القيمة العلمية للدراسات سوف ترتفع مع تقدم الزمن بصورة طبيعية.

إن تحديد منهجية دراسة شخصية الامام الصدر أو اية شخصية أخرى في تصورنا يجب ان تنطلق من الآفاق التالية :

العلاقة بين الكاتب والشخصية:

لو أجرينا عملية إحصائية سريعة للدراسات التي تناولت الشخصيات التاريخية، لوجدنا ان الغالبية العظمى من هذه الدراسات كتبها باحثون لم يعاصروا الشخصية - موضوع الدراسة- إنما تعاملوا مع المصادر التاريخية والوثائق والأدبيات كمادة أساسية في دراساتهم، وليس هناك بديل أو خيار آخر غير هذه المصادر، إما بعد الفاصلة الزمنية بين الكاتب والشخصية، أو لتعذر الاتصال بين الاثنين وعدم وجود علاقة شخصية بينهما.

وفي هذه الدراسات يبذل الباحث أقصى جهوده من أجل الاحاطة بموضوع شخصيته: الا ان الاستيعاب الشامل يظل حالة مثالية لا يمكن الوصول اليها مهما كان مستوى الجهود المبذولة والمصادر المعتمدة. فثمة قضايا هامة في الشخصية لا يمكن التعرف عليها من خلال المصدر التاريخي بل أن المعاشة والتواصل المستمر هو مصدرها الوحيد.

إن الرؤية التي يكونها الباحث تعتمد بالدرجة الكبرى على قدرته التحليلية واسلوبه في الاستنتاج، وهذا ما يتفاوت بين كاتب وآخر، ثم تأتي مسألة اختلاف المصادر التاريخية لتضيف مشكلة جديدة في هذه البحوث، حيث تؤدي بالباحثين الى نتائج متقاطعة مع أنهم يتناولون شخصية واحدة.

وهذا ما نلاحظه في الاختلاف الكبير في النتائج التي توصل اليها الكتاب المعاصرون عند الحديث عن شخصية تاريخية.

شخصية الوزير مؤيد الدين بن العلقمي:

ولنأخذ مثلاً «شخصية الوزير مؤيد الدين بن العلقمي» حيث اعتبره فريق منهم على انه خائن متواطىء مع هولاءكو، وأنه كان يعمل سراً لاسقاط الخلافة العباسية، فكان يقدم للخليفة نصائح مخادعة ذات نتائج عكسية.

بينما يقدمه الفريق الآخر بصورة مختلفة تماماً عن الفريق الاول. إنهم يرون فيه شخصية مبدئية تتمتع بالقدرة وأسياسية، وانه قدم نصائحه المخلصة للخليفة العباسي رغم اختلافه المذهبي معه. لكن

رجال الخليفة وفي مقدمتهم قائد الجيش وقفوا ضد مقترحاته وحلوله الصائبة وأحبطوا مشاريعه في مواجهة التحدي المغولي.

ولو ان الخليفة سمع نصائحه وعمل بأرائه لما سقطت بغداد، ولما حدثت الفاجعة المروعة في تاريخ الاسلام.

ان النتيجة متعاكستان بشأن ابن العلقمي مع ان المصادر التاريخية متوفرة لفريقي الباحثين على حد سواء، لا شك ان التعامل الطائفي لعب دوره في التأثير على نمط الدراسات وتدخل في توجيه نتائج الدراسة.

لكن العامل الطائفي ليس هو كل السبب. فحتى الكُتاب الذين يتجردون موضوعياً عن التأثير الطائفي، يواجهون صعوبة كبيرة في التوفيق بين المصادر التاريخية فيما جاء فيها من روايات وأخبار متفاوتة^(١).

(١) يراجع في فترة مؤيد الدين بن العلقمي المصادر التالية:

- ابن الأثير، الكامل في التاريخ.
- عبد الرحمن بن ابراهيم الأربلي. خلاصة الذهب المسبوك.
- ابن العبري، تاريخ مختصر الدول.
- الذهبي، دول الاسلام.
- ابن الفوطي، الحوادث الجامعة في المائة السابعة.
- د. ابراهيم احمد العدوي، العرب والتتار.
- عباس العزاوي، تاريخ العراق بين احتلالين.
- حسن الامين، الغزو المغولي.
- محمد الشيخ حسين الساعدي، مؤيد الدين بن العلقمي.
- حسن شبر، بنو العباس والمغول الذين أسقطوا بغداد.

ومنشأ ذلك يعود الى أن المصادر التاريخية القديمة كتبها أصحابها تحت ضغط الجو الطائفي الذي عاشوه آنذاك، كما يجب أن لا ننسى ضياع الكثير من المصادر التاريخية حول أحداث تلك الفترة.

وهي مشكلة كبيرة يواجهها البحث في التاريخ، ليس في موضوع سقوط بغداد فحسب، بل في جميع فترات التاريخ الاسلامي.

ويمكن ان نأخذ نموذجاً آخر الى جانب ابن العلقمي، هو السيد جمال الدين الافغاني.

فرغم ان الافغاني لم يمض على وفاته سوى قرن من الزمن، الا ان الاختلاف في وجهات النظر حول شخصيته يمثل ظاهرة ملفتة للانتباه.

فقد كتب عن الافغاني عدد كبير من الدراسات والكتب، واعتمد الباحثون على حشد ضخمة من المصادر والوثائق التاريخية، لكن مع ذلك دار جدل حاد حول شخصيته التي بدت وكأنها لغز محير لم يفك الجهد التاريخي رموزه المعقدة، ولم يتفق الباحثون على نقاط أساسية في نشاطه ومواقفه.

والخلاف حول الافغاني ليس بين دائرتين من الباحثين هم السنة والشيعنة فحسب، كما هو الحال حول شخصية ابن العلقمي.

بل هو شخصية خلافية داخل كل دائرة من هاتين الدائرتين كذلك، فهناك من يتهمه بأنه رجل الماسونية الخطير الذي استهدف الاسلام من الداخل. بينما يدافع آخرون عنه بأنه دخل المحفل الماسوني في «القاهرة» ليتعرف على اسرار الماسونية ومن ثم يحاول تحطيمها من

الداخل. وانه لو كان ماسونيا مخلصاً لما كشف تجربته مع الماسونية ولما تعرض للنفي المتكرر طوال حياته.

واعتبره بعض الباحثين بانه من دعاة الاتجاه التغريبي الذي هدد البلاد الاسلامية في القرن التاسع عشر. بينما اعتبره البعض الآخر بانه رائد الاصلاح الاسلامي وباعث النهضة في العصر الحديث والذي أراد للعالم الاسلامي أن يقف على قدميه أمام الهجمة الثقافية والتحديات الاستعمارية الحديثة.

وقد بلغ الاختلاف بين الباحثين حول شخصية السيد جمال الدين الافغاني الى عقيدته وجنسيته، حيث يعتبره فريق بانه سني المذهب، بينما يؤكد فريق آخر على شيعته. وفيما ينسبه البعض الى افغانستان، يصر باحثون اخرون على انه ايراني من بلدة «أسد آباد».

إن هذه الاختلافات الكبيرة في وجهات النظر حول شخصية حديثة عاشت في القرن الماضي وتوفرت حولها الكثير من الوثائق التاريخية، إن هذه الاختلافات تشير بوضوح الى ان السبب الالهم يكمن في عدم وجود كتابة عن شخصيته من خلال المعاشة.

فانها تمثل عنصراً هاماً في فهم أبعاد الشخصية. إننا لا نشك أبداً ان دراسة الشخصية التاريخية لو كانت قد تمت في فترة قريبة من حياتها وعلى يد كُتّاب عايشوا تلك الشخصية لكانت النتائج تختلف كثيراً في محصلاتها النهائية عما توصلت اليه في خصوص الكثير من الشخصيات التاريخية. ولو كان هناك من يكتب عن مثل هذه الشخصيات عن قرب لما حدث هذا التباين الغريب بين الباحثين. فالمعاشة إذاً تصبح هنا المصدر الأوثق في الدراسة التاريخية، وعامل

الترجيح الاقوى في التحليل والاستنتاج وفي تفسير المواقف والانشطة^(١).

لقد ذكرنا هذين النموذجين من بين عدد كبير من النماذج في الدراسات التاريخية التي تناولت الشخصيات، ولم تتفق على نتائج موحدة أو رؤى مشتركة وذلك لفقدان الدراسة، عنصر المعاشية للشخصية بينما نلاحظ ان هناك دراسات كتبها أصحابها من خلال المعاشية عن شخصيات عديدة فجاءت تحتوي على الكثير من الحقائق الهامة والملاحظات الاساسية وهذا ما نلاحظه مثلاً في موسوعة الاستاذ جعفر الخليلي «هكذا عرفتهم» فهي تمثل مصدراً نادراً لدراسة شخصيات مختلفة تناولها المؤلف من خلال معاشته الشخصية معها وظل هذا الكتاب يمثل المصدر الأول والأهم لاي دراسة تريد أن تتناول أحد الشخصيات التي كتب عنها الخليلي. مكن الباحثين الاخرين من الاعتماد عليها وتأسيس نتائج جيدة.

(١) كتب عن السيد جمال الدين الافغاني عدد كبير من الدراسات والكتب في لغات عديدة منها العربية والفارسية والانجليزية ونثبت هنا أهم المصادر العربية:

- عبد القادر المغربي، جمال الدين الافغاني.
- محمد رشيد رضا، تاريخ الاستاذ الامام.
- مصطفى عبد الرزاق، محمد عبده.
- لطف الله خان، جمال الدين الاسد آبادي، ترجمة صادق نشأت وعبد النعيم حنين.
- جرجي زيدان، تراجم مشاهير الشرق، الجزء الثاني.
- د. على الوردى، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، الجزء الثالث.
- قدرى قلعجي، جمال الدين الافغاني.
- محمد باشا المخزومي. خاطرات جمال الدين الافغاني الحسيني.
- د. علي شلش، جمال الدين الافغاني.. الاعمال المجهولة.

ورغم ان بعض الكتاب لم تكن معالجتهم متخصصة في دراسة الشخصية، وانما كانت معالجات تأريخية عامة الا أن ما ورد فيها من مادة متعلقة بالشخصيات كانت ناجحة ومفيدة الى حد بعيد، وتمثل مصدراً تاريخياً يمكن الباحثين الاخرين من الاعتماد عليها وتأسيس نتائج جيدة.

فمثلاً نلاحظ أن المؤرخ العراقي الاستاذ عبد الرزاق الحسيني الذي اشتهر بكتبه المتخصصة في تاريخ العراق السياسي الحديث خلال الحقبة الملكية يُعدُّ المؤلف الاهم في هذا المجال لانه كتب من خلال معاشته للاحداث واعطى تقيّماته وملاحظاته للاحداث والمواقف التي لعبتها الشخصيات السياسية عبر احتكاكه ورصده القريب لها. مما جعل كتبه وخصوصاً «تاريخ الوزارات العراقية» في مقدمة المصادر التي يعتمد عليها الباحث عند محاولته الكتابة عن شخصية سياسية عراقية.

ان المعايضة عنصر أساس في الكتابة عن الشخصية لانها تكشف عن جوانب هامة في الشخصية لا يقدمها أي مصدر آخر.

والذي نريد أن نؤكد عليه هنا بعد ذكر هذه النماذج والملاحظات، أن منهجية الكتابة عن الامام الشهيد الصدر يجب ان تعتمد المعايضة القريبة منه مصدراً أساسياً في الكتابة عنه الى جانب المصادر الاخرى. فالمعلومة المستندة على المعايضة من شأنها أن توجه التحليل بالاتجاه الصحيح، خصوصاً فيما يتعلق بالمواقف السياسية للامام الصدر، كما أنها تعني الدراسات التي تتناول دراسة شخصيته العلمية، لانها توضح الظروف الحقيقية لنتائج الامام الصدر في الحقول المختلفة، وما هي دوافع الاختيار والعطاء الذي قدمه «تَدْرُسُ»، وبذلك يمكن التوصل الى منهج شخصيته الرسالية في التخطيط والتفكير والعمل.

وقد نجد من الضروري التأكيد في سياق هذه النقطة ، أن مسؤولية الذين عايشوا الامام الشهيد هي أكبر من غيرها ، باعتبارهم عاشوا أجواءه وظروفه عن قرب وفي مناسبات ومواقف متعددة.

القيمة العلمية للذكريات:

عند مراجعة ما كتب عن الامام الشهيد محمد باقر الصدر ، نلاحظ ان الذكريات المدوّنة عنه شهدت انطلاقة مكثفة في المناسبات السنوية الاولى لاستشهاده ، حيث نشر تلامذته والمقربون منه ذكرياتهم معه في فترات مختلفة من حياته. وكانت هذه الذكريات التي نشرت في صحف ومجلات متعددة ومن قبل كتاب متعددين تمثل المصدر الاساس في التعرف على حياة الامام الشهيد وأدوار حياته الاجتماعية والعلمية.

لكن هذه الذكريات قل تدوينها فيما بعد ، فالذين يمتلكون الذكريات قالوا ما عندهم. وقد لجأ بعضهم الى إعادة ما عندهم بأسلوب آخر ، وذلك عندما تأتي الذكرى السنوية لاستشهاد الامام الصدر ويضطرون بدافع الاحساس بالواجب والوفاء الى الحديث عن الشهيد الصدر والاستجابة لدعوات الصحف الاسلامية التي تفتح ملفات خاصة للذكرى السنوية ، بمناسبة فاجعة الاستشهاد.

وفي تقديرنا ان الصحف الاسلامية وفي مقدمتها صحف المعارضة الاسلامية العراقية.. وهي المهتمة أكثر من غيرها في احياء المناسبة - في تقديرنا - ان هذه الصحف رغم انها قدمت مادة كثيرة عن شخصية السيد الشهيد الا أنها لم تصل الى المستوى المطلوب في عملية التوظيف العلمي والوثائقي للذكريات. فقد كانت تعيش المناسبة من اجل الاعلام اكثر مما هي مناسبة لاجل الامام الصدر. كانت تبحث عن

الاثارة والحكاية في تغطية المناسبة ، وتوظف كل ذلك توظيفا كميًا يقوم على اساس عدد الصفحات المخصصة لذكرى الامام الشهيد من مجموع صفحات العدد. وقد دفعها ذلك الى الاعداد والتكرار لدرجة ان مقارنة أعداد بعض الصحف في المناسبات السنوية يظهر التشابه الملحوظ فيما بينها.

ونستطيع ان نكتشف ظاهرة أخرى في الأعداد الخاصة حول ذكرى استشهاد السيد الصدر «*ثُمَّرٌ*» وهي توظيف الامام الشهيد لاهتمامات الصحيفة وحاجاتها السياسية والميدانية. بمعنى ان الصحيفة تجهد نفسها من أجل تحويل الامام القائد الصدر الى شاهد بدعم وجهات نظر الصحيفة في مشاكلها الميدانية مع الصحف الاخرى التي تختلف معها في الخط والاتجاه السياسي.

وهذا ما نلاحظه في الاختلاف الحاد الذي تصاعد بين فصائل المعارضة الاسلامية العراقية حول فكرة التنظيم وجدوى العمل الحزبي الاسلامي في المجال السياسي والاجتماعي وهو صراع حاد غطى سنوات عديدة من عمر المعارضة الاسلامية في ساحات المهجر واستهلك جهود الطرفين في المجال الاعلامي وأثر كثيرا على نشاطاتهم السياسي.

خلال تلك الفترات ، كانت صحافة الطرفين تبذل جهودا استثنائية من أجل زج الامام الصدر في ساحة الصراع واخضاعه قهرا لدعم فكرة وتوجه املته ظروف الساحة وموازاتها السياسية المعقدة والمضطربة. فمن أجل أن يحقق مناهضو العمل الحزبي انتصارهم على الحزبيين ، لجأوا الى اعتبار الامام الشهيد تخلى عن فكرته الحزبية منذ

أوائل السبعينات عندما أصدر فتواه بجرمة العمل الحزبي على طلبة العلوم الدينية المرتبطين بجهاز المرجعية « الرشيدة » .

وقد اضطر الحزبيون ازاء هذا الهجوم الى الدفاع عن أنفسهم بذكر ظروف هذا التحريم ، وانه أملتة ظروف طارئة تعرض لها جو الحوزة العلمية في النجف الأشرف نتيجة الارهاب الدموي للسلطة الحاكمة في العراق وان الإمام الصدر لم يتخل عن مشروعه الحركي في ضرورة العمل الحزبي وان دعمه المباشر لحزب الدعوة الاسلامية وتنسيقه مع قيادته حتى استشهادة دليل قوي على ذلك ، كما وانه رفض بشدة واصرار الاستجابة لطلبات السلطة وتهديدها له في إصدار فتوى تحرم الانتماء لحزب الدعوة الاسلامية باعتباره رأس الحرية في مواجهة النظام البعثي ، وقد ظل على موقفه الحازم حتى استشهادة « رضوان الله تعالى عليه » .

وهكذا تحول الإمام الشهيد الى شاهد مجبر ورقم قسري في حالة الصراع الدائرة بين مناهضي العمل الحزبي وبين متبنيه ، وبدل ان يُستلهم فكره علميا من أجل أن يوظف في دعم قضايا الامة واستكمال مشاريعه أصبح حاجة سياسية واعلامية توظف لمشاريع محدودة خاضعة لظروف خاصة في دائرة ضيقة.

وبدل ان يتصدى مريدوه لدراسة أبعاد شخصيته العملاقة ، استغرقوا في استخدامه كدليل إدانة أو دفاع في معركة فيها الطرفان خاسران لانهما يسيران نحو هدف مشترك ويستهدفهما الاعداء على انهما كيان موحد وأبناء مدرسة واحدة.

لقد اضطر أحد الفريقين الى تصوير الإمام الشهيد الصدر بانه تخلى عن العمل الحزبي واضطر بعض أعضاء هذا الفريق الى الايحاء بانه صحح خطأه الأول في تبني العمل الحزبي ، عندما تخلى عن العمل الحزبي ، ورغم قساوة هذه الاساءة للإمام الشهيد فانها تمثل تشويها لحقائق التاريخ ولسيرة حياة رمز القضية الاسلامية المعاصرة.

لقد كان الدافع وراء هذه العملية هو العداء لحزب الدعوة الاسلامية الذي تصاعدت حدته في سنوات عديدة من عمر المعارضة الاسلامية العراقية لكن الغريب ان خصوم حزب الدعوة لم يكتفوا بتوظيف الإمام الشهيد كرقم في حملة الهجوم ضد هذا الحزب بل حولوه الى رقم ضد العمل الحزبي بكشل عام وضد المشروع الاسلامي في الصيغة الحزبية. وذلك ليتلافوا الدفاع المضاد من حزب الدعوة القائم على الشواهد التاريخية.

وبذلك وصل التحريف الى فكر الإمام الصدر وتوجهاته الاسلامية الاصلية الرائدة في العمل الاسلامي لان العامل السياسي أصبح عند البعض أهم من السيد الشهيد وأهم من تاريخه وموقعه في الحياة الاسلامية المعاصرة.

ان حالة الصراع هذه ليست حالة طبيعية انما هي طارئة في الوسط الاسلامي.

وقد تنتهي ذات يوم. ويلقي الطرفان السلاح ويلتقون كما يجب ، إخوة يسيرون في خط واحد. وعند ذاك ماذا سيكون مصير الكتابات السابقة المنشورة في الصحف على مدى عدة سنوات؟ هل يضطر الكتاب الى تصحيح ما كتبوا او الاعتذار عما قالوا؟

لقد دخلت الكتابة في التاريخ ولم يعد بالامكان شطبها من الذاكرة. لكن المهم ان نمنع المزيد من هذه الحالات السلبية في التعامل مع السيد الشهيد وتراثه ومواقفه، فهي ملك للامة والتاريخ، وليس لاحد أن يحولها الى أرقام بسيطة في معادلات طارئة. وقد تبدو هذه العبارات لأول وهلة متشائمة في تصوير تلك الفترة المؤلمة وقاسية في التعبير عنها، ولكنها الحقيقة التي يصعب تجاوزها^(١).

ان من الضروري التعامل مع تراث الإمام الشهيد وذكرياته بطريقة علمية مسؤولة، لا تتأثر بالعامل السياسي وبالחסبات الخاصة. انما النظر اليها على انها جزء من تراثه تماما مثل، كتبه ونتاجه العلمي في مختلف المجالات، وهذا لو حدث فانه سيحول الذكريات الى مصدر هام من مصادر دراسة الإمام الشهيد لا سيما وان هناك ذكريات لم تدون الى الآن اما بتأثير العامل السياسي أو لان أصحابها يجمعون عن نشرها، لانها تمثل مقاطع صغيرة متفرقة تعود لمناسبات متعددة، فلا يجد أصحابها انها صالحة للنشر من الناحية الفنية إضافة إلى الخوف والإرهاب بالنسبة إلى الذين لا يزالون داخل العراق إبان حكم حزب البعث المجرم.

وفي تقديرنا أن هذه الذكريات المتفرقة والتي تشمل تصريحاً أو رأياً أو موقفاً للإمام الصدر لها قيمة علمية جيدة. فهي يمكن أن تشكل إضافات هامة للدراسات التي تتناول شخصية الإمام الشهيد، ولو قدر لبعض الباحثين أن يطلع عليه لأختار منها ما يدعم دراسته. كما

(١) لتتعرف على ما دار في تلك الفترة من تصعيد إعلامي حول هذا الموضوع يمكن الرجوع على وجه التحديد الى صحيفة «لواء الصدر» وصحيفة «الشهادة» وصحيفة «الجهاد» خلال عقد الثمانينات. وقد كانت حدة الحديث تصل الى مستوى الاتهام إثارة الشبهات في بعض الاحيان كما وصل الصراع الى اصدار المنشورات والقاء الأحاديث من على المنابر.

أن بعض الذكريات يمكن أن تفتح آفاق البحث أمام الباحثين. أو قد تكون بجد ذاتها مشروعاً تأسيساً لعمل علمي قائم بذاته.

وعندما ننقل هذه الصورة المحزنة، فلأنها ليست قضية خافية، وإنما أصبحت جزءاً من تاريخ المعارضة الإسلامية في المهجر. واطلع على تفصيلاتها حتى الذين لا علاقة لهم بجو المعارضة، وقد أساءت تلك الظاهرة إلى عموم القضية العراقية وإلى المعارضة الإسلامية على وجه الخصوص. حيث بدت ممزقة ومنقسمة على نفسها في حين فصائلها المؤثرة تنتمي إلى مدرسة الإمام الشهيد الصدر وترفعه رمزاً لها.

وربما يبرر البعض أن ما حدث كان نتيجة ظروف طارئة لكن المحزن أن يزج الإمام الصدر في صراع الظروف الطارئة.

الزمن ودراسة الشخصية:

أثرنا في نقطة سابقة من هذه الدراسة إلى ان المعاشة عنصر هام في دراسة الشخصية، وان الكاتب عندما يدرس الشخصية من خلال احتكاكه بها فإنه سيقدم تصورات مطابقة للحقيقة أو قريبة منها.

وهذه الميزة ربما تتوفر للباحث الذي يكتب عن شخصية لم يكتك بها ولم يتعرف عليها إلا من خلال المصادر التاريخية. إلى جانب المعاشة هناك عامل الزمن الذي يحتل أهمية كبيرة في منهجية البحث ودراسة الشخصية.

ولا نقصد بعامل الزمن هنا مجرد القرب الزمني بين مشروع الكتابة والشخصية - موضوع البحث - بل نريد تأثير الشخصية على

حركة الزمن ومسار الأحداث في الفترة التي عاشتها، وامتدادها المؤثر بعد الوفاة.

لقد اعتاد الباحثون التوقف في دراساتهم عند وفاة الشخصية، واعتباره المحطة الأخيرة في مشروع الدراسة. لكننا نعتقد ان هذا التوقف قد يكون صحيحاً بالمقياس الأكاديمي، لكنه من البعد الحقيقي لقيمة الشخصية يعد ناقصاً. فهناك شخصيات برزت آثارها بعد موتها أكثر مما كانت مؤثرة في حياتها وان عطاءات امتداداتها كانت أكثر من عطاءتها المباشرة يوم كانت على قيد الحياة.

ولقد ترك أبطال التاريخ بصماتهم الثابتة على حركة الزمن لفترة طويلة وظل دورهم حياً لم يمّت بموتهم. وليس من السهولة الإحاطة بهؤلاء البطال الذين امتد دورهم المؤثر في الحياة السياسية أو الفكرية أو الاجتماعية وغير ذلك من المجالات.

إننا نلاحظ ان هناك الكثير من الشخصيات التي فرض عليها الواقع الزمني أوضاعاً قاسية حجّمت أدوارهم التاريخية مع قدرتهم على لعب أدوار أكثر خطورة وأهمية مما قاموا به.

فلقد اتفق المؤرخون مثلاً على أن السلطان العثماني عبد الحميد الثاني كان يتمتع بمواصفات ذهنية وقدرات سياسية وإدارية عالية، بحيث يمكن تصنيفه ضمن سلاطين آل عثمان البارزين، إلا أن عبد الحميد جاء في فترة كانت فيها الدولة العثمانية على حافة الانهيار.

ومع ذلك فإنه آخر موعداً انهيارها لفترة ما، ويذهب بعض المؤرخين الى ان عبد الحميد لو ولد في فترة سابقة لاستطاع ان يغير مسار الدولة العثمانية وان يدفع بها باتجاه آخر غير الذي آلت إليه.

وما ينطبق على عبد الحميد الثاني ينطبق على الكثيرين غيره، فإن الظروف التي أحاطت بهم جعلتهم لا يمارسون دورا يتلائم مع مؤهلاتهم الشخصية. وعلى هذا فإن الكوابح والعقبات الزمنية لها تأثيراتها المباشرة على عطاءات الأفراد وإبداعاتهم. فقد تحجّم دور البعض، وقد تفرض على البعض الآخر أن يسلك طريقاً غير الطريق الذي ينسجم كلياً مع مؤهلاته وقدراته الشخصية.

وبالتالي فإن دور الفرد في حركة الزمن يتحدد بأجواء الواقع وظروف الزمن وليس بالمؤهل الذاتي فقط.

ويحفظ لنا التاريخ نماذج رائدة لإبطال طليعيين، امتلكوا مواصفات شخصية ومؤهلات إبداعية عالية، فاستطاعوا أن يقدموا إنجازات ضخمة وأن يلعبوا أدوار مؤثرة في حركة الزمن. ورغم أنهم لم يعيشوا سوى فترة قصيرة من الحياة.

فلقد رحلوا عن عالمنا بالموت أو بالقتل لظروف سياسية، في الوقت الذي كانوا يتمتعون بأوج قدرتهم على العطاء والرشد. ولو ان العمر امتد بهم لسنوات أطول، لقدموا المزيد من الآثار الخصبية، ولمارسوا أدواراً أكثر عطاء في حركة الزمن. لكن الأجل حال دون ذلك، أو أن يد الجريمة امتدت إليهم فأوقفت حركتهم البناءة في امتدادات الزمن.

ومن هؤلاء الأبطال الخالدين الذين لم يمتد بهم الزمن طويلاً على سبيل المثال لا الحصر الشريف الرضي محمد بن الحسين الذي كتب في الأدب واللغة والتفسير بأسلوب جديد مبدع وعميق إضافة إلى مهامه الاجتماعية ومواقفه السياسية المشهورة.

والإمام الشافعي محمد بن إدريس الذي توفي في ريعان الشباب وخلف دراسات رائدة في علم الأصول والفقه والحديث لا تزال موضع اهتمام الفقهاء والباحثين. والإمام حسن البنا الذي اغتيل في مصر وهو في أوج نشاطه السياسي وحركته الاجتماعية وعمره لم يتعد النيف والأربعين سنة ويعتبر من رواد العمل الحركي الإسلامي وتعد مدرسته الحركية من أوسع المدارس الحركية المعاصرة انتشارا في العالم الإسلامي.

والإمام الشهيد السيد محمد باقر الصدر الذي أستشهد في العراق وهو لم يكمل العقد الخامس من عمره الشريف، فتوقفت بذلك حركة عطائه الفذة التي تميز بها في سنوات عمره القصير في مختلف آفاق المعرفة الإسلامية والإنسانية.

وهو بحق يمثل ظاهرة حضارية ذات قيمة تاريخية متميزة تستحق الدراسة والتأمل ويعبر بجدارة عن مظهر الوعي والتحدي للصحة الإسلامية المعاصرة في مختلف المواقع والساحات.

وهناك أمثلة عديدة أخرى، للابطال الخالدين الذين غابوا أو غيَّبوا عن مسرح الحياة، لكن عطائهم ظلت خالدة مثمرة مؤثرة وممتدة مع حركة الزمن. ومع إن تلك العطاءات هي ليست كل الحصيلة التي يمتلكونها، فلقد كان بمقدورهم ان يضيفوا المزيد، وأن يقدموا الكثير من الرشد والتأثير لولا رحيلهم المفاجئ السريع عن ميادين الحياة^(١).

(١) نرى في هذه الظاهرة انها تمثل قضية مهمة من قضايا التاريخ، وان الدراسات التاريخية أعطت لبعض هؤلاء الابطال حقهم فيما بقي البعض الآخر دون مستوى الاهتمام المطلوب. نأمل ان يلتفت الكتاب والباحثون الى هذه الظاهرة، وان يدرسوا تلك الشخصيات الرائدة بما يناسب موقعها وأثرها في حركة الزمن.

وقد حدث في التجارب المختلفة أن يتمكن بطل من أبطال التاريخ أن يفرض وجودة على المجتمع ، فيتعلق به تعلقاً شخصياً ، ويستمر هذا التعلق العاطفي حتى بعد وفاته. ورغم ان هذه حالة طبيعية في حياة الأمم والشعوب باعتبار ان الفرد الذي يترك آثاره على مجتمعه. ويظل دوره ممتداً مع حركة الزمن. فان المجتمع ينشدُ إليه عاطفياً من خلال ارتباطهم بدوره المؤثر ونظرتهم التقديسية له.

رغم ان هذه الحالة طبيعية إلا أنها في بعض الحالات تأخذ طابعاً سياسياً. فقد يحدث أن تتمسك الأمة بالشخص تمسكاً عاطفياً غير واع ، فيكون الانشداد إلى الشخص وليس إلى دوره.

مما يجعل من سلوك الأمة عامل تجميد لدور الشخص ، فهي تعطل إنجازاته الزمنية وتحاول إبقاء الزمن عند النقطة التي توقف فيها الفرد البطل بالوفاة لا أن تكمل دوره في حركة الزمن القادم.

فمثلاً انشدَ الوسط العلمي الاسلامي الشيعي الى الشيخ محمد بن الحسن الطوسي شيخ الطائفة انشداد كبيراً خلال القرن الخامس الهجري وتعلق به تعلقاً عاطفياً قل نظيره.

وقد أفرزت هذه الحالة أن سيطر الإحساس العاطفي على الحياة العلمية في حركة الاجتهاد.

فلم يعد بمقدور العلماء أن يتخطوا آرائه الفقهية ونظرياته العلمية لأنهم يرون في ذلك تعدياً على شخصية الطوسي العملاقة وكانت هذه الحالة تهدد مدرسة الاجتهاد عند الشيعة الأمامية بالجمود والتخلف حتى جاء دور محمد بن ادريس الحلبي ، فحطم حالة الجمود

من خلال مناقشاته الجريئة لأراء وأفكار الشيخ الطوسي ، وبذلك عادت حركة الزمن في حياة المدرسة العلمية للمسلمين الشيعة.

وهكذا بقيت حركة الاجتهاد مفتوحة ومتطورة في المؤسسة الشيعية على امتداد حركة الزمن.

وهناك جانب آخر لهذه الحالة العاطفية في تقديس الفرد والجمود على شخصه دون آثاره وعطاءاته. فقد استغل هذه الحالة الإنسانية بعض الاتجاهات السياسية كما هو الحال في تركيا ، حيث بذلت السلطات الحاكمة أقصى جهودها من أجل ربط الشعب التركي المسلم بشخصية كمال اتاتورك. من خلال التعامل مع آرائه على أنها ثوابت ، لأن السلطة ترى في انشداد الشعب الى اتاتورك يحقق لها المنهج العلماني الذي تريده.

وكذلك فعلت السلطة الماركسية في الاتحاد السوفياتي ، حيث حاولت السلطات ربط الشعوب الخاضعة لها بشخصية ماركس ولينين فهي ترى ان هذا الربط لو صار عاطفياً ، فإنها تستطيع أن تفرض الفكرة الماركسية على الواقع الجماهيري ، وان تحولها الى ثابت غير قابل للمناقشة.

وقد استمرت العملية القهرية ومحاولات المسخ والتظليل حتى عهد غورباتشوف حيث انهارت النظرية الماركسية من القواعد وانهار الكيان السياسي المرتبط بها.

فلقد حاولت السلطات بالإرهاب ايقاف حركة الزمن عند حدود كارل ماركس ولينين ، ولكن للزمن مساره الآخر وتياره القوي الذي يحطم حواجز الإعاقة ، فتنهار ذات يوم أمام حركته الساحقة.

وخلاصة القول ان الدور الزمني لا ينفصل عن المؤثرات التي يتعايش معها، فهي التي تتدخل في التأثير على دوره في حركة الزمن، وفي رسم ملامح هذا الدور وفي اعطائه عوامل الأندفاع أو التحجيم او التراجع^(١).

ان من الضروري إدخال عامل الزمن كمرتكز بارز وثابت في منهجية الدراسة عن شخصية الإمام الشهيد الصدر، من أجل الحفاظ على دوره التاريخي وإبقائه حيا مع حركة الزمن.

ولا تهدف هذه العملية إلى تقديم الجميل أو الوفاء للسيد الشهيد، إنما هي حقيقة علمية. فالإمام الصدر صاحب مشروع كبير في الحياة الإسلامية أثبت قوته وجدارته.

ولو قدر للباحثين ان يدرسوه بالمنهجية المطلوبة، لاكتشفوا عناصر إبداع مخفية في مدرسته الرائدة.

(١) تحدثنا في الفصل السادس من كتابنا «الزمن في حركة العاملين» الصادر عن دار الاسلام في لندن عن قيمة الزمن في حياة الخالدين ودور أبطال التاريخ في التأثير على حركة الزمن في حياة الشعوب على صيغتين ايجابية وسلبية. وقد ناقشنا في ذلك الفصل اصطلاح «الدور التاريخي» و «الدور الزمني» للشخصية، حيث ان الاصطلاح الاول يستخدم في حدود الماضي وبذلك يصبح تعبيراً محدود الدلالة عند استخدامه في وصف الشخصيات في حين ان الدور الزمني للأفراد هو أكبر من دورهم التاريخي فهو يمتد بامتداد الفترات التي استمر فيها تأثيرهم وظل فيها دور البطل حيا في مجال اختصاصه ودائرة تأثيره أو في الواقع الانساني بشكل عام. وقد ذكرنا في تلك الدراسة الدور الزمني المتميز للإمام الشهيد الصدر وامتداده المؤثر بعد استشهاده.

ولأستطاعوا أن يكملوا ما أراد أن يقدمه الإمام الشهيد في حياته ،
على أن من الضروري أن نؤكد هنا ان الامتداد الزمني لشخصية الإمام
الصدر لا يقتصر فقط على نتاجه العلمي ، بل يشمل مواقفه العملية
والتي خطط لها « بِسْمِ اللَّهِ » أن يجعلها مشاريع عمل مؤثرة في المستقبل ،
وكان آخرها مشروع استشهاد الذي حوّلته الى موقف رائع حافظ فيه
على انطلاقة العمل الإسلامي وضمن به مواصلته واستمراره ، فكان
« بِسْمِ اللَّهِ » المشروع الحي الخالد في حياته وفي شهادته . وصدق الله إذ
يقول في كتابه :

﴿ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجَعُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾

(٥)

المرجع السيد الشهيد الصدر الثاني مرتكزات في حياته وفكره وشهادته

الشهيد الصدر الثاني .. سيرة ذاتية

التاريخ الأسري:

ينتمي محمّد الصدر إلى أسرة تتصل بوشيجة النسب إلى رسول الله ﷺ ، وبالتحديد إلى الإمام موسى الكاظم عليه السلام عن طريق إبنه إبراهيم المرتضى « ٢١٠هـ » .

نسبه:

هو محمّد بن محمّد صادق بن محمّد مهدي بن إسماعيل بن صدر الدين بن صالح بن محمّد بن إبراهيم « شرف الدين » بن زين العابدين بن علي « نور الدين » بن « نور الدين » علي بن « عز الدين » الحسين بن محمّد بن الحسين بن علي بن محمّد بن تاج الدين المعروف بأبي الحسن بن محمّد ولقبه « شمس الدين » بن عبدالله ويلقب « جلال الدين » بن أحمد بن حمزة بن سعد الله بن حمزة بن « أبي السعادة » محمّد بن « أبي محمّد » نقيب نقباء الطالبين في بغداد بن « أبي الحارث »

محمد بن «أبي الحسن» علي المعروف «بابن الديلمية» بن «أبي طاهر» عبدالله بن «أبي الحسن» محمد المحدث ابن أبي الطيب طاهر بن موسى الكاظم ابن الإمام جعفر الصادق ابن الإمام محمد الباقر ابن الإمام زين العابدين بن الإمام الحسين بن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام وفاطمة الزهراء بنت رسول الله ﷺ.

وتعرف أسرته بآل الصدر، نسبة إلى صدر الدين «١٢٦٣هـ»، ويلقب بالكاظمي أحياناً نسبة إلى الكاظمية موطن الأسرة مؤخراً. ولذا عدّ الدكتور المحقق حسين علي محفوظ أسرة «آل الصدر» في «بيوتات الكاظمية».

ولادته ونشأته:

ومما هو مسموع ومعروف بين آل الصدر أنّ المرحومة والدته وهي من أسرة آل ياسين كانت قد أيست من الحمل فتوسلت بالله في مسجد الرسول الأعظم ﷺ عند تشرّفها بزيارته أثناء الحج أن ترزق ولداً، ونذرت أن تسميه «محمدًا»، فتحقّق لها ما أرادت في فترة وجيزة، فكان سماحته ولدها الوحيد ولم ترزق بغيره. وكانت ولادته المباركة يوم ولادة الرسول الأعظم ﷺ.

فُوُلِدَ سماحته في «١٧ ربيع الأول عام ١٣٦٢هـ الموافق لـ ٢٣ / ٣ / ١٩٤٣م» وهو يوم المولد النبوي الشريف وعاش في كنف جده لأمّه آية الله العظمى الشيخ محمد رضا آل ياسين «قدس سرّه».

وهو من المراجع المشهورين، وقد زامنت فترة مرجعيته مرجعية السيّد أبي الحسن الإصفهاني، ثمّ أصبح المرجع الأعلى بعد وفاة

السيد أبي الحسن ، وعاش كذلك في كنف والده السيد الحجّة محمد صادق الصدر «تتضح» .

وقد نشأ سماحته في بيت علم وفضل وورق العلم منذ صباه بواسطة والده وكان لنشأته وتربيته الدينيّة انعكاس في خلقه الرفيع وسماحته وبشاشته وصدوره الرحب.

تزوج من بنت عمّه السيد محمد جعفر الصدر ورزق بأربعة أولاد هم «مصطفى، مقتدى، مؤمل، مرتضى» تزوج الثلاث الأوائل منهم ثلاثة بنات الإمام السيد الشهيد محمد باقر الصدر «قدس» وله بتان هما زوجتان لولدي الحجّة المرحوم السيد محمد كلانتر.

دراسته وتدرّجه العلمي:

بدأ الدرس الحوزوي في سن مبكرة في سنة «١٣٧٣ - ١٩٥٤» حيث اعتمر العمة وهو ابن «إحدى عشرة سنة» مبتدئاً بدراسة «النحو» وغيره كما هو المعتاد حوزوياً على يد والده السيد محمد صادق الصدر ثم على يد السيد طالب الرفاعي ثم الشيخ حسن طراد العاملي أحد علماء الدّين المجتهدين في لبنان حالياً.

أكمل بقيّة المقدمات على يد السيد محمد تقّي الحكيم صاحب كتاب «الأصول العامّة للفقّه المقارن» والشيخ محمد تقّي الإيرواني «بجزّ الله» .

دخل كليّة الفقه سنة «١٣٧٩ - ١٩٦٠» دارساً على يد ألع أساتذتها فقد درس:

١ - «الفلسفة الإلهية» على يد عميدها «الشيخ محمد رضا المظهر».

- ٢ - «الأصول والفقہ المقارن» على يد «السيد محمد تقي الحكيم».
- ٣ - «الفقہ» على يد «الشيخ محمد تقي الإيرواني».

وكان من أساتذته في هذه الكلية الشيخ مهدي مطر وبعض الأساتذة من ذوي الإختصاصات والدراسات غير الحوزوية كالسيد عبد الوهاب الكربلائي مدرس اللغة الإنجليزية حيث كان سماحته من أفضل طلاب صفه وكذلك الدكتور حاتم الكعبي في علم النفس، والدكتور فاضل حسين في التاريخ.

ومما يذكر أنّ السيد الصدر قد كتب إنشاءً باللغة الإنجليزية تميّز به عن كل الطلاب وفضله مدرس المادة على باقي إنشاءات الطلبة، وفي درس التاريخ خصّه أستاذ الدرس بالأولوية.

تخرج سماحته من كلية الفقه سنة «١٣٨٣ - ١٩٦٤» ضمن
الدفعة الأولى من خريجي كلية الفقه وكان من زملائه الذين تخرجوا
معه :

- ١ - الدكتور الشيخ أحمد الوائلي.
- ٢ - الشيخ مسلم الجابري.
- ٣ - السيد عدنان البكاء.
- ٤ - السيد مصطفى جمال الدين.
- ٥ - السيد أحمد زكي الأمين.
- ٦ - الشيخ محمود الكوثراني.
- ٧ - الشيخ أحمد القيسي اللبناني.

ثمّ دخل مرحلة السطوح العليا حيث درس كتاب «الكفاية» للشيخ محمّد كاظم الخراساني الملقّب بالآخوند على يد السيّد الشهيد الصدر «مُنْتَهَى» وبعض كتاب «المكاسب» للشيخ مرتضى الأنصاري على يد السيّد محمّد تقي الحكيم.

وقد كان لدراسته عند هذين العلمين الأثر الأكبر في صقل ونمو موهبته العلمية التي شهد له بها أساتذته أنفسهم، ثمّ أكمل دراسة كتاب «المكاسب» عند الشيخ «صدرا البادكوبي» الذي كان من أساتذة الحوزة وفضلائها ويتّصف بالورع والصدق والحكمة.

ارتقى الصدر مدارج البحث «الخارج» فحضر بحث الخارج «الأصول» للسيّد الشهيد الصدر «مُنْتَهَى».

كما حضر أيضاً بحث الخارج عند السيّد الخوئي وقد استفاد من هذا الحضور في الاطلاع على آراء المحقّق السيد الخوئي ومناقشتها فيما بعد، أمّا أساتذته في بحث الخارج فقهاً وأصولاً فهم:

- ١- السيّد الشهيد محمد باقر الصدر «مُنْتَهَى» - دورة أصوليّة كاملة وكتاب الطهارة من الفقه.
- ٢- السيّد الأستاذ الخوئي «مُنْتَهَى» - دورة أصوليّة كاملة وكتاب الطهارة من الفقه.
- ٣- السيّد الخميني «مُنْتَهَى» - في كتاب المكاسب.
- ٤- السيّد محسن الحكيم «مُنْتَهَى» - كتاب المضاربة.

أما إجازته في الرواية فقد سئل سماحته في أحد الإستفتاءات الموجهة إليه فكان جوابه أن له إجازة من عدّة مشايخ أعلاها من جناب آية الله ملّا محسن الطهراني الشهير بأغابزرك الطهراني صاحب

كتاب «الذريعة إلى تصانيف الشيعة» عن أعلى مشايخه وهو الميرزا حسين النوري صاحب كتاب «مستدرک الوسائل».

ومنهم أيضاً والده السيد الحجّة محمد صادق الصدر وخاله الشيخ مرتضى آل ياسين وابن عمّه آية الله السيد آغا حسين خادم الشريعة والسيد عبدالرزاق المقرّم صاحب كتاب «مقتل الحسين عليه السلام» وآية الله السيد حسين الخرسان، وآية الله السيد عبدالأعلى السبزواري والدكتور حسين علي محفوظ وغيرهم.

إجازة بالإجتهد من قبل أستاذه الإمام الشهيد السيد محمد باقر الصدر «قده» في سنة «١٣٦٩ - ١٩٧٧» وكان عمره «٣٤ سنة» حتى اتفق أنّ الطلبة الفضلاء قد طلبوا من السيد محمد الصدر أن يباحثهم خارجاً.

وقد سألوا السيد الشهيد الصدر الأول «قده» عن ذلك فبارك لهم ذلك وشجّعهم عليه وذكر لهم تمام الأهلية لسماحة السيد محمد الصدر.

وقد اتفقوا على أن تكون مادّة البحث الخارج في الفقه الإستدلالي في كتاب «المختصر النافع» للمحقّق الحلّي لأنّه فقه كامل ومختصر في نفس الوقت.

فبدأ سماحته يباحث «خارجاً» لأوّل مرّة من أوّل الكتاب «باب الطهارة» إلّا أنّ الظرف في ذلك الوقت لم يخدمه فتفرق الطلاب وانقطع البحث وقد دام هذا البحث قرابة أربعة أشهر وكان يلقي الدرس في مسجد الطوسي آنذاك.

ثمّ بتسديد وعون الله عاد السيّد الشهيد لإلقاء بحث الخارج بعد سنوات وبالتحديد في سنة « ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م ».

ولكن هذه المرّة على كتاب « الشرائع الاسلام » للمحقّق الحليّ « باب كتاب الصلاة ».

إضافة إلى إلقاء محاضراته في تفسير القرآن الكريم يومي الخميس والجمعة من كل أسبوع إضافة إلى أيام التعطيل الدراسي.

ومما تميّز به هذه المحاضرات روح التجدد والجرأة في نقد الآراء وتفنيدها، فلقد خرق عادة المفسّرين في تفسير القرآن الكريم من سورة الفاتحة مبتدئاً بالعكس من سورة الناس، وله في اتخاذ هذا المنهج رأي سديد طرحه في بداية البحث التفسيري.

حيث قال مفسراً وموضحاً السبب في ذلك أنّ عادة المفسّرين أن يرموا بثقلهم كلّه أو جلّه في السور الطوال التي يبتدأ بها القرآن حتى إذا ما وصلوا إلى المنتصف أو أكثر تتردد في السور اللاحقة عبارة « كما قلنا فيما سبق » فلا يعطون السور الأخيرة حقّها لأنّهم أجهدوا أنفسهم في الماضي فاتّخذ سيّدنا هذا المنهج من باب سدّ النقص الذي من الممكن احتمالية حصوله بسبب ما قلناه واشباع آخر القرآن الكريم.

ومما يؤشر على المسيرة العلمية لسماحته ما يلي:

١ - إطلاع سماحته على آراء أربعة من أشهر المجتهدين هم السيّد الشهيد الصدر الأوّل قده، والمحقّق الخوئي قده، والسيّد محسن الحكيم قده، والإمام الخميني قده وهذا الإطلاع وحضور بحثهم بطبيعة الحال سيؤدّي إلى نمو وتطور المستوى العلمي لسماحته.

٢ - تميّز أستاذه الشهيد الصدر عليه السلام بالتجديد في الأصول وهذا يعني أنّ سماحته قد حمل بلا شك من هذا التجديد.

صفاته وسجاياه:

رغم ان كل إنسان لا يخلو من مآدح ولا ينجو من قاذح إلّا أنّ سيّدنا بز بأخلاقه غيره وقد شهد بتواضعه وبساطة شخصيته الجمع الكثير ممن قلده أو لم يقلده علاوة على اتصافه بسرعة البديهة في الإجابة على الأسئلة الفقهية والعلمية والفكرية.

وبالإقتراب من سماحة السيّد يتّضح سلوكه العرفاني الذي يحاول تغطيته دفعاً لحصول ما يخاف سماحته حصوله من رياء أو سمعة أو انحراف عن الخط الإلهي - حاشاه عن ذلك - لكثرة ما تكرر في عبارته من التنبيه والتحذير من ذلك والتأكيد على جانب الإخلاص في العلاقة مع الله في القول والفعل.

فهو لا يرضى أن تقبل يده محاربة منه للشيطان، حيث يقول معترضاً على هذا: «أنت تدخل الجنة وأنا أدخل النار»، يعني إنّك أنت تدخل الجنة لأنك تفعل ذلك قربة إلى الله وأنا أدخل النار لإحتمال حصول الكبر بتقبيّل اليد، وتراه يعترض ولا يقبل أن تتعالى الأصوات بالصلوات مقترنة بدخوله لنفس السبب الأنف، وتراه ثالثة لا يرضى أن يمنع شخصاً يؤدّن لصلاة الجماعة آذاناً خاطئاً ويقول لبعض طلبته: «لا أريد أن أمنعه لعل بينه وبين الله صلة لا أريد أن أقطعها».

ويجيب رابعة على مسائل جواباً تقوائياً «بحسب القاعدة حلال لكن إن كنت تحب أن تكون ورعاً لا تفعل ذلك».

ويستشف من بعض إجاباته لسائله ما خفي من المعرفة الإلهية حيث يجيب في كثير من الأحيان الإجابة قائلاً: «هذا من الأسرار» رآقة بالسائل أن لا يتحمل الجواب.

وهكذا بالإقتراب من سيّدنا تتبيّن بعض الآفاق التقوائية والعرفانية لسماحته. وما خفي بعد ذلك أكثر.

سلوكه وأخلاقه:

تجد في سماحته نزعة روحية عميقة، وخلقاً إسلامياً رفيعاً، وبساطة تحوطها هيبة المتّقين. تواضع يُشعرك بعظمة الأولياء الصالحين، ونكران للذات يجعلك تحب تلك الذات التي تنكّر لها صاحبها، وانقطاع لله عزّ وجلّ تجد فيه نفحات علوية سجادية.

ذكر أحد المقرّبين من السيّد الشهيد محمّد باقر الصدر رحمته الله إنّ المرحوم الحجّة السيّد محمّد صادق الصدر جاء إلى السيّد محمّد باقر الصدر شاكياً له ولده السيّد محمّداً الصدر، لا من عقوق ولا جفاء، ولا قصور أو تقصير بل من كثرة عبادته وسهره في الدُعاء والبكاء حتى أوشك على إتلاف نفسه.

فما كان من السيّد محمّد باقر الصدر إلا أن بعث إليه وطلب منه الإعتدال في العبادة فاستجاب له لأنّه كان مطيعاً لأستاذه محبّاً له لا يعصيه ولا يخالفه.

ومن سماته وخصاله: خلقه الرفيع المبرأ من كل رياء أو تصنّع ويكفيك أن تعايشه دقائق لتعرف ذلك فيه واضحا جلياً ويغنيك العيان عن البرهان.

مؤلفاته:

- ١ - نظرات إسلامية في إعلان حقوق الإنسان - مطبوع - وهو مناقشة إسلامية للائحة اعلان حقوق الإنسان الذي صدر عن منظمة الامم المتحدة عام ١٩٤٨م.
- ٢ - فلسفة الحج ومصالحه في الإسلام - مطبوع.
- ٣ - أشعة من عقائد الإسلام - مطبوع.
- ٤ - القانون الإسلامي: وجوده، صعوباته، منهجه - مطبوع، وهو محاولة مختصرة لإثبات إمكانية كتابة الفتاوى الفقهية على شكل مواد قانونية.
- ٥ - موسوعة الإمام المهدي عليه السلام، صدر منها لحدّ الآن:

أ- تاريخ الغيبة الصغرى.

ب- تاريخ الغيبة الكبرى.

ج- اليوم الموعود بين الفكر المادي والديني.

د- تاريخ ما بعد الظهور.

وهي موسوعة مفتوحة طُبِعَ منها لحدّ الآن أربعة أجزاء والخامس مخطوط ومن الممكن أن تصل إلى إثني عشر جزءاً.

وقد أغنت هذه الموسوعة المكتبة الإسلامية عموماً والشيعية خصوصاً بما حوته من آراء لكثير من التساؤلات التي تدور حول قضية الإمام المهدي عليه السلام وظهوره.

بقي أن تعرف أنّ هذه الموسوعة صدرت وكان عمر السيّد حينها تسعاً وعشرين عاماً تقريباً. كما تجدر الإشارة إلى المقدّمة الرئيسية لهذه

الموسوعة التي كتبها سماحة أستاذه السيّد الشهيد الصدر الأول رحمته على شكل بحث موجز حول الإمام المهدي عليه السلام وقد قال في نهايته :

« وسأقتصر على هذا الموجز من الأفكار تاركاً التوسّع فيها وما يرتبط بها من تفاصيل إلى الكتاب القيم الذي أمامنا، فإننا بين يدي موسوعة جلييلة في الإمام المهدي عليه السلام وضعها أحد أولادنا وتلامذتنا الأعرّاء وهو العلّامة الباحثة السيّد محمّد الصدر « حفظه الله تعالى » وهي موسوعة لم يسبق لها نظير في تاريخ التصنيف الشيعي حول المهدي عليه السلام في إحاطتها وشمولها لقضية الإمام المنتظر من كل جوانبها، وفيها من سعة الأفق وطول النفس العلمي واستيعاب الكثير من النكات واللفّات ما يعبر عن الجهود الجلييلة التي بذلها المؤلف في إنجاز هذه الموسوعة الفريدة، وأنّي لأحس بالسعادة، وأنا أشعر بما تملأه هذه الموسوعة من فراغ وما تعبر عنه من فضل ونباهة وألمعية وأسأل المولى « سبحانه وتعالى » أن يقر عيني به ويريني فيه علماً من أعلام الدين ».

٦ - ما وراء الفقه - مطبوع.

وهو موسوعة فقهية عبارة عن عشرة أجزاء بأقسام مختلفة، تحتوي هذه الموسوعة على أسئلة تخص الثقافة الفقهية المعمّقة وقد طرح فيها سماحة السيّد الشهيد آراء تخص المسائل الخلافية بين الفقهاء بشيء من الإستدلال، ومهمّته الأساسية في هذا الكتاب شرح أهم موضوعات وتحرير المسائل في الفقه مما لم يتعرض له الفقهاء بشيء من التفصيل.

٧ - فقه الأخلاق «جزءان» - مطبوع.

دورة فقهية يُبحث فيها عن الأحكام الأخلاقية والمستحبات في الفقه.

٨ - فقه الفضاء - مطبوع.

اشتمل هذا الكتاب على بحوث شرعية تعد نادرة وجديدة.

٩ - بحث حول الكذب - مطبوع.

١٠ - بحث حول الرجعة - كتيب مطبوع.

١١ - كلمة في البداء - مطبوع.

١٢ - الصراط القويم - مطبوع. لحدّ الآن ٤ طبعات، وهو:

رسالة عملية تحتوي على فقه متكامل ومختصر في الفتاوى التي تفيد المقلدين.

١٣ - منهج الصالحين - مطبوع.

رسالة عملية مكوّنة من خمسة أجزاء تمثّل موسوعة فقهية على مستوى الفتاوى العملية.

١٤ - مناسك الحج - مطبوع.

١٥ - كتاب الصلاة - مطبوع. كتاب صغير لأحكام الصلاة.

١٦ - أضواء على ثورة الامام الحسين عليه السلام - مطبوع.

١٧ - مئة المثان في الدفاع عن القرآن - تمّ طبع الجزء الأوّل.

وهي مجموعة من المحاضرات في التفسير والعلوم والقرآن يلقيها السيّد الشهيد على الطلبة في يومي الخميس والجمعة من كل أسبوع.

مشكلات التعليم العالي في دول المشرق (❖)

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ ﴿١١﴾ ❖ المجادلة ❖

اهتم الباحثون والمختصون في مجال التعليم بدراسة أوجه التفضيل بين التعليم الحكومي والأهلي، ولم تكن النتائج حاسمة برغم أهمية هذا الموضوع، وخضوعه للبحث والاستقصاء، فقد كانت هذه الجهود تواجه جملة من التفضيلات المتبادلة لكل نمط من التعليم الحكومي والأهلي، كما ان هناك نقاط ضعف في كل منهما، مما جعل المفاضلة تبقى متحركة وغير قاطعة بين النمطين.

ولكن بشكل عام تشير الأبحاث الأكاديمية، والتجارب العملية لنشاط الجامعات في دول المشرق إلى حقيقتين:

الأولى: إن التعليم العالي في مجال الدراسات الإنسانية أفضل في الجامعات الأهلية منه في الجامعات الحكومية خصوصا في البلدان ذات النزعة المركزية الصارمة، وذلك لمرونة تعديل المناهج، بحكم استقلالية

(❖) قدم هذا البحث إلى مؤتمر مجمع أهل البيت العالمي في طهران بالإشتراك مع الدكتور سعد محمد علي التميمي، المساعد الإداري لرئيس جامعة الإمام جعفر الصادق عليه السلام.

التعليم الأهلي عن البرامج الحكومية، فضلا عن أن طلبه الدراسات العليا يجدون المجال أمامهم مفتوحا في اختبار مواضيع بحوثهم، خلافا للجامعات الحكومية التي تراعى فيها السياسة العامة للبلاد، والتوجيهات الرسمية التي تفرض حزمة من القيود والضوابط على اختبارات الدراسات العليا، وهذا ما جعل التعليم الأهلي يتفوق في نتائجه على الحكومي.

الثانية: يتفوق التعليم الحكومي على التعليم الأهلي في دول الشرق في مجال الدراسات العلمية التطبيقية، نظرا لقدرة الدولة على توفير إمكانات قوية تعجز عنها الجامعات الأهلية، كالمختبرات المتطورة والوسائل التقنية المتجددة وما إلى ذلك من شؤون ومستلزمات توفرها الدولة لجامعاتها بسهولة.

الاستيعاب المضطرب لمخرجات التعليم الثانوي:

يواجه التعليم العالي مشكلة كبرى تتمثل في استيعاب الإعداد المتزايدة من الطلبة سنويا إذ تظهر الإحصائيات الدولية أن نسبة الزيادة المفروضة على الجامعات تتزايد بنسب تتراوح ١٥٪ إلى ٣٠٪ سنويا باختلاف العدد الإجمالي للسكان، إذ ان هناك علاقة ترابطية بين الزيادة السكانية وزيادة الطلبة المؤهلين للدخول في الجامعات - كما هو واضح - في حين تبقى مجالات الاستيعاب ثابتة غير متطورة.

وقد باشرت الدول الأوروبية منذ أكثر من عشر سنوات وضع برنامج تطويري يستطيع أن يلبي التزايد العددي، بحيث تكون الجامعات مؤهلة لاستقبال الزيادة العددية، كما قدمت اليابان مشروعا عمليا عام ٢٠٠٤، يعد الأكثر تطورا في العالم إذ إنها أقدمت على

حزمة من التعديلات في المناهج وقوانين التعليم والبرامج وآليات الاستيعاب، وقامت باعتماده عام ٢٠٠٧، مما شكل نقلة هائلة في مسار العملية التعليمية بكل تفاصيلها، ورغم تطور التعليم العالي في اليابان، أي أن هذه التعديلات أعطت دفعة جديدة للمسار التعليمي المتطور أساسا.

في مقابل هذه الصورة فإن مشكلة كبرى تبرز بوضوح في دول الشرق، وهي قلة الملاك التدريسي مقارنة بأعداد الطلبة الجامعيين، فهناك في عالمنا الإسلامي نقص واضح في الأساتذة الكفاء، مما يعرض الأستاذ الجامعي للإرهاق وعدم القدرة على مواكبة التطور والبحث العلمي بالشكل المطلوب، لأنه يشغل معظم الوقت «الساعات المخصصة لدوامه الرسمي» في متابعة شؤون الطلبة، وفي المقابل لا يجد الطلبة الاهتمام المطلوب من أستاذهم لان العشرات منهم يجدون أنفسهم يرجعون إلى أستاذ واحد فقط، وفي مقدمة الدول التي تعاني هذه المشكلة الأردن ومصر والسودان وتركيا والعراق، بحسب الدراسات الميدانية للأعوام ٢٠٠٦ إلى ٢٠١٠ إذ لم تشهد هذه الدول تطورا ملموسا يعالج هذه المشكلة.

مواكبة التطور:

تدعو توصيات المؤتمرات التي تعقد بكثافة لمعالجة مشكلات التعليم في العالم الإسلامي على أن دول الشرق الأوسط لم تخطط بشكل علمي لمواجهة مشكلات التعليم العالي بجدية، فالغالبية الساحقة من مؤسسات التعليم العالي الرسمية في الدول الشرقية تتصف بكثرة الطلاب، وتدني نوعية التعليم، وافتقار الطلبة إلى الشروط الأساسية للتعلم الذاتي، وغياب عوامل النقد والتقويم والتحليل والإبداع،

كما إن نسبة كبيرة من الأساتذة تواجه صعوبة في مواكبة التطور العلمي بمختلف مجالاته بسبب الضغط التدريسي، بالرغم من أن نسبة مهمة من الطلبة الجامعيين باتوا على تواصل مع المعارف المتطورة عبر شبكة الانترنت ولديهم قدرات عالية لاكتساب تكنولوجيا المعلومات.

ويأتي عامل مهم في اعاقاة المحفزات الذاتية لتطوير مستوى المعلومات لدى أساتذة الجامعات، وهو ثبات المناهج الدراسية، وعدم خضوعها للتعديل والتطوير المستمر، مما يجعل الأستاذ الجامعي متوقفا في حدود المنهج الذي يمضي عليه أكثر من عشر سنوات دون تعديل، وهو سبب مهم لا يدفع الأستاذ إلى تطوير معلوماته ومن ثم يحرم الطالب من تلقي معلومات جديدة، وتبرز هذه المشكلة بشكل اكبر في الجامعات الحكومية نظرا لصعوبة تعديل المنهج لارتباطه بالجو الرسمي والسياسة العامة الراكدة للدولة.

إن نسق المعرفة في زمن العولمة فرض تغييرات جذرية على جميع أنظمة التعليم في العالم، خاصة على مستوى التعليم العالي ومراكز البحث العلمي، فهو يحتاج إلى اكتساب العلوم العصرية والتكنولوجيا المتطورة، والتواصل مع الآخر، والاطلاع على آخر الأفكار والأبحاث العلمية والسعي للنشر على نطاق واسع بفضل خدمات منظومة الانترنت المتاحة لكل فرد. وفي ضوء ذلك تكون النتيجة تكريس ذهنية التلقي المجرد لدى الطالب، وتغلق أمامه أبواب التعلم الاستكشافي والإبداع والنشاط العقلي الحر.

ومن القضايا التي تتركز فيها مشكلات التعليم العالي: استقلالية الجامعات، ودعم البحث العلمي، ودور الجامعات في خدمة وتنمية المجتمع المحلي، وضبط واداء الجودة والاعتماد العلمي الرصين.

ففي ظل تراجع مستوى التعليم العالي في معظم بلدان الشرق الإسلامي وتفاقم العديد من المشاكل سواء أكانت داخل الجامعات أم بين الجامعات والمجتمع المحلي، تبدو الحاجة ملحة لورش علمية من شأنها ان تشخص المشاكل بشكل دقيق وتقدم الحلول الناجعة، ولا بد أن يسهم رؤساء الجامعات وأعضاء الهيئة التدريسية وقادة المجتمع المحلي وأعضاء مجالس الأمناء وأخيراً الطلبة وأولياء أمورهم للنهوض بمستوى التعليم في هذه البلدان.

فالحوار ومشاركة الجميع في التفكير في إيجاد آليات مشتركة تخدم كافة الجامعات الرسمية والخاصة وتخرج بتوصيات وقرارات موحدة حول مشكلات التعليم العالي هي مسؤولية مقدسة واجب أخلاقي من أجل تحقيق الأهداف المنشودة.

وقد تكون الخطوة الأولى في هذا المجال هي ترتيب الأولويات والإجابة على بعض التساؤلات المشروعة مثل: ما الذي نريده من الجامعات؟ وماذا تريد الجامعات من المجتمع والدولة؟

وذلك من أجل وضع خطة عمل أو تصور واضح حول أبرز التحديات والعقبات التي تعاني منها الجامعات.

وأبرز الحلول العملية المقترحة لمواجهة هذه التحديات، فلا شك أن الوقت قد حان للشروع بالإصلاح التعليمي الشامل وترجمته على أرض الواقع، ويأتي ذلك من خلال محاور عدة تسهم نذكر منها ما يأتي:

استقلالية الجامعات :

بالرغم من المطالبات الكثيرة باستقلالية الجامعات ، إلا أن ذلك غير متحقق في بلدان الشرق الاسلامي بشكل كبير مما ترتب على ذلك صعوبة التنوع والتفرد بين الجامعات ، وهذه الاستقلالية لا تعني الانفصال التام عن مؤسسات الدولة الأخرى التي لها صلة بالتعليم العالي.

البحث العلمي :

كثر الحديث مؤخراً عن دعم البحث العلمي وضرورته ، وهذا الحديث مبرر على اعتبار البحث العلمي من أهم واجبات عضو هيئة التدريس ، وهو المعيار الأوحده في الجامعات للترقية والتقييم ، وهنا نود أن نتوقف عند واقع البحث العلمي في الشرق بشكل عام ، ونقول أنه بعد إعلان جامعة شنغهاي عن قائمة أفضل «٥٠٠» جامعة على مستوى العالم وخلو القائمة من أي جامعة عربية لم يعد أحد يخدع بمظاهر البحث العلمي في بلادنا ، فالعدد وكثرته لا يغني عن النوع وعشرات الآلاف من الأبحاث العلمية التي تزخر بها الجامعات العربية لم تسهم في حل مشكلة أو إضافة براءة اختراع واحد.

ولقد وصف تقرير التنمية الإنسانية العربية لعام ٢٠٠٣م البحث العلمي في العالم العربي بكلمة «المُفسد» وهو في حقيقة الأمر مفسد لأنه كمي وليس نوعي لا يستفاد منه في خدمة المجتمع وتنميته ، وهو مفسد لأن عملية التقييم تخلو في كثير من الحالات من الموضوعية والمصداقية وتخضع لاعتبارات خاصة الأمر الذي يثير الشكوك بقيمة وجدوى مثل هذا النوع الذي أطلقنا عليه مظاهر البحث العلمي الخادعة.

ما هي العلاقة بين آلية تقييم البحث العلمي في الجامعات وتدني مستوى البحث العلمي المنتج فقط لأغراض الترقية؟ إن ترتيب الجامعات العربية بين الجامعات العالمية يبعث على القلق والحزن، وكما هو معلوم فإن أحد معايير التقييم في هذا المجال هو حجم البحث العلمي المنتج في الجامعات ومن هنا فإن البحث العلمي النوعي هو أحد أهم ركائز التعليم العالي وهو مسؤولية الجميع من أساتذة وجامعات ومؤسسات ولا بدّ من العمل على دعمه وتطويره.

علاقة الجامعة بالمجتمع المحلي :

الجامعة عند إنشائها سواء أكانت حكومية أم خاصة «أهلية» تصبح جزءاً من المجتمع المحلي الذي تنشأ فيه، ولا شك فإنها تسهم في نهضته وتقدمه سواء عن طريق رسالة التعليم أو البحث العلمي الجاد، أو التفاعل مع المجتمع والعمل على الاستجابة لهماومهم وحاجاته وتطلعاته. ولما كان هذا هو واقع الحال فإن الوضع الطبيعي والمنطقي أن تعكس الجامعة واقع المجتمع المحلي وتأخذ بعين الاعتبار ظروف وإمكانات أبناء ذلك المجتمع عند المنافسة سواء في الدراسة في الجامعة أو في التعيين في مختلف وظائف الجامعة الإدارية أو الأكاديمية.

وذلك انسجاماً مع الفلسفة من إنشاء الجامعة في تلك المنطقة ابتداءً وتجسيداً لمبادئ العدالة وتكافؤ الفرص.

الشراكة الحقيقية بين الحكومة والقطاع الخاص :

ففي إطار إصلاح التعليم العالي فإن هناك حاجة ملحة للتأكيد على أن القطاع الخاص عليه مسؤولية وواجب الاستثمار في التعليم

وتقديم الدعم للجامعات ، فالمساعدات التي يقدمها القطاع الخاص في هذا المجال لا تزال شكلية أو رمزية لا تقدم ولا تؤخر في واقع الحال.

وعلى الجامعات أن تبادر أيضاً في جذب القطاع الخاص وتشجيعه والانفتاح عليه ، فهو شريك أساسي في عملية التنمية وقد يكون إشراك القطاع الخاص ليس فقط في المشاريع الاستثمارية التي يمكن للجامعات إقامتها وإنما في عملية إدارة هذه المشاريع خطوة استراتيجية وأسلوب ملائم لجذب وتشجيع هذا القطاع الحيوي.

دعم وتحفيز أعضاء هيئة التدريس :

عند الحديث عن مشاكل التعليم العالي في هذه البلدان لا تتم الإشارة من قريب أو بعيد إلى هموم وقضايا وحاجات وتطلعات أعضاء هيئة التدريس باعتبارهم العمود الفقري في عملية التعليم العالي ، ولا سيما أن رفع مستوى العليم العالي في بلادنا هو مسؤولية تقع على عاتقهم بالدرجة الأولى.

مسؤولية أعضاء هيئة التدريس :

إن المسؤولية الاجتماعية لأساتذة الجامعات في هذا المجال ذات أبعاد ومضامين أخلاقية اجتماعية وطنية وإنسانية ، وتقتضي من كل فرد منهم القيام بواجباته على أكمل وجه في التدريس والبحث العلمي وخدمة وتنمية المجتمع المحلي. إن وظيفة التدريس هي أسهل الواجبات أو المهام التي يقوم بها أستاذ الجامعة ، ولذا فإن الواجبات أو المهام الأخرى الأكثر صعوبة هي أن يكون أستاذ الجامعة أيضاً قدوة لطلابه ، باحثاً منتجاً للإبداع والمعارف العلمية ، وناشطاً فاعلاً في المجتمع

باعتباره أحد أهم عناصر الإصلاح وقوى التغيير والتحديث في المجتمع.

وعند قيام أستاذ الجامعة بوظيفته كباحث فلا بد من أن يلعب البحث العلمي دوراً أساسياً في حل مشاكل المجتمع وتلبية احتياجات وتطلعات أفرادها، أما إذا بقي البحث العلمي محصوراً في إطار الجامعة ويستخدم لغايات شخصية بحتة مثل الترقية والحصول على مكاسب شخصية أو مادية مثلما هو واقع حال البحث العلمي في كثير من دول الشرق إن الوظيفة الأكثر صعوبة بالنسبة للأستاذ الجامعي هي أن يكون ناشطاً في المجتمع، وعنصراً تنموياً فاعلاً.

الطلبة :

إن الفئة المستهدفة في عملية التعليم هي فئة الطلبة، فهم محور العملية التعليمية، وبالتالي لا بد من مراعاة مصالح واحتياجات هذه الفئة والتي تعتبر شبه مستبعدة عند الحديث عن مشاكل التعليم العالي، ولا بد من عقد لقاءات منتظمة ودورية على مستوى الأقسام والكليات في أجواء من الشفافية والحرية للتعرف على مشاكل هذه الفئة.

ومن ثم العمل على تلبية تطلعاتها واحتياجاتها، فضلاً عن دور مثل هذه اللقاءات في إثراء وتعزيز قيم المشاركة والحوار والحرية، وتعميق روح الشعور بالمسؤولية الاخلاقية لخدمة المجتمع الإنساني.

كما يجب أن لا نغفل دورها وأهميته النشاطات خارج اطار المنهج التعليمي في صقل شخصية الطالب، وإكسابه الخبرات والمهارات والشعور بالمسؤولية والاعتماد على الذات وروح المبادرة.

العولمة تحتم إصلاح التعليم :

ويجب على بلدان الشرق الأوسط وشمال أفريقيا أن تقوم بإصلاح أنظمتها التعليمية حتى يتسنى لها تلبية حاجات المجتمع في عالم تتزايد فيه درجة المنافسة، والاستفادة من طاقات وإمكانات شريحة الشباب الكبيرة والمتنامية فيها إلى حد الصراع والتصادم.

كان ذلك أحد الاستنتاجات الأساسية التي أباط عنها اللثام تقرير جديد صادر عن البنك الدولي يعالج إصلاح التعليم في منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، وهو عبارة عن دراسة تحليلية اقتصادية شاملة عن أثر الاستثمارات في قطاع التعليم على المنطقة، فضلاً عن التغيرات السكانية، والعولمة، وهجرة العمالة، ودور أسواق العمل.

ويشير هذا التقرير إلى أن إصلاح التعليم وحده لا يمكنه دفع عجلة النمو الاقتصادي إلى الأمام. فهذه المنطقة تضم أسواقاً غير رسمية كبيرة الحجم، ولا توجد بها - بصفة عامة - قطاعات ديناميكية كبيرة تستطيع المنافسة على الصعيد الدولي وهي صورة تتناقض تناقضاً حاداً مع الوضع السائد في شرق آسيا وبعض اقتصاديات أمريكا اللاتينية.

ويؤكد هذا التقرير على ضرورة قيام واضعي السياسات باستخدام الحوافز، والمساءلة العامة، والمناهج الدراسية، وإصلاحات أسواق العمل لزيادة دينامية اقتصاديات المنطقة.

وبعد مضي أربعين عاماً من الاستثمارات في قطاع التعليم التي نجحت في سد الفجوة بين الجنسين على مستوى التعليم الابتدائي، وأدت إلى توفير التعليم للجميع تقريباً، فإن هذه المنطقة - على حد

قول التقرير- تواجه الآن تحديات جديدة تفرضها مقتضيات العولمة والأهمية المتزايدة للمعرفة في عملية التنمية. وعلى أنظمة التعليم أن تتغير حتى تتمكن من توفير المهارات الجديدة.

ويرى هذا التقرير أن أسلوب التعليم السائد في معظم المدارس ببلدان المنطقة لا يشدد على ضرورة تمتع الطلاب بمهارات حل المشاكل، والاتصال والتواصل، والإلمام باللغات الأجنبية التي يقتضيها عالم اليوم وما يشهده من منافسة شديدة وتغيرات تكنولوجية سريعة.

ويضيف، بالنظر إلى أن التعليم هو المصدر الرئيسي لخلق المعرفة، فإن هذه المهمة واضحة جلية. ولذا فمن اللازم تغيير أنظمة التعليم حتى يمكنها توفير المهارات والخبرات الجديدة اللازمة للتفوق في بيئة أكثر تنافسية.

يقول مايكل روتكوسكي، وهو مدير قطاع إدارة التنمية البشرية بمكتب منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، إن بلدان هذه المنطقة لا تتمتع بنفس العائد على الاستثمار في التعليم بالنسبة لمستوى التعليم العالي كما هو الحال في بعض البلدان متوسطة الدخل السريعة النمو في آسيا، مثل ماليزيا وجمهورية كوريا، وهو أمر لا يلبي بكل تأكيد تطلعات شعوب المنطقة.

فما نشهده في المنطقة هو أن خريجي الجامعات لا يجدون فرص عمل، ومعدلات البطالة بينهم مرتفعة للغاية. ولذلك، فإن متوسط العائد الذي نشهده حالياً متدنٍ، ويشكل ذلك مشكلة خطيرة يصعب معالجتها.

يقول مايكل روتكوسكي إن المشكلة الرئيسية تكمن في أسواق العمل التي يهيمن عليها القطاع العام في الكثير من بلدان المنطقة، حيث يتخلى خريجو الجامعات عن فرص العمل في القطاع الخاص مفضلين الانتظار لعامين أو ثلاثة أو حتى أربعة أعوام للحصول على فرص عمل في القطاع العام الذي يتيح توظيفاً مدى الحياة ومنافع تفوق ما تتيحه أسواق العمل.

إن ذلك الأمر لا يشكل تشوهاً كبيراً في أسواق العمل فحسب، ولكنه يخلق أيضاً وضعاً لا يرسل إشارات صحيحة إلى مؤسسات التعليم العالي من حيث احتياجات السوق من المهارات المطلوبة.

ولهذا السبب، كما تقول دانيلا جريساني، نائبة رئيس البنك الدولي لمنطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا في مقدمة التقرير، فإن التقرير يتناول بالبحث كذلك واحداً من بين أكثر الشروط المسبقة أهمية في أي نظام تعليم يقوم بوظائفه بشكل جيد - وهو وجود سوق عمل تؤدي وظائفها بشكل جيد، ويوصي بأن تمضي الإصلاحات في هذا المجال جنباً إلى جنب مع إصلاحات التعليم.

ومن المتوقع أن تكون إصلاحات قطاع التعليم باهظة التكلفة. إذ يُتوقع أن تشهد أعداد الطلاب الساعين إلى الحصول على التعليم في المرحلة التي تلي مرحلة التعليم الإلزامي زيادةً كبيرةً في العقود التالية.

علاوة على ذلك، سيتعين على بلدان المنطقة - كما يقول التقرير- أن تنقل المهارات والكفاءات المهنية إلى شريحة أكبر من السكان حتى تظل قادرة على المنافسة.

وحتى الآن، فإن تركيز بلدان منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا كان على بناء المدارس، وتعيين المعلمين وتدريبهم، وزيادة معدلات التحاق الأطفال بالمدارس الابتدائية، وأنها أولت جهداً خاصاً لزيادة معدلات الالتحاق بالمدارس لكل من البنات، وأبناء الريف، وأبناء جماعات عرقية معينة، وكذلك الأطفال المعاقين.

لكن مازالت المنطقة متأخرة عن منطقتي شرق آسيا وأمريكا اللاتينية من حيث معدل الإلمام بالقراءة والكتابة ومتوسط سنوات الدراسة بين الأشخاص البالغين من العمر ١٥ عاماً فأكثر.

وفي هذا الصدد، يقول مايكل روتكوسكي إنه بالرغم من التحاق معظم الأطفال في سن الدراسة بالمدارس في المرحلة الابتدائية، يتسرب الكثيرون من الدراسة في الصفوف: الخامس، والسادس، والسابع، ولاسيما الفتيات، وذلك للعمل أو بسبب ضغوط مجتمعية أخرى.

ومن الضروري، كما يرى روتكوسكي، أن تدرس حكومات المنطقة كل استثمار تقوم به في هذا المجال من حيث مدى مساهمته في عملية التعليم، ويشمل ذلك كيفية تدريب المعلمين.

وما إذا كان الغرض من تدريبهم هو تحسين أداء أسلوب التعلم القديم المستند إلى الحفظ عن ظهر قلب، أو التدرب على أسلوب التعلم الجديد الذي تمس الحاجة إليه المستند إلى طرح الأسئلة، والحوار المفتوح.

ضرورة التمتع «بالمهارات المرنة» لزيادة الإنتاجية

ويحتاج الطلاب في بلدان هذه المنطقة إلى أسلوب التعلم المستند إلى طرح الأسئلة والتمتع بمجموعة جديدة من «المهارات المرنة» المتمثلة في - مهارات حل المشاكل، والاتصال والتواصل، واللغات الأجنبية - وهي مهارات لها أهمية بالغة في النهوض بالمنطقة.

يقول روتكوسكي، حتى تصبح هذه المنطقة قادرة على المنافسة، ينبغي أن يحدث تحول من القدرة على أداء الوظائف الروتينية إلى التمتع بتلك المهارات المرنة التي تلعب دوراً أساسياً بصورة مطلقة في زيادة معدلات الإنتاجية.

وهذا التحول هو جارٍ في الوقت الحالي، لكن ينبغي على بلدان المنطقة حقاً أن تسرع عجلته حتى تظل قادرة على المنافسة.

ويضيف التقرير أن كلاً من الحوافز، كالمكافآت على الأداء المتميز للطلاب والمعلمين، والمساءلة العامة، ستكونان أداتين أساسيتين في تحقيق الأهداف التعليمية. وينبغي على المسؤولين المعنيين بالتعليم أن يسعوا إلى الحصول على آراء ومساهمات عدد من الأطراف الفاعلة.

ومنهما المنظمات غير الحكومية، ومنظمات الدعوة والرقابة، وأولياء الأمور، والمنظمات المهنية، وغيرها.

ويضيف روتكوسكي أن من الضروري ربط التمويل العام بالنواتج، والابتكار.

ويقول، من المهم للغاية أن يصبح قطاع التعليم خاضعاً للمساءلة العامة. ويعني ذلك على الصعيدين الوطني والمحلي أن يكون أداء نظام

التعليم بالفعل في بؤرة الاهتمام، وأن يكون المواطنون على دراية بمستوى ذلك الأداء، وأن يطالبوا بتحسينه.

وأن يكون لأولياء الأمور تأثير على ما يحدث في المدارس، وأن يكون لأجهزة الإدارة الحكومية المحلية نفوذ على المناهج الدراسية، وأن تكتب الصحف عن الاختبارات الدولية في حينها حتى يكون الرأي العام على دراية بمستوى أداء الطلاب. إن الهدف الرئيس من التعليم الجامعي الخاص والمرادف للتعليم الحكومي هو السعي لبناء الذهنية العملية والإبداعية المناسبة للمستقبل والتحديات التي يملها علينا العصر. وهذا يتطلب خلق حالة ذهنية جديدة على الصعيد الفكري والمهني.

وواقع التعليم في الجامعات الخاصة في الشرق الأوسط قد افرز عددا من المشكلات التي لا بد من الوقوف عندها ومحاولة معالجتها حتى تستطيع هذه الجامعات أن تؤدي دورها في التنمية ويمكن تلخيص المشكلات بالاتي:

- ١- عدم وجود تنسيق وتعاون إداري وأكاديمي بين الجامعات الخاصة والحكومية.
- ٢- عدم تطوير المناهج الدراسية في الجامعات الخاصة والحكومية لجمود القوانين الصادرة من وزارة التعليم العالي التي لم توجه الجامعات إلى إقامة ورش علمية بغية إعادة النظر بالمفردات والمناهج ومحاولة تطويرها.
- ٣- النظرة القاصرة لخرījي الجامعات الخاصة من قبل دوائر الدولة.
- ٤- تخلف القطاع الخاص وعدم وضوح دوره في تنمية البلد، وهو القطاع الذي يمكن أن يستوعب كثير من مخرجات التعليم الخاص.

- ٥- عدم استقرار الوضع الأمني في أغلب بلدان الشرق مما جعل التعليم الخاص لا يساهم في الدخل القومي للبلد لاقتصار القبول على الطلبة المحليين والاستغراق في في خصوصياتهم وعدم الانفتاح على طلبة البلدان الاخرى.
- ٦- عدم مساواة الجامعات الخاصة بالجامعات الحكومية في تشريع القوانين وفي كثير من الأمور، ومنها الترقيات العلمية.
- ٧- عدم وجود الدعم المادي والمعنوي من قبل وزارة التعليم العالي والبحث العلمي.
- ٨- ضعف الدعم المادي والمعنوي لمراكز البحث العلمي في الجامعات الخاصة والحكومية.
- ٩- عدم وجود التقويم التربوي في التعليم العالي الحكومي والخاص.
- ١٠- عدم تطبيق مفهوم الجودة النوعية بدقة، والتميز في جامعات المشرق الاسلامي الحكومية منها والخاصة.

إن تذليل هذه المشكلات والصعوبات في التعليم الجامعي الخاص يتطلب التواصل المستمر بين الجامعات الخالصة والوزارة المعنية، لان كلا الطرفين بحاجة إلى الآخر والهدف واحد.

ومن اجل أن يأخذ التعليم الخاص دوره، نجد من الضروري الاهتمام بالطلبة والتركيز على تطوير ذهنية الطالبة حتى يواكبوا الزمن وتطورات العصر، مما يسمح لهم بالتعامل مع شعوب شتى وثقافات مختلفة بنجاح وارتياح. وهذا يعني انه على الجامعات الخاصة التعامل الجاد مع الحاجة للتركيز على الثقافة العامة التي يجب أن تحقق توازن بناء بين التوجه التقني في التعليم والتوجه الثقافي والتعليمي الأوسع.

إن التعليم الجامعي الخاص يجب أن يكون تعليماً أصيلاً وليس عوضاً عن وسيلة من وسائل التدريب المحدود.

ويجب أن يركز على تخريج طلبة يتحولون إلى متعلمين دائمي التعليم يمتلكون المقدرة على التأقلم مع الجديد، والوصول إلى هذا النمط من الخريجين ليس أمراً مستحيلاً.

فالتعليم الجامعي الخاص بإمكانه بناء جامعات تتميز في تركيزها على التدريس عوضاً عن الأبحاث المجردة دون التقليل من أهمية هذه الأبحاث، ويتم ذلك من خلال تحديد نسب واضحة لعدد الطلاب والطالبات في الفصل الواحد ومضاعفة الأوقات التي يمضيها الأساتذة مع الطلاب.

ويجب إن تشكل عملية بناء القدرات النقدية والتحليلية. والقدرات الخلاقة في التعبير ومخاطبة الآخرين وفهم العالم في إطاره الاجتماعي والتاريخي والاقتصادي والسياسي الواسع.

إن الزيادة المتوافرة في عدد مؤسسات التعليم العالي الخاص لا تزال بعيدة عن استيعاب القدر الوافي من مخرجات التعليم العالي الخاص بمساقته الأكاديمية والفنية والمهنية، مما يعني أن الطلب على التعليم العالي الخاص يفرض الاستيعاب الأمثل لمخرجات التعليم العام وتقليص الفاقد التربوي بعد المرحلة الثانوية إلى أقل درجة ممكنة.

فضلاً عن أن التوسع في التعليم العالي الخاص لا بد أن يقوم بدوره كاملاً إزاء احتياجات سوق العمل، بمعنى وجوب الربط بين منظومة التعليم العالي الخاص وبين متطلبات الاقتصاد وعالم الأعمال لإيجاد نوع من الاتساق بين توفير المهارات والطلب عليها.

إن الجامعات الخاصة المجازة من قبل الحكومة تستطيع أن تستمر بالنجاح والتطور إذا التزمت بالقواعد والنظم واللوائح التي تضبط سير عملية التعليم التي تحقق الهدف من إنشاء هذه الجامعات.

ولابد من وجود قناعة لدى إدارة الجامعة بأهمية الجودة وتحقيق أكثر مما هو مطلوب منها. والسؤال الذي يطرح نفسه : من الذي يحكم على جودة مستوى مخرجات التعليم ؟

إن ميدان العمل ومؤسسات القطاعين العام والخاص التي استوعبت الخريجين هي أفضل من يدلي بالحكم على مستوى الخريجين ، سواء من الجامعات الحكومية أو الخاصة.

إن مستقبل الجامعات الخاصة مرهون بمدى إدراك مفهوم التميز والجودة في التعليم العالي ، لأن البقاء سيكون للأفضل دائماً.

نسأل الله تعالى أن يوفق هذا المؤتمر العتيد للمساهمة الجادة في تطوير وتنمية طاقات الأمة وبناء مؤسساتها العلمية ورفع مستوى التعليم والثقافة في بلداننا الشرقية التي تواجه مخاطر الاختراق الثقافي وصراع الهوية.

(٧)

الوقف الشيعي في العراق

أفاق التجربة الجديدة

قَالَ تَعَالَى:

﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ
وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَأَبْنَ
السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا
وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ (البقرة)

توفرت هذه الآية المباركة على مفاهيم عديدة وموضوعات مختلفة
الانها تشترك في حقيقة واحدة، مفادها اثاره مكامن الخير ومنابع البر
في النفس الانسانية، وهي الهدف الاسمى للدين والغاية القصوى
للمرسالة.

وفي مجال الوقف والاحسان والصدقات الجارية ومشاريع النفع
العام فإننا نؤكد الحقائق التالية:

(١) نستوحي من هذه الآية المباركة ان البر ليس حركة شكلية من حركات
الخير والاحسان، وانما هو يقظة في ضمير الانسان، لا بد من ان تتحول
الى واقع عملي يبدأ بالانفاق في سبيل الله، واليوم الاخر ورسالات
الانبياء، وينتهي بالصبر على المكاره مروراً بالانفاق في سبيل الله،

وصلة الرحم، ورعاية اليتامى والمساكين، ودعم المعوزين، والمتعفين، والسائلين، وفكك الاسرى، واقامة الصلاة، وايتاء الزكاة والوفاء بالعهد، وهذا هو معنى البر الذي تنحصر معطيات الاية الكريمة فيه بعد تقوى الله تعالى.

لذا لا بدّ للعاملين في دوائر الوقف كافة من ان تكون هذه الآيه الكريمة شعارهم اليومي، ومنهاج حركتهم، من اجل ترجمة مضامينها الى واقع عملي في حياة الفرد والامة لتبقى شجرة البر والوقف والصدقة الجارية والاحسان شجرة مباركة اصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين باذن ربها، او كسنبلة انبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء.

(٢) تعد الاوقاف من أعظم الامور الخيرية بما تهدف اليه من تعميق العقيدة، وتيسير العبادة، وانماء الثروة الاقتصادية، وسد عوز الفقراء، ورعاية الشؤون الثقافية، واسداء الخدمات العامة.

(٣) ان ظاهرة الوقف عايشة الكيان الاسلامي منذ بداياته الاولى اذ قام الصحابة وبتوجيه وارشاد من رسول الله ﷺ بايقاف بعض ممتلكاتهم ومقاطعاتهم الزراعية حتى روى عن ابن عباس انه قال:

« ما مات صحابي إلا وترك وقفاً أو عيناً صدقة ».

(٤) اهتم فقهاء الشريعة الاسلامية بدراسة أبواب فقه الوقف ومسائله المتنوعة واستطاعوا تكوين منظومة فقهية خاصة بالوقف رغم انه لم ينزل به قرآن خاص ما خلا آيات البر والخير وعمومات وجوه الاحسان والصدقات الجارية.

(٥) ان تعاقب الحكومات الأموية، والعباسية، والعثمانية بما لها من طابع مذهبي متطرف جعلت واقع الوقف محصوراً في شؤون الحكم والدولة أو الولاية، الامر الذي يفسر لنا ندرة أوقاف المسلمين الشيعة، ومحدودية دور الوقف في حياتهم وهذا يعود الى الاسباب التالية:

• العامل السياسي

إذ ان محور السلطة كان محتكراً بيد الخليفة وولاته وعماله دون الائمة الطاهرين والفقهاء الصالحين من اتباع مدرسة اهل البيت عليهم السلام.

• العامل الاقتصادي

وذلك ان القدرة المالية لاتباع مدرسة اهل البيت عليهم السلام كانت متواضعة جداً نتيجة التضييق في العطاء والعمل وعدم منحهم الفرص المتكافئة للاستثمار لرفع مستواهم الاقتصادي وتحسين اوضاعهم المعاشية.

• العامل الاجتماعي

ويتجسد هذا العامل المهم في تكريس أزمة الثقة والشك التي تحكم المعادلة بين اتباع مدرسة اهل البيت عليهم السلام والسلطات المتعاقبة في بلدانهم.

(٦) نتيجة لذلك فقد تطور فقه الوقف نظرياً طبقاً لواقعه العملي في المذاهب الأخرى، في حين ظلت مسائل الوقف في الفقه الاسلامي الشيعي محدودة في اطار الفقه الفردي ولم تشهد أي تطور ملحوظ في فقه النظرية أو الاطار الفقهي أو الثقافي، حتى اننا لنجد ان باب الوقف في

الرسائل العملية لفقهاء الشيعة لا يتعدى بضع صفحات ومسائل فقهية ذات أمثلة موروثية.

لذا نرى لزاماً علينا جميعاً كمتصدين لأموال الوقف ان نستنتق الفقهاء «أدام الله وجودهم» فيما يعترض طريق ومشاريع الوقف من مسائل واشكالات حتى نثري الجانب النظري من الوقف انسجاماً مع تطور الواقع العملي في حياة الناس عبر مشاريع التنمية الحضارية والمساهمات الاقتصادية لبناء المجتمع والحياة والدولة.

تجربة الوقف الشيعي في العراق بين مرحلتين

شهدت دوائر الوقف في الحقبة التاريخية السابقة حالة من التخلف والضباية والتعقيم جعلت منها موقعاً رسمياً ينأى بعيداً عن تطلعات المجتمع وهمومه.

بل أصبح مصطلح الأوقاف يقترب إلى حدٍ كبير من مصطلح دوائر الامن والمخابرات، إذ ان الصلاحيات غير القانونية التي مارسها دوائر الوقف آنذاك جعلت منها شبحاً مخيفاً يلاحق مشاريع الخيرين ويحاصر تطلعاتهم.

ان الفجوة التي حدثت بين حركة الوقف الرسمية السابقة وبين حركة بناء مشاريع الخير والبر في العراق كانت تتسع يوماً بعد يوم اضطراداً مع ممارسات دوائر الوقف بمصادرتها الوعي الشرعي للوقف أولاً ومصادرة افاق و مجالات تنمية وتطور الوقف ثانياً، الامر الذي أدى إلى تعقيد العلاقة بين الانسان العراقي ذي النزعة الخيرية وبين الوقف الرسمي الذي تريده لسلطة.

فلا نبالغ إذا قلنا ان الخطوط البيانية لنمو حركة الوقف والواقفين هبطت بشكل مرعب في العقود الثلاثة الماضية اذ ان التطور الذي حدث في مجالات الوقف مقارنة بالسنين التي سبقت هذه الحقبة يؤشر إلى مستويات منخفضة جداً لا دلالة لها سوى ان طابع الخوف والتردد والحذر هو الذي يحكم الجدلية الاجتماعية بين الوقف الرسمي والانسان العراقي.

لذلك كانت اولى ممارسات المهتمين بالوقف بعد عملية التحول والتغيير هي دراسة الواقع السابق الموروث ومقارنته مع واقع الوقف في الدول الاسلامية لتجديد مسارات مشتركة يمكن من خلالها ولو بعد حين ان يلتحق كيان الوقف في العراق الجديد بمضمار مثيلاته في الدول الاسلامية ولو الفقيرة منها.

ولكن دراسات أولية كشفت بوضوح أن اتجاه حركة الوقف السابقة في العراق كانت تسير بطريقة معاكسة تماماً للأطر الشرعية للوقف والمواصفات الاجتماعية والقانونية.

فالتجاوز والغصب ومصادرة الموقوفات اضافة إلى اهمال شروط الواقفين والعبور عليها بصورة تكاد تكون عامة في مجمل محافظات العراق ومدنه هي السمات الاساسية لسياسة الوقف الرسمية وادارة شؤونه.

ومن هنا تلقى المسؤولون عن ادارة الوقف الجديد مهامهم مكبلين بتجاوزات الماضي ومشكلات الحاضر وعقبات المستقبل التي تهدد مسيرة البناء الجديد.

الا انهم- بحمد الله- بدأوا بوضع لبنات رصينة انطلاقاً من الأسس الشرعية والخصوصيات الوطنية في فهم حركة الوقف واهداف الواقفين ودور الاوقاف في العملية الثقافية والتنمية.

فعكفوا أولاً على صياغة نظم وقوانين جديدة تناسب وتطلعات الانسان العراقي في التنمية والبناء وتطوير حياته الاجتماعية والثقافية والسياسية.

ثم انهم اتبعوا الأسس الموضوعية في اعادة هيكلية ادارة الوقف واستحداث مؤسسات ودوائر جديدة وفقاً لمتطلبات المرحلة والتغيرات الاجتماعية والحضارية التي طرأت على الواقع العراقي والدولي ، ولم تنسَ ان تمدّ الجسور مع المؤسسات ذات العلاقة في الدول الشقيقة والصديقة للاستفادة من تجاربها الحية في هذا المضمار.

هذه الحركة الجديدة سجلت تفاعلاً واهتماماً ملحوظاً بين دوائر الوقف الجديدة وبين ابناء الامة وهم يتحسسون هذه النقلة التغييرية بين نكوص الماضي وانجازات الحاضر.

ونحن نقولها بثقة تامة ان تفاعل ابناء العراق الخيرين وابناء مدرسة أهل البيت، على وجه الخصوص مع ديوان الوقف الشيعي منحه القوة والعزيمة والتصميم على مواصلة انجاز ما خطط له من مشاريع ثقافية واجتماعية وتنموية واعمارية رائدة.

رغم ما يواجهه من تحديات ومعوقات سواء كانت موضوعية أو ذاتية.

إن صيغ العمل الجديدة في ديوان الوقف الشيعي من شأنها أن توفر أجواء سليمة لتبادل الرأي والخبرات وتقبل النقد بموضوعية.

كما ان من شأنها ان تسهم في اكتشاف طاقات شباب الامة بعيداً عن روح التفرد في القرار أو تجاوز القانون والارادة الجماعية لدوائر الوقف.

وذلك ما يطمح إليه العاملون في دائرة كانت تعد مثالاً للتسلط ومصادرة الآخرين وسحق ارادتهم وسلب حقوقهم.

وهذا ما توفرت عليه المادة الثانية في قانون ديوان الوقف الشيعي المقترح والتي تنص على ما يلي :

يسعى الديوان الى تحقيق الاهداف الآتية :

اولاً: تعزيز وتنمية الثقافة الاسلامية واحياء الفكر الاسلامي والاهتمام بكتب التراث والمخطوطات والآثار الاسلامية والمحافظة عليها.

ثانياً: تنظيم شؤون ادارة املاك الوقف الشيعي وتنمية مواردها.

ثالثاً: رعاية شؤون العتبات المقدسة ومراقدة الائمة عليهم السلام ونوابهم ومقامات الصحابة والاولياء.

رابعاً: العناية بشؤون الجوامع، والمساجد، والحسينيات، والمؤسسات الدينية وصيانتها وتأثيرها وتنظيم شؤون العاملين فيها داخل العراق وخارجه.

خامساً: العناية بتنفيذ شروط الواقفين ، والاشراف على الاوقاف الملحقة.

سادساً: تأمين متطلبات الاداء الامثل لفريضة الحج ومناسك العمرة والسياحة الدينية للعبات المقدسة والآثار الاسلامية.

سابعاً: توثيق الروابط الدينية بين الطوائف الاسلامية وتعزيز التقريب بين المذاهب الاسلامية.

ان نظرة فاحصة لهذه المادة التي تشكل حجر الزاوية في الفصل الاول من القانون «التأسيس والاهداف» تكشف بوضوح تام ان دور ديوان الوقف الشيعي اوسع بكثير من دائرة الاهتمام المحض بالوقف وشروط الواقفين ، بل تعدى ذلك الى ان تكون تنمية الثقافة الاسلامية واكتشاف الخطاب الاسلامي الامثل في لمجتمع العراقي الجديد محورا اساسياً في عملية ادارة الوقف.

فرفع المستوى الثقافي للانسان المسلم والفرد الشيعي على وجه الخصوص اصبح دائرة الضوء الاولى التي ينطلق فيها ديوان الوقف الشيعي باعتباره احد الجهات المسؤولة عن صياغة وتكوين العقل الشيعي والرأي العام الاسلامي الثقافي والاجتماعي.

وتسعى هذه المادة من القانون الى فك الابهام التالي : هل يعتني ديوان الوقف الشيعي باعمار المسجد والجامع والمرقد فقط ولا يعير اهتماماً لبناء ثقافة الانسان الذي يعمر المسجد والجامع والمؤسسة؟!

ومن هذا المنطلق وغيره من المنطلقات الثقافية اتسع دور ديوان الوقف لكي يترجم هذه المادة الى نوافذ ثقافية وعلمية واكاديمية مثل جامعة الامام جعفر الصادق عليه السلام.

ومعهد الشيخ المفيد رحمته الله ، ومركز الدراسات والبحوث والتوثيق ، ومطبوعة الاوقاف ومجلة الديوان وقسم الانترنت والمطبوعات والنشاطات الاخرى. كل ذلك يشكل جزءاً من الاسهام الواعي في عملية اشاعة ثقافة أصيلة وجديدة تعتمد التسامح وفهم الاخر والابتعاد عن التعصب ونبذ النظرات الطائفية البغيضة.

اما ما يتعلق بالوقف ذاته ، فان ديوان الوقف الشيعي اخذ على عاتقه ، حسب الفقرة الثانية من المادة ذاتها ، تنظيم شؤون ادارة املاك الوقف وتنمية مواردها مستفيداً من الاساليب والنظريات الجديدة في علم الادارة والتطوير الاداري ، فقد اتسعت هذه الفقرة لتنظيم الشؤون الادارية والهندسية والاعمارية والمؤسسية والقانونية الخاصة باملاك الوقف ، فاصبح لكل دائرة من دوائر الوقف المعينة اقسام وشُعب يغطي كادرها العملية اليومية لإدارة الوقف وتنمية حركته وفقاً لشروط الواقفين التي اعتبرها قانون الوقف الشيعي خطأ احمر لا يمكن التجاوز عليه فـ« شرط الوقف كنص الشارع » كما هو مشهور على ألسنة الفقهاء ورجال القانون.

ان عملية فك التقاطعات الادارية في دوائر الوقف وتحديد المسؤولية ، يعد تجربة خاصة انتزعت ثوابتها من الفقه الاسلامي الشيعي اولاً ، ومن تجارب دواوين الوقف ودوائره في الدول الاسلامية ومن تجارب الاوقاف العراقية عبر الزمن.

ورغم ذلك فقد وضعت في قانون الوقف الشيعي المقترح مواد متحركة تسمح للقائمين على شؤون الوقف ورئاسة الديوان ان تناقش نجاح تطبيق بعض المواد او فشلها واتخاذ خيارات بديلة تناسب مع متطلبات الواقع ومستجداته.

اما عن تنمية موارد الوقف فقد وضعت دراسات خاصة في دوائر الديوان ذات العلاقة لتنمية وتطوير موارده والبحث عن سبل استثمار جديدة من اجل ان تظل الاوقاف الشيعية مصدراً مهماً من مصادر التمويل المالي وتشارك مع بقية المؤسسات المالية والاستثمارية في البلاد في بناء منظومة اقتصادية متطورة تناسب مع تطلعات وافاق العراق الجديد.

وتنص الفقرة الثالثة من المادة الثانية على مايلي :

«رعاية شؤون العتبات المقدسة ومراقدة الائمة عليهم السلام ونوابهم ومقامات الصحابة والاولياء».

لقد اعطت هذه الفقرة اهمية خاصة لمكانة العتبات المقدسة في قانون الوقف الشيعي من منطلقات متعددة اهمها :

- (١) ان العتبات المقدسة تشكل مثابة عقائدية وروحية للمسلمين كونها مواقع قدسية ضمت اجساد الائمة الطاهرين عليهم السلام الذين يمثلون امتداداً للرسالة والرسول في حياة الامة.
- (٢) كون العتبات المقدسة من أنفس المساجد والمشاهد ذات الاصاله الحضارية بما تحتوي عليه من ابداعات جمالية وفنية وبما تحتزنه من نسيج معماري يكشف البعد الحضاري والثقافي في تاريخ الامة.

(٣) كونها مراكز اشعاع علمي وثقافي وتربوي توفرت على اعماق الجامعات والحوزات العلمية منذ عشرة قرون بكل ما تعبر عنه هذه الدوائر المعرفية من اصالة وعمق وامتداد.

(٤) كونها معالم سياحية وحضرية ضخمة بما تنطوي عليه من جاذبية للزوار والسياح والوافدين، الامر الذي يجعلها رافداً اقتصادياً وتجارياً مهماً في المنظومة الاقتصادية الجديدة.

ان هذه الابعاد والمنطلقات مجتمعة تعطي لديوان الوقف الشيعي دافعاً ومبرراً ليضع العتبات المقدسة في اولى اهتماماته، الامر الذي حدا بالديوان الى تشكيل دائرة خاصة بالعتبات المقدسة يديرها مدير عام بعد ان كانت سابقاً قسماً صغيراً من اقسام دائرة المؤسسات. ان مكانة العتبات المقدسة هذه جعلت الديوان يفكر دوماً بتطوير واعمار وصيانة وتوسيع فضاءات العتبات المقدسة وان اخر حركة في هذا الاطار هي المشاركة مع وزارة البلديات في اقامة «ورشة عمل» من اجل تقديم البحوث والدراسات الهندسية و المعمارية والحضرية لتطوير مدن العتبات المقدسة بالاستعانة بالمهندسين الاستشاريين من ذوي الخبرة والممارسة على مستوى العراق والعالم.

وعلى صعيد آخر فان امن العتبات ورعاية خدمتها وسدنتها والعاملين فيها وما تحويه من كنوز وذخائر ومتاحف وما يحيط بذلك من امور فنية ومالية واثرية قد وضعت له مشاريع من شأنها المحافظة على قيمة العتبة وتسهيل امور الزائرين لها وتوفير امنهم الا ان ظروفها خاصة تحيط ببعض العتبات تحول مع الاسف دون تنفيذ بعض هذه البرامج والمشاريع. ولم يقتصر اهتمام ونشاط ديوان الوقف الشيعي على العتبات المقدسة المعروفة كما جاء في نص الفقرة الثالثة من المادة

الثانية بل شمل مراقد الاولياء ومقامات الصحابة والصالحين وقبور العلماء والشهداء الابرار في كل انحاء العراق.

ففي النجف الاشرف والكوفة قبر مسلم بن عقيل ، وهاني بن عروة ، والمختار الثقفي ، وميثم التمار ، وكميل بن زياد ، ورشيد الهجري ، وغيرهم من الأصحاب والأولياء.

وفي محافظة بابل مرقد القاسم بن موسى بن جعفر ، ومرقد أبي يعلى الحمزة «الغربي» وهو من أبناء العباس بن الإمام علي عليه السلام ، وقبر إبراهيم بن عبد الله المحض ، وغيرهم من العلويين والثوار في بلاد الرافدين. وفي بغداد السفراء الأربعة ، للإمام المهدي المنتظر «عج» وهم : عثمان بن سعيد العمري ، وولده محمد بن عثمان ، والحسين بن روح النوبختي ، وعلي بن محمد السمرلي ، إضافة إلى قبر الشيخ محمد بن يعقوب الكليني صاحب الكافي ، والشريفين الرضي والمرتضى ، وأستاذهما الشيخ المفيد ، والخواجة نصير الدين الطوسي ، واخرون غيرهم.

وفي محافظة صلاح الدين قبر السيد محمد بن الامام علي الهادي عليه السلام ، وقبر القائد الفذ إبراهيم بن مالك الأشتر.

وفي محافظة القادسية مرقد أبي الفضل زيد النار بن الامام موسى بن جعفر ، ومرقد السيد أحمد المقدس الغريفي المعروف بـ «الحمزة الشرقي» .

وفي محافظة واسط قبر التابعي الجليل سعيد بن جبير ، الذي قتل على يد الحجاج بن يوسف الثقفي في مشهد قل نظيره ، وقبر شاعر أهل البيت عليه السلام الكميته بن زيد الأسدي.

وغير ذلك من المراقد والمقامات والمشاهد الدينية التي يزخر بها العراق.

لقد كُلفت مديريات الوقف في المحافظات بتقديم احصاءات تفصيلية مصورة وموثقة عن هذه المواقع الشريفة من اجل اصدار موسوعة تعريفية مصورة تحفظ هذا التراث المعاصر.

ومن اجل صيانة تلك المراقد واعمارها وتطويرها بما يتناسب ومكانتها في نفوس المسلمين.

وتأتي اهمية هذه المراقد والمشاهد والمقامات في العراق من انها تشكل معالم تاريخية للعلم والثورة والمبدئية والتحدي في زمن كانت الامة تعيش ازمة القوة والضعف والسطوة والاسترخاء.

كما تنص الفقرة الرابعة من المادة الثانية على ما يلي :

«العناية بشؤون الجوامع والمساجد، والحسينيات، والمؤسسات الدينية وصيانتها، وتأثيرها، وتنظيم شؤون العاملين فيها داخل العراق وخارجه».

لقد تناولت هذه الفقرة المساجد والجوامع والحسينيات والمؤسسات الدينية مادة أساسية في عملية البناء الاجتماعي والفكري للمجتمع..

فالمسجد كمكان مخصص للعبادة والإدارة يشكل بعداً أساسياً في الرؤية الإسلامية لبناء الإنسان الفرد والإنسان المجتمع، باعتباره منطلقاً للإعداد الروحي والعمل الواعي وقد اهتم المسلمون بوقف المسجد كجزء من أعمال البر والخير يحدوهم بذلك قول النبي الكريم ﷺ :

« من بنى مسجداً لله ولو كمفحص قطاة، دخل الجنة ». »

ونظرة فاحصة للحال الذي كانت عليه مساجد وجوامع وحسينيات أتباع أهل البيت' في ظل العهود السابقة وخاصة العهد الأخير البائد، تكشف بوضوح عن مدى الإهمال والتنكر غير المسؤول لهذه الأماكن الطاهرة التي امر الله عباده بعمارته بقوله تعالى:

﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنِ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾

كيف وقد اعتبر النظام البائد مساجد الشيعة وحسينياتهم مجرد « قاعات فواتح » لا علاقة لها ببناء الإنسان الحي ! وانما هي قاعات للأموات وحسب ! أضف إلى ذلك الموانع والعقبات المصطنعة التي كانت تواجه الواقفين والمحسنين ان هم أرادوا بناء مسجد أو حسينية للمسلمين الشيعة.

وقد ورث الوقف الشيعي الكثير من هذه الوثائق التي تكشف ضحالة المتصددين في تلك الحقبة السوداء من تاريخ العراق.. وعدم معرفتهم لا بقيمة المسجد ولا دور الجامع والحسينيات، لذا فقد كانت هذه الفقرة من القانون تعيد الى المسجد اهتمام المؤسسة الحكومية به ابتداء بالاعمار وانتهاء بدعم العاملين به واعطائهم فرصة وظيفية للعيش الكريم كباقي ابناء العراق الجديد.

وتأسيساً على هذا فقد تم اعمار وتأثيث ورعاية الكثير من المساجد في المناطق المحرومة في العاصمة والمحافظات الاخرى.

اما الاهتمام بالمؤسسات الدينية في داخل العراق وخارجه، فهو اتجاه جديد في الوقف اذ ان النظرية السابقة للوقف كانت تقتصر على

الأوقاف داخل العراق وإهمال الأوقاف والمؤسسات التي ينشئها العراقيون في مهاجرهم.

إن اهتمام هذه المادة بتلك المؤسسات يكشف بوضوح التخطيط والرؤية الاستراتيجية لقانون ديوان الوقف الشيعي الذي يعتبر نشاط المهاجر العراقي المسلم جزءاً من نشاطه.

أذاً إن الانغلاق داخل الحدود فقط يعطي للقانون والمقنن صفة الضعف عن استيعاب نشاطات العراقيين الذي أجبرتهم الظروف على أن يكونوا بعيدين عن وطنهم وأهليهم وهم يشكلون مجتمعات مصغرة تغطي ساحات واسعة من العالم.

وتنص الفقرة الخامسة من المادة الثانية على ما يلي :

« العناية بتنفيذ شروط الواقفين والإشراف على الأوقاف الملحقة ».

إن المهمة الأساسية لديوان الوقف هي الاهتمام بإبقاء عين الوقف وتنميتها، وتنفيذ شروط الواقفين ومحاسبة المتولين وتهيئة الظروف الموضوعية لأنماء حركة الوقف، وقد اعتمدت وثائق ديوان الوقف تقسيماً عملياً للأعيان الموقوفة إذ قسمت الوقف على نحوين :

وقف مضبوط، وآخر ملحق، فالوقف المضبوط هو الذي تكون يد التصرف والتولية والإدارة فيه لديوان الوقف بشكل كامل أما الوقف الملحق، فهو الوقف الذي تكون التولية فيه للمتولي الشرعي ويتحمل ديوان الوقف محاسبة المتولي سنوياً ومراقبة ادائه لشروط الواقف وإدارة الوقف عند انحلال التولية أو وفاة المتولي أو سحب يده.

كما يقوم الديوان بمتابعة الدعاوى القضائية عند استغلال الوقف او تحويله الى ملك صرف خلافاً للشرع والقوانين النافذة.

ويقوم الديوان ايضاً باعادة تسجيل الوقف المهمل او المتروك من قبل المتولي وفقاً مضبوطاً اذا مضت على ادارته المدة القانونية المعتمدة.

كما يعامل موظفو الاوقاف والملحقة بذات المعاملة القانونية لموظفي الاوقاف المضبوطة في التعيين والترفيح والعقوبات وسبل الاستفادة منها لأعمال البر والخير.

ومن مهام هذه الدائرة ايضاً حفظ وتوثيق الحجج الوقفية وتبويبها بالطريقة التي تسهل عملية التعاطي مع الموقوفات وعلاقتها بالدوائر ذات الاهتمام المشترك.

اننا جميعاً كإداريين ومنتشرة نتحمل مسؤولية شرعية ، وقانونية ، واجتماعية ، واخلاقية في تنفيذ شروط الواقفين على الصفة التي دونت بها الحجج الوقفية لأن « شرط الواقف كنص الشارع » من حيث وجوب الالتزام به وترتيب الآثار عليه.

واننا في هذا المجال عمدنا الى تشكيل لجنة محاسبة المتولين في الاوقاف الملحقة لمنع التلاعب والاستغلال - لاسمح الله - وهذه اللجنة مسؤولة امام مجلس الديوان في انجاز اعمالها ومهامها وفق الاصول والضوابط.

كما ان المتولي يخضع الى تقييم واختبار المجلس العلمي في الديوان لأبواب كفاءته واهليته للتولية من النواحي الاخلاقية والشرعية. وقد

يتم ذلك من خلال الاستعانة بمكاتب المرجعية الدينية وعلماء المناطق المعروفين بالبت بامر التولية وقرارها.

ان هذه المادة من قانون الوقف تعد توأصلاً تاريخياً مع موضوع الوقف واحكامه وتشريعاته وتنميته والعناية به من اجل ان تبقى موارده منابع للعطاء الدائم للخير والبر والصدقة الجارية.

وفي نهاية هذا العرض الموجز والمركز لأهم والمركز لأهم المرتكزات الاساسية لتجربة الوقف الشيعي في العراق بين مرحلتين ، يطيب لي ان اقدم مجموعة من المقترحات لهذا المؤتمر العتيد من اجل ان تكون مادة للدراسة ليس للوقف الشيعي في العراق فحسب.

بل لدوائر الاوقاف «الجعفرية» ومؤسساتها مستقلة ومجتمعة كيما ما نهض بالوقف الى المستوى الذي اريد له كتشريع وك تجربة مباركة نسعى ان تمتد وتتسع وتعمق في واقعنا المعاصر.

- (١) التأكيد على ثقافة الانتماء للوقف الاسلامي الشيعي انتماءً طوعياً عقائدياً بدل ان يكون انتماءً وظيفياً محضاً.
- (٢) اقامة علاقات تعاون وتبادل خبرات ومعلومات بين دوائر الوقف المختلفة التابعة لمدرسة اهل البيت عليهم السلام.
- (٣) توثيق العلاقة مع دوائر ومؤسسات الدولة لتوفير اجواء ادارية سليمة من شأنها ان تنمي حركة الوقف والواقفين.
- (٤) اجراء احصاء دقيق ورسمي لكافة اوقاف المسلمين الشيعة في العالم بالتعاون مع دوائر التسجيل العقاري ودوائر الزراعة والبلديات وسائر المؤسسات الرسمية ذات العلاقة.

- (٥) تطوير الجانب القانوني في دوائر الوقف الشيعي «الجعفري» بشكل يحفظ املاكه وتراثه.
- (٦) اشاعة ثقافة الوقف الاسلامية ونشر احكامه وتشجيع ابناء الامة على الوقف باعتباره صدقة جارية في مختلف الابعاد الثقافية، والاقتصادية، والاجتماعية، والانسانية.
- (٧) اقامة مشاريع استثمارية مشتركة وفق الاصول والضوابط بين دوائر اوقاف الشيعة في العالم.
- (٨) انشاء بنك معلومات عن اوقاف الشيعة في العالم وعن العتبات المقدسة ومرقد الاولياء والصحابة وجمع الثقات والمستندات التاريخية الخاصة بذلك وحصر ممتلكاتها ومدخراتها .
- (٩) دعم حركة التوثيق والتحقيق الثقافي للمخطوطات الخاصة باوقاف الشيعة من خلال مراكز الدراسات والبحوث والتوثيق وتأسيس مكاتب خاصة بالوقف.
- (١٠) عقد مؤتمرات وندوات ولقاءات دورية لمؤسسات الوقف ودعوة شركات الاستثمار والجهد المالي ورجال الاعمال من اجل التعاون البناء.
- (١١) دراسة امكانية تأسيس بنك مالي مشترك لدوائر الوقف الشيعية «الجعفرية» في العالم من اجل تنمية الموارد المالية لمشاريع الاوقاف.
- (١٢) اجراء مسابقة سنوية، ثقافية، فقهية، قانونية وادارية لأحسن كتاب يبحث في فقه الوقف وثقافته، وتقديم جوائز بذلك.
- (١٣) التعاون بين دوائر الوقف الاسلامي الشيعي على طبع المصحف الشريف طبعة مشتركة تليق بقدسيته.
- (١٤) تشجيع الواقفين على الاهتمام بالمدارس الدينية والحوزات العلمية ونشر مفاهيم الدعوة الاسلامية عبر وسائل البحث والحوار والاعلام المتاحة ومن الله التوفيق.

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين
وصحبه الراضين المرضيين.

(٨)

أفاق التنمية والتحديث

لدائرة الوقف الجعفري في الكويت

المدخل

ان علاقة التشريعات الاسلامية الاقتصادية بالحياة الاسلامية وحركة الانسان فرداً او جماعة تتبلور في نمطين رئيسيين من العلاقة:

النمط الاول: الاحكام الواجبة ذات البعد الاقتصادي المفروض وفق شروطه الشرعية مثل الزكاة، والخمس، والكفارات، والديات وما الى ذلك من تشريعات واحكام.

النمط الثاني: الاحكام المستحبة وهي منظومة البر والخير والصدقة والوقف والانفاق والمعونة لذوي الحاجة والعوز وغير ذلك.

فاضافة الى اشتراك هذين النمطين، في الدافع التعبدي المخلص، فان هناك ارتباطاً وثيقاً بينهما مؤداه نمو الثروة في أيدي المسلمين وتدويرها بين المؤسسات الاقتصادية والنقدية وبالتالي رفع الكفاءة الاقتصادية والاجتماعية والتنمية بما يضمن مستوى متطوراً من الرفاه والرقي والاستقرار الاقتصادي والاجتماعي والتنموي.

وان أي خلل في العلاقة بين هذين النمطين سيؤدي دون شك الى ارباك في العلاقات الاقتصادية واحداث فجوات في النسيج الاجتماعي، والاقتصادي، والانساني للمجتمع، فمن الواضح ان المردود الاقتصادي لاحكام النمط الاول هو مردود آني لمعالجة الحالات الضرورية التي تواجه المجتمع فيما تشكل مردودات النمط الثاني ديمومة مالية مستمرة لتنمية الجوانب الاقتصادية والانسانية لسد النقص والخلل الذي تتعذر معالجته من خلال المردود الاقتصادي للنمط الاول.

ان هذه العلاقة المتكافئة تشكل ضماناً لاستمرارية وحيوية الروح الدينامكية للاقتصاد الاسلامي. فما لاتستطيع الزكاة والخمس معالجته، ستعالجه الصدقات والوقف ومالا تعالجه الكفارة والدية سيتعاطى معه الاحسان والبر والعفو.

وفي ضوء ذلك، فان الوقف ومؤسساته يتصدر اعمال الخير والبر والاحسان، بماله من عمق تشريعي في الاحكام، وعمق تطبيقي في التاريخ والحضارة الاسلامية، الامر الذي يجعله اكثر تاثيراً وحضوراً في الواقع الاجتماعي والاقتصادي والحضاري، ويفتح المجالات الربحية امام دعوات استثماره وتطويره وتنميته.

وتزخر الحضارة الاسلامية بمختلف تجارب الوقف وتأثيراتها وانعكاساتها على الصعد الاجتماعية والاقتصادية والانسانية.

وقد تبنت دول الخلافة الاسلامية منذ الصدر الاول ترويج وتطوير حركة الوقف مستعينة براء الفقهاء ونظرياتهم، من اجل ان لا يخرج الوقف عن دائرته المشروعة، ومن اجل ان لا يتعرض للتلف والتعدي

والغصب، فانشئت دواوين الاوقاف ومؤسساته، وبادر القضاة والفقهاء الى ضبط وتبويب مسائل وفتاوى الوقف حسب الحاجة والظروف، فكان في اختلافهم في الفتيا والاجتهاد مندوحة للتطوير والتنمية.

وقد حفلت كتب التاريخ الاسلامي بصفحات مشرقة للولادة، والامراء والمحسنين، وذوي الثروة، الذين وقفوا ما استطاعوا من المساجد، والمكتبات، والمستشفيات ودور العبادة، والخلاوات، والمدارس، والكتاتيب، والرُّبَط، والقري، والضياع، والبساتين، وعيون الماء، وما الى ذلك من الموارد التي تركت أثراً بالغاً على البنية الاقتصادية والثقافية على المجتمع الاسلامي.

وإدارة الوقف الجعفري في الكويت هي احدى حلقات سلسلة الاوقاف الاسلامية، التي أريد لها يوم انشائها ان تكون موقعاً متطوراً لانماء الوقف وضبطه والحفاظ عليه.

ونظرة سريعة لظروف تاسيس هذه المؤسسة المباركة، يجعلنا على ثقة تامة من انها ولدت في ظروف طبيعية ومستقرة، ستساعد كثيراً على نموها ورشدها دون عناء.

ولكنها ستمر دون شك كباقي مؤسسات الوقف في العالم الاسلامي بعقبات ادارية وقانونية، لا بد لها من ان تتعامل معها بمرونة وحكمة لتتجاوزها الى الافضل، بل لتحولها الى مادة للدراسة والتجربة.

وان أول ما سيواجهها من عقبات هو حاجتها للتكييف القانوني بين الفتيا الشرعية وما هو سائد من قوانين ادارية واقتصادية تحكم

البلاد كقوانين الملكية، والاعمار، والانشاء، وقوانين البلديات، والضرائب، والبيع، والاستثمار، وسلسلة قوانين عقارات الدولة، واصول التقاضي، واحكام المنازعات، وما الى ذلك من عقبات تمت الى الانتماءات في المرجعية الفقهية وتبايناتها.

اضافة الى ما ينعكس على هذه المؤسسة الواعدة من محيطها الاجتماعي الخاص من تعدد في الرؤية حيال ارتباطها بالمؤسسة الرسمية بشكل أو بآخر، او كونها مؤسسة من مؤسسات القطاع الخاص ذات الطابع الخيري.

ورغم ذلك فاننا نرى ان هذه المؤسسة استطاعت ان ترسو على قاعدة شرعية وقانونية مستقرة تمكنها من الحركة والنمو.

ولا بد هنا من الاشارة الى ان مؤسسة الوقف الجعفري ينبغي ان تعتمد على اسس تخطيطية علمية تكفل لها الثبات من جهة، والنمو والتطور من جهة اخرى، ولا بد للمخطط الحيوي لهذه المؤسسة ان يتوفر على مايلي:

(١) جهة تخطيطية عليا متخصصة تكفل وضع منهج وقواعد عمل انمائي واضح المعالم، يحدد الاتجاهات، يأخذ بنظر الاعتبار الانتماء الاسلامي العام والخصوصية المذهبية والوطنية للمؤسسة.

(٢) اعتماد روافد تنفيذية تؤمن تنفيذ الخطط وتحويلها الى واقع ملموس برؤية علمية حضارية مدروسة، حتى لا تضيق الخطط والبرامج والاطروحات العلمية في متاهات الاجتهادات المرتجلة والامزجة الشخصية عند التنفيذ.

(٣) تأمين لجان متابعة ورقابة، مهمتها التثبت من حسن الاداء والعمل عندما تنتقل المشروعات من دائرة التخطيط الى دائرة التنفيذ، ولا بد هنا من

تقويم النتائج المرجوة ، وبالتالي تقويم كفاءة مشروعات الوقف التتموية ومدى نجاحها.

كما لا بد للمؤسسة الوقفية من ان تعتبر نفسها جزءاً من منظومة الاقتصاد الوطني المتحرك ، والا تستغرق في خصوصياتها الذاتية وتدور في اطارها الضيق.

فالانفتاح على الفعاليات الاقتصادية الاخرى يسهم في تكوين رؤية موحدة من شأنها خلق حالة تماسك وانسجام اقتصادي بين المؤسسة الوقفية والمؤسسات التتموية الاخرى.

فالاستفادة من تجارب الاخرين لتطوير التجربة الذاتية يعدُّ منحىً علمياً ومنهجاً مألوفاً ومعتمداً في مجالات البناء والتطوير والتتموية.

ولا نشك كذلك ان هناك مشكلات وعقبات تحول دون تحقيق اهداف المؤسسة الوقفية كاملة ، الا ان اعتماد الموضوعية في معالجتها ، واكتشاف اسبابها ، والتعاطي معها بصبر وحنكة واناة ، سيؤدي دون شك الى عبورها وتجاوزها دون ان تترك اثراً سلبياً على النتائج المطلوبة ، وايجاد دائرة خاصة لرصد المشاكل وتعقبها من شأنه ان يجعل قراءة المشكلة بروح موضوعية مقدمة لايجاد الحلول الناجعة لها.

مرتكزات التتموية للمؤسسة الوقفية

لا تنفصل فلسفة تشريع الوقف وحبسه وتأيبده وفق الضوابط الشرعية عن فلسفة تتميته وتطويره.

فالوقف الذي يستعصي على التتموية لظروف طارئة خاصة ، يظل وقفاً ذا فائدة محدودة مرتبطة بزمان او مكان محددين.

بل ربما يتعرض الى التراجع او التلاشي ، ان لم يكن مشروعاً يمتلك عناصر القوة والاستمرار وظروف التنمية والتحديث ، لذلك حفل الفقه الاسلامي بفتاوى الاستبدال ، واحياء الاوقاف ، ودمج بعضها ببعض ، وتوظيف عائداتها حسب شروط الواقفين.

اذن فمعادلة الوقف يساوي التنمية هي معادلة صحيحة ومشروعة ، ولا بد من ان تصبح هذه المقولة منهجاً عملياً ، ومخططاً مبرمجاً لفهم فلسفة الوقف وادارته واستثماره.

ومن خلال تجربتي العملية المتواضعة ابان تأسيس وتأسيس هيكلية وبناء «ديوان الوقف الشيعي» في العراق بعد انحلال وزارة الاوقاف والشؤون الدينية في نيسان ٢٠٠٣ استطع ان اؤكد ان هذه المقولة «الوقف يساوي التنمية» كانت حجر الاساس في عملنا القانوني والاداري والتنموي.

ويجدر بي ان اأشر على بعض المرتكزات العملية المهمة التي من شأنها ان تثبت الدعائم المؤسسية للوقف تاركاً التفصيل لفرصة اخرى.

اولاً: اثاره استنباط الموضوعات الفقهية ذات العلاقة بالمسائل الملحة والضرورية لتطوير المؤسسة الوقفية ، وجلب انظار الفقهاء ورجال القانون الى متطلبات الوقف الحديث والسعي الى قراءة النصوص الشرعية والقوانين المدنية قراءة موضوعية جديدة من خلال استلهاهم روح الشريعة والعناصر المتجددة في حياة الانسان ، بحيث تتحول ثقافة الوقف الى ثقافة تنمية حاضرة في وعي المتصددين ، تأخذ بنظر الاعتبار حاجة المجتمع ومستجدات العصر.

وفي هذا الاطار لا بد من نشر المطبوعات المتخصصة بشؤون الوقف وعقد ندوات، واقامة مؤتمرات، اكثر تخصصاً بمشاركة خبراء وفقهاء وقانونيين وأخصائيين في التنمية وتداول الثروة.

من اجل الوصول الى قاعدة قانونية راسخة وابواب فقهية متسعة، ومسائل فرعية متشعبة تجيب على كل التساؤلات وتسد الخلل في ثقافة الوقف ووعي الواقفين.

ثانياً: توجيه المجتمع واثارة ثقافته ووعيه نحو اختيار اهداف وافية، منتجة قابلة للتمدد والتنمية ذات ابعاد متنوعة، ثقافية، واجتماعية، واقتصادية، بيئية، وانسانية.

ولا يقتصر على المؤلف من الموقوفات والمعتاد عليها من الاحباس، والمساجد، والحسينيات، رغم اهميتها.

انما يجب ان تتعدى الاهداف ذلك الى وقف المؤسسات العلمية والثقافية، كالجامعات، والمعاهد، والمدارس، والمكتبات العامة، والمطابع، ودور المخطوطات، والمستشفيات التخصصية، ودور الايتام، ومراكز رعاية اهل البؤس والحاجة والزمنى، والعجزة والمسنين ومحطات استراحة المسافرين، ومشاريع الاسكان الحضري، والينابيع، والابار، والانهار، ومشاريع الصحة العامة، وتطهير البيئة، وكل ما من شأنه رفع المستوى الحضري والثقافي وتطور المجتمع.

كما لا بد من جلب انتباه الواقفين الى الاشتراك في الاوقاف الجماعية «أوقاف الشركة» ذلك لان طاقة الفرد وحده مهما كانت ضخمة وكبيرة قد تعجز دون الاشتراك مع الاخرين عن انجاز الاوقاف الكبيرة ذات الدور الاستراتيجي في التنمية. فقد ذكر الشيخ الصدوق

رواية في كتابه «من لا يحضره الفقيه» عن زرارة عن ابي جعفر الامام الباقر عليه السلام: «في الرجل يتصدق بالصدقة المشتركة، قال: جائز»^(١). وهو دليل واضح على جواز الوقف والصدقة في الحصة المشاعة بين كثيرين.

ثالثاً: الاعتماد على اساليب التقنية الحديثة في ادارة الوقف واستعمال النظم الادارية الجديدة للمؤسسات، والاستناد الى التخطيط العلمي في رسم الموازنات المالية، وتبويب وتوثيق ممتلكات الاوقاف حسب موضوعاتها واهدافها، ويجاد قاعدة معلوماتية DATA BASE تتوفر على خرائط الاوقاف ومرتسماتها، وتحديد مواقعها حسب الاهمية، وحفظ الحجج الوقفية في متاحف خاصة للرجوع اليها عند الحاجة القانونية.

رابعاً: اقامة علاقات عمل وتعاون بناء مع مراكز السيولة النقدية كالبنوك، والمصارف، ومؤسسات القروض الحسنة، والمؤسسات ذات العلاقة بالنقد والمال، من اجل اقامة مشاريع مشتركة لتأمين المتطلبات المالية واكتشاف آفاق اقتصادية جديدة، مستفيدين من ثقة هذه المؤسسات المالية بدوائر الاوقاف كونها ذات طابع ديني مسؤول.

خامساً: ايجاد صيغ قانونية لتعميق الرقابة على المتولين والناظرين من قبل مؤسسة الوقف، ومن قبل قطاعات الامة، ومن قبل وسائل الاعلام، ومن قبل منظمات المجتمع الاهلي «المدني»، واهل الخبرة والاختصاص، لكي لا تصبح الاوقاف عرضة للتعدي والغصب والاخلال بشروط الواقفين، الامر الذي يؤدي الى ضياع الوقف واتلافه واندثاره.

(١) الشيخ الصدوق / من لا يحضره الفقيه: ج ٤ ص ٢٤٦

سادساً: توفير حوافز تشجيعية للواقفين وإيجاد تسهيلات اقتصادية لهم من قبل دوائر الوقف والمؤسسات ذات العلاقة بالاقواق، وتشجيع التعارف والتعاون والتنسيق بين الواقفين في البلدان المختلفة، والمحسنين وذوي المشاريع الخيرية من خلال عقد لقاءات خاصة بهم وفتح آفاق تنمية بينهم.

قراءة مستقبلية لدور الوقف

لا شك ان للوقف دوراً استراتيجياً ومحورياً في تنمية منابع القدرة في المجتمع الاسلامي عبر الزمن، فتصور عدم وجود نظام الاوقاف وخلو الواقع الاقتصادي والاجتماعي من المؤسسة الوقفية يعكس ضعف المجتمع وتخلف ارادة وهمم ابنائه، فالوقف مصدر مالي مستقل متجدد باستمرار يغطي حركة النشاطات الانسانية ويلبي حاجات الحياة الاجتماعية، ويرفع مستوى الخدمات العامة في حياة الناس، وتأسيساً على هذا كان الوقف هو الاجابة العملية للمجتمع عن جميع الاشكاليات والحاجات والمستجدات التي تطرأ على حياته وتواجه تطوره وحركته التاريخية^(١).

وقد احسن من عرف الوقف على انه اداة المجتمع ووسيلته لتحقيق فروض الكفاية ورفع الحرج عن الامة^(٢).

وقد غطت مؤسسات الوقف جملة النشاط الانساني في المجتمع والدولة بدءاً من الاوقاف الصغيرة كالمساجد والمدارس والميضآت،

(١) نصر محمد عارف، البناء المؤسسي للوقف في بلدان وادي النيل، ضمن بحوث مركز دراسات الوحدة العربية.

(٢) المصدر نفسه

وانتهاءً بتشديد قلاع ثغور المسلمين وتقوية الجيوش المدافعة عن كيان
الامة ودعم حركتها.

ونظرة سريعة لتراثنا الاسلامي في ابواب الصدقات، والاقواف،
واعمال الخير والبر والاحسان، نجد الكثير من الايات والاحاديث التي
شجعت المحسنين والميسورين على ان ينفقوا اموالهم عبر الاوقاف
والاحباس في كافة المجالات المختلفة.

فقد جاء عن الامام جعفر الصادق عليه السلام انه قال : « ستة
تلحق المؤمن بعد وفاته : ولدٌ يستغفرُ له، ومصحفٌ يخلفه، وغرسٌ
يغرسه، وبئرٌ يحفرها، وصدقةٌ يجريها، وسنةٌ يؤخذ بها من بعده »^(١).

وفي هذه الرواية الشريفة نوع من الاستيعاب والتكامل الاقتصادي،
والثقافي، والاجتماعي، وهي تصلح نموذجاً وبرنامج عمل متعدد
الابعاد والعطاءات في حياة الانسان المسلم.

ولم يقتصر التعاطي مع الاوقاف على طبقة الاثرياء من الصحابة
والتابعين واجيال المسلمين.

وانما شمل طبقة الصحابة الفقراء اذ راح بعضهم يحفر عيوناً، وآباراً
ويسبلها صدقة جارية في طريق الحاج وقوافل المسافرين تعطي،
وتحرك، وتثمر باستمرار حتى قال ابن عباس رضي الله عنهما : « مات
صحابي الا وترك وقفاً أو عيناً صدقة ».

(١) الشيخ الصدوق، من لا يحضره الفقيه، ج ٤ ص ٢٤٦

وهذه وثيقة تاريخية مهمة تؤكد وعي المسلمين لهذه الحقيقة الشرعية وفهم دورها في حركة البناء والتطور الاجتماعي من خلال تلبية حاجات الناس وفق نهج طوعي واختياري.

وهكذا يمر نظام الوقف ومؤسساته بمحقات التاريخ الاسلامي المتعاقبة، يخضع لتوجيه الفقهاء، والقضاة، والامراء، واهل الحل والعقد، كمؤسسة عليا من مؤسسات المجتمع والدولة لا يمكن التفريط بها، او التخلف عنها باعتبارها مظهراً من مظاهر الحضارة الاسلامية.

الا ان هذه المؤسسة العريقة في الاسلام مرت بفترات خواء وتراجع عندما امتدت رغبة الحكام للاستيلاء على الاوقاف ومصادرتها والهيمنة على مؤسساتها، او التعدي على ممتلكاتها، حتى ان بعض الدول العربية عمدت الى ابتلاع جميع الاوقاف وضمها الى املاك الدولة وتنسيب ريعها الى ميزانية الدولة العامة كما حدث في عهد محمد علي باشا في مصر وفي تونس بعد الاستقلال.

لكن وعي الامة نحو أهمية ودور الاوقاف قد تطور كثيراً مع تطور الصحوة الاسلامية ووعي التحديات المعاصرة، وفي هذا دافع مهم لان تنهض مؤسسات الاوقاف لتستعيد دورها التاريخي الريادي في التنمية والبناء والاعمار عبر مشاريعها الثقافية، والاقتصادية، والاجتماعية، والانسانية.

وما مؤسسة الوقف الجعفري في الكويت الا واحدة من هذه المؤسسات الواعية لدورها ومرحلتها.

والتي تريد ان تستفيد من الدوافع الاخروية والجوانب الروحية للوقف الى بناء الحاضر ورسم ملامح المستقبل ، مستفيدة من تجارب الاخرين ومن التراكم التاريخي لحركة الوقف والواقفين.

وكلنا أمل ان يكون هذا الملتقى العتيد مدعاة لتلاقح وجهات النظر والخروج بتوصيات بناءة من شأنها رفع كفاءة المؤسسة الوقفية الجعفرية ليس في الكويت فحسب ، بل أينما وجد أتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام في العالم.

(٩)

العراق الجديد

ومنظومة العلاقات الدولية المعاصرة

ان بحث العلاقات الدولية وانماط تقنينها عولج فيما مضى من زوايا مختلفة اقليمياً وقومياً ودينياً ، ولم يبحث هذا الموضوع الخطير مع الاسف من زاوية حضارية شاملة ، فأصابه من الاشكاليات المعقدة ما اصاب نظريات العامل الواحد في فهم حركة الانسان والتاريخ ؟ فما زال هذا الموضوع يتأرجح على طرفي جدلية صعبة مفادها ، من الذي يقنن العلاقات ؟ هل هو الانسان ، ام المجتمع أم الدين ؟

وفي معرض الإجابة عن هذه التساؤلات ، لا بدّ لنا من ان ندرك ان العلاقات بجميع انماطها هي حاجة فطرية وموضوعية من شأنها ان تفتح للانسان آفاق التعايش مع الآخر بعيداً عن تضاد القوميات والاعراق والاديان ، اذ لا وجود لقوي أو ضعيف بل الوجود للقانون الاقوى ، والمعادلة الافضل التي تحقق العدل والحرية والسلام.

فالدين بما يمتلك من خزين اخلاقي وروحي ورؤى وقوانين وحدود ، من شأنه أن يدفع الانسان للانفتاح على افاق جديدة من

العلاقات مع الاشياء من حوله ضمن أطر الحق والعدالة. وما على الانسان إلا ان يكتشف حدود تلك العلاقات ليتعاطى معها بفطرة سليمة ووعي أصيل ونظرة ثابتة.

واما المجتمع فمهمته ان ينمي تلك العلاقات ويوظفها بشكل يوازن بين حاضر الانسان ومستقبله على مستوى الروح والمادة.

ومن هذا المنطلق ووفقاً لهذا السياق، هل تصلح أن تكون العلاقات الدولية القلقة التي تحكم عالمنا اليوم أمراً واقعاً نخضع له ونستسلم، باعتباره جزءاً من الأمر الواقع؟! دعونا نأخذ العراق نموذجاً.

فرغم ان العراق يمتلك أصالة تاريخية وحضارية تمتد الى اكثر من خمسة آلاف عام، طبعت أرضه وانسانه بنوع من التميز والوضوح في عطاءاته وابداعاته، إلا ان الحقبة السوداء التي نشبت اظفارها عام ١٩٦٨ في تربة وادي الرافدين الخصبة، عرضت هوية هذا الشعب الى المسخ والتشويه والتراجع.

فإرادة البناء والاصرار على التقدم في ميدان الحضارة، تحولت الى تراجع وانكفاء على الذات وانهدام للطموح والامل.

وطبيعة التعايش بحب وسلام مع الاخرين، تحولت الى رغبة جامحة في الغزو والتدمير والاعتداء.

والخطوات التي كانت تسابق الزمن عبر مسار الحضارة الطويل، تحولت الى خطوات مقلوبة الى الوراء في طريق وعر وشائك.

ولهذا كان لابد لسنن التاريخ من أن تفرض عملية التغيير، أيّاً كانت الطريقة والاسلوب، والا فستكون الجريمة قانوناً في السياسة، ونظرية في الفكر، ومنهجاً في العمل والأداء.

لقد عاش المجتمع العراقي تحت وطأة الرعب حقبة من الزمن، فرضت عليه فيها سياسات وممارسات، حاولت ان تنسيه ذاته وتسلخه من فطرته وتاريخه، كل ذلك وفق تخطيط مبرمج يكرس هيمنة الطاغية ويدعم مؤسساته القمعية.

وسقط النظام فجأةً، وتعطلت كل الصيغ والتحليلات السياسية التي كانت تراهن على قوته وواقعيته.

سقط النظام وسط زهول عربي وصمت اسلامي، ولم يكديسمع المرء غير صخب الشارع العراقي وهو يدحرج صنم الطاغية تحت اقدام اطفاله اليتامى.

ففي التاسع من نيسان عام ٢٠٠٣ بدأ العراق الحقيقي وانتهى العراق المزور!

ويؤسفنا ان بعض اخواننا من العرب والمسلمين مازالو يعتقدون اننا غافلون عن طبيعة الاحتلال وتداعياته، ويخضعون لتأثير الاعلام الكاذب لأبواق النظام، الذي أخفى بيرقعه الممزق مئات الألاف من الضحايا في المقابر الجماعية ومثلهم من اليتامى والمشردين البائسين.

ونقول لهم: اطمئنوا فلسنا غافلين، وهذه ابواب العراق مشرعة لمن أراد ان يطلع عن كذب على مقابرنا الجماعية التي اختلطت فيها

عظام الشيوخ والاطفال والشباب والنساء من عراقيين وكويتيين وغيرهم.

بهذه التضحيات وبكل ما فيها من عطاء بدأت مسيرة العراق الجديد وسط تناقضات في السياسة الدولية، وطموحات عالمية واقليمية، وتأثيرات من هذا الطرف أو ذاك والكل يريد ان يدير عجلة الاحداث ويكون الرقم الاقوى في معادلة الصراع. وخلال ذلك كله ظل طموح الشعب العراقي المشروع مثابراً من اجل ارساء قواعد جديدة للعهد الجديد وقوانين عادلة تعالج مشاكله وتقوم نقاط الضعف فيه.

ان العراق الجديد عراق دستوري تعددي لا سيادة فيه الا للقانون ولا خضوع فيه الا لله وحده.

ان احترام الهوية الاسلامية، واحترام حقوق الانسان، والالتزام بمعاهدات الجوار، والوفاء بالاتفاقات والعقود الدولية، والانسجام مع المنظمات الاقليمية والعالمية والانسانية، في اطار حفظ السيادة والاحترام المتبادل والمصالح المشتركة، هي مرتكزات اساسية للمشروع السياسي العراقي الذي لا ينفصل عن مشروع الامة برمتها، ولا عن طموحاتها في ان تأخذ دورها الرائد في تشكيل ملامح العدل العالمي.

ان طموحاتنا لا تنتهي عند حدٍ، فالعراق كله كان يعيش عقوبة متعمدة ولا بد لنا من ان نتحرك جميعاً لنبني علاقاته مع الاخرين بكل جدية واصرار، وفق اسس اخلاقية منسجمة مدارها الاخاء والحب والتسامح.

ان مدخل ذلك كله علاقاتنا مع انفسنا وعلاقاتنا مع الاخرين، فلقد اجتاز العراقيون ازمة التناحر القومي والطائفي، التي كانت

تفرضها ظروف طارئة لا علاقة لها بواقع العراق السياسي وتنوعه المذهبي والقومي. كما انهم اجتازوا ازمة التناحر السياسي والفئوي، وعبروها الى مجوحة التآلف والتحاور وتبادل النقد الموضوعي، رغم اختلاف وجهات النظر. وهذا ما جعل المجتمع العراقي ينعم بالأمن القومي والطائفي. وان كان يتعرض لمؤامرة ارهابية مستمرة تستهدف أمنه واستقراره.

هذه صيغ التعامل فيما بيننا كعراقيين، أما علاقاتنا مع الاخرين فلا تخرج عن اطار التفاهم المشترك حول معطيات الانسانية بكل خصوصياتها.

معطيات الجوار والتعايش المشترك والتبادل الثقافي والحضاري، والتنمية الاقتصادية والتواصل مع شعوب العالم الشقيقة والصديقة، من اجل مد جسور التعاون وايجاد لغة مشتركة في فهم مشكلات المؤلف اليومي.

انا ندرك اننا لسنا وحدنا في العالم العربي، ولسنا وحدنا في العالم الاسلامي، كما اننا لسنا وحدنا في الشرق، ولسنا وحدنا في العالم. وندرك كذلك اننا مكلّفون باكتشاف انماط العلاقات السياسية والثقافية الجديدة، التي تجعلنا نقف مع الاخرين على مساحات مشتركة تتسع مهما كانت ضيقة. لأننا نحمل في جراحنا بذرة الامل التي لا بد من ان تنمو لتكون شجرة مباركة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين باذن ربها.

ان مسؤوليتنا كبيرة بحجم طموحات أمتنا، وهي ترى وشائج القربي أعمق واكبر من دواعي الفرقة والتمزق، لست هنا في صدد

بيان فلسفة وقيمة العلاقات الدولية في اخلاقيات السياسة العالمية، انما أتحدث بصفتي شاهد عيان عايش احداث انكسار علاقات العراق مع دول الجوار، بقدر ما شاهد من هزائم الامة في كثير من مواقعها.

شاهد عيان يعتقد ان العراق بحاجة الى ان لا يكون وحده في محنته، انما يحتاج الى مواقف مسؤولة تساهم في وضع حد لانهيال العلاقات العربية والاسلامية فيما مضى.

اننا امام فرصة تاريخية لاكتشاف نظرية جديدة في العلاقات الدولية والاسلامية، خصوصاً بعد انهيار النظرية الماركسية وقصور النظريات الغربية عن ايجاد علاقات تتطلع اليها الشعوب. فعلينا ان نعطي انصع صورة عن شمولية الفكر الاسلامي وقدرته على الاستجابة لتحديات العصر ومتطلباته، خاصة ونحن نعيش افكاراً وظروفاً جديدةً، تبدأ بالعملة ولا تنتهي بثورة المعلومات والاتصالات السريعة.

وهنا ياتي دور العلماء والمفكرين المسلمين وفقهاء القانون في اكتشاف مسارات العلاقات السياسية والثقافية والاجتماعية والانسانية بشكل عام، لكي تكون حركة المجتمعات على تنوعها منسجمة متفاعلة ببناءة، تتوارثها الاجيال القادمة كإرث انساني وحضاري، يبني حياتها ومستقبلها ولا تنظر اليه كجزء من التاريخ فقط. هذه تساؤلات واشارات أردت من خلالها في هذا الجمع المبارك من العلماء والمفكرين والسياسيين أن أشير الى مكان التفكير والتأمل، لكي نكتشف ونكتشف، وانا مطمئن من أننا لا بد من ان نصل الى ما نريد.

والله من وراء القصيد..

العراق كما نريد

ان من اهم مبادئ التحالف السياسي والعمل المشترك تهيئة الاجواء لايجاد حالة لتوحيد الموقف المشترك حيال الاحداث، وان التحالف الجديد لا بد ان يتسم بمواصفات جديدة تختلف نسبياً تبعاً لاختلاف المرحلة والشخص وامتطلبات الواقع السياسي، ومن أهم مبادئ واهداف التحالف التي نقترحها هي مايلي :

أولاً: إننا ننشد الوصول بالعراق الى حالة دائمة من الحرية والديمقراطية، بحيث يكون نموذجاً شاخصاً في المنطقة، وليس ثمة مساومة على هذه النقطة، لأن ما عاناه العراق، وما دفع ثمنه ويدفعه حتى هذه اللحظة هو من أجل الحرية والديمقراطية. ويمكن أن نعتبر هذه النقطة مسألة مبدئية وأساسية في العراق المنشود.

ثانياً: نريد عراق الحقوق الإنسانية، بالشكل الذي يليق بمهد الحضارات وأول الكيانات السياسية التي وضعت لوائح الحقوق والواجبات، وكانت في فترات طويلة من التاريخ البشري قبلة العالمين الفكرية والثقافية والسياسية، وعاصمة الفتح الإسلامي، وأرض السلام والتسامح الديني. لقد عانى الفرد العراقي من إمتهان حقوقه الإنسانية، وتحمل نزوات أشباه البشر وهم يحرقون كرامة الإنسان

ويذروها رماداً هنا وهناك بدوافع عدوانية، أساءت للإنسان كقيمة كبرى كرمها الله تعالى. وعلى هذا فإننا نسعى لأن يعود العراق الى مجده الإنساني العتيق، وان يحقق فيه الإنسان وجوده ويجد كرامته ويعيش في تسامح وسلام، مرفوع الرأس ممتلئ الفؤاد بالإطمئنان تحت سلطة القانون .

ثالثاً: نريد عراقاً واحداً يعيش فيه أبناء الشعب العراقي بمختلف طوائفهم ومذاهبهم وأديانهم وقومياتهم، كأخوة متساويين في ظل سيادة القانون، في نظام يعتمد اللامركزية التي أثبتت تجارب الشعوب نجاحها في ظل الدول المتعددة القوميات الأديان.

رابعاً: نريده بلد الحقوق المتساوية، والفرص المتساوية، الذي تجد فيه المرأة مجالاً مفتوحاً للعمل والعطاء، وإثبات وجودها، وكفاءتها على أرضه وفي ميادينه، وبالشكل الذي يحقق نهضة نسوية حقيقية، بعيداً عن تراكمات الحقبة السابقة، التي أساءت الى المرأة تحت شعارات كاذبة. فالمرأة يجب أن تجد نفسها في العراق الجديد، ويجب أن يكون لها دورها وكلمتها ورأيها في مسيرته الجديدة.

خامساً: العراق الذي نسعى إليه عراق العلم والمعرفة والثقافة، فالفرد العراقي لا بد من أن يحظى بكل فرص التعليم، وأن لا يقف طموحه عند حد، وذلك من خلال مجانية التعليم، وتوفير فرص التعليم الجامعي لكل طالب شاب، وفتح الأبواب أمام الدراسات العليا، في كل الإختصاصات والمجالات العلمية والانسانية، فالعلم حق للجميع، ولا يمكن أن يخضع لإعتبارات سياسية أو طائفية.

سادساً: عراقنا الذي نهدف الى بنائه: هو عراق الأيمن والاستقرار والحياة المنعمة بفضل ثرواته الهائلة، وخبرات أبنائه.

سابعاً: نريد العراق الذي يهتم بأسر الشهداء والسجناء وضحايا النظام البائد وتكريمهم وتعويضهم مادياً ومعنوياً عما لحق بهم من ظلم وحيف وحرمان وانشاء مؤسسات لرعايتهم واعادة اموالهم واملاكهم التي صادرها النظام الجائر واعادة المفصولين الى وظائفهم.

ثامناً: نريد عراقاً يهتم بجميع الشرائح والطبقات الاجتماعية والفئات العمرية ابتداءاً من الطفولة والنشء الجديد والشباب والمسنين والارامل والمعوقين والعجزة جميع اسباب الراحة والخدمات والرعاية الصحية والاجتماعية لهم.

تاسعاً: نريد عراقاً يوفر الضمان الاجتماعي والعيش الكريم لكل مواطن عراقي عبر نظام التغذية وتهيئة المسكن والتعليم. كما يوفر الضمان الصحي المجاني للمواطنين في كافة مستوياته.

عاشراً: نريد عراقاً يمارس دوره الحضاري من خلال سياسة خارجية متوازنة وتعاون وتنسيق مع المنظمات الدولية والاقليمية لمنظمة الامم المتحدة ومنظمة المؤتمر الاسلامي ومنظمة الدول المصدر للنفط OPEC وجامعة الدول العربية. نريد عراقاً يحافظ على علاقات قوية وصادقة مع جيرانه واشقائه ويرفض التدخل في شؤونه الداخلية من اي طرف او دولة.

احدى عشر: نريد عراقاً يمتلك كامل السيادة على ارضه وسماءه بعد خروج قوات الاحتلال التي يجب ان ترحل عندما يطلب منها ممثلو الشعب ذلك.

ثاني عشر: عراق يدعم منظمات المجتمع المدني التي يجب ان تأخذ دورها وتأثيرها ونشاطها في ترسيخ بنية المجتمع العراقي وتقديم خدماتها الثقافية والاجتماعية والانسانية لجميع العراقيين وللوطن اجمع.

ثالث عشر: نريد عراقا يضع حدا للحقبة التاريخية الماضية ويطوي الصفحات السوداء من خلال محاكمة عادلة وعاجلة للمجرمين الذين اقترفوا جرائم بحق الشعب العراقي.

رابع عشرة: نريد عراقا يوفر الحماية لابنائهم من مظاهر العنف والقمع واستبداد الجيش وتعسف الانظمة البوليسية.

خامس عشرة: نريد عراقا يهتم بالثقافة والادب والشعر والمسرح ورعاية الطاقات الشابة وتشجيع المواهب المتفتحة والبراعات الذهنية لابناء الشعب. عبر منهج الكلمة الهادفة والنصوص الرائعة التي يحفل بها تراثنا الاسلامي الاصيل ويفتخر بها تاريخنا الحضاري فالعراق منبع الفكر والفقه والفلسفة وهو جنة الشعر منذ القدم ويجب ان نعيد له دوره الثقافي والادبي ليكون كما كان مركز إشعاع فكري للمنطقة والعالم.

دور المؤسسات الدينية في تعميق الشعور بالمواطنة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ
وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ
عَزِيزٌ ﴾ (٢٥) الحديد .

إضاءة:

تنطوي هذه الآية المباركة من سورة الحديد على حقائق ومرتكزات أساسية في بناء المجتمع الإنساني المتماسك، الذي تسوده العدالة، ويمتلك عناصر القوة، والوعي، والتضامن، والشعور بالانتماء للعقيدة الواحدة، والتعايش في إطار الوطن الواحد. وذلك من خلال مفرداتها ودلالة معانيها، فأولى هذه المفردات:

«البيانات والكتاب»: وهي الآيات الواضحة التي تكرر الوعد، وتضفي الرؤية، من خلال تعدد البيانات ووحدة الكتاب، وذلك إشارة إلى أن أصول القانون والدستور واحد لا يتعدد في جميع مراحل الأنبياء وعبر تاريخهم الرسالي الطويل.

«الميزان» : هو إشارة إلى مجالات التطبيق والمقاييس الأخلاقية في الواقع الاجتماعي، والمواضع العقلانية، والاجتماعية التي تعارف عليها الناس عبر الزمن، وأقرتها قوانين الشرائع السماوية، أو لم تتعارض مع مبادئها.

فتعد هذه المعايير الميزان الذي يعين الإنسان على تشخيص الواقع والقدرة على فرز مفرداته، ومؤسساته. كل ذلك من أجل إقامة القسط، والعدل، والتوازن الاجتماعي بين الناس. « وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس » : وهذه إشارة عظيمة إلى أهمية عنصر القوة في حفظ القانون، وحماية النظام العام، وفلسفة استخدام الردع للقضاء على مظاهر الفساد والتعدي على المصالح العامة وحقوق الآخرين. كل هذه المفردات تشكل المرتكزات الأساسية لبناء الفرد والمجتمع والدولة في إطار من التوجيه الرباني، والرعاية الإلهية لمسيرة الإنسان في التاريخ.

مفهوم المواطنة :

لا شك إن مفهوم المواطنة لا يقع بعيداً عن هذه الأصول والمرتكزات التي تمثل الخطوط العريضة لرسالات السماء. إنما هي في الصميم من هذه الأسس، وتتحرك في إطارها، باعتبارها القاعدة التي يجتمع عليها الناس ويتعايشون معها على اختلاف مشاربهم وتطلعاتهم، من منطلق وحدة التكوين الانساني والتكريم الرباني لبني آدم.

قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَجْدِ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ ﴿٧٠﴾ ﴿ الإسراء ﴾ .

وفي قول الإمام علي أمير المؤمنين عليه السلام: « وَأَشْعِرْ قَلْبَكَ الرَّحْمَةَ
لِلرَّعِيَّةِ وَالْمَحَبَّةَ لَهُمْ وَاللُّطْفَ بِهِمْ وَلَا تَكُونَنَّ عَلَيْهِمْ سَبْعًا ضَارِيًا
تَغْتَنِمُ أَكْلَهُمْ فَإِنَّهُمْ صِنْفَانِ إِمَّا أَخٌ لَكَ فِي الدِّينِ وَإِمَّا نَظِيرٌ لَكَ فِي
الْخَلْقِ يَفْرُطُ مِنْهُمْ الزَّلْلُ وَتَعْرُضُ لَهُمُ الْعِلَلُ وَيُؤْتِي عَلَى أَيْدِيهِمْ فِي
الْعَمَدِ وَالْخَطَا، فَأَعْطِهِمْ مِنْ عَفْوِكَ وَصَفْحِكَ مِثْلَ الَّذِي تُحِبُّ وَ
تَرْضَى أَنْ يُعْطِيكَ اللَّهُ مِنْ عَفْوِهِ وَصَفْحِهِ فَإِنَّكَ فَوْقَهُمْ وَوَالِي الْأَمْرِ
عَلَيْكَ فَوْقَكَ وَاللَّهُ فَوْقَ مَنْ وَلَاكَ، وَقَدْ اسْتَكْفَاكَ أَمْرُهُمْ وَابْتَلَاكَ
بِهِمْ ».

كما أن الوثيقة التاريخية التي كتبها رسول الله صلى الله عليه وسلم لتوحيد مجتمع
المدينة، وإشعارهم بروح المواطنة على اختلاف أديانهم واتجاهاتهم،
باعتبارهم أمة واحدة ذات كيان سياسي ووجود قانوني يحكم
حياتهم، تعدُّ من أعز الوثائق وأصدق العقود في المجتمع الإسلامي.
حيث جعل النبي صلى الله عليه وسلم - كونه القائد السياسي - أبناء المدينة المنورة
أمة واحدة يحمون بلادهم ويدافعون عن أنفسهم وهم يدُّ على من
سواهم، بالرغم من تعدد أديانهم وتنوع مكوناتهم ففيهم المسلم
واليهودي والنصراني، ومن لا يؤمن بدين أصلا.

بعد هذه المقدمة التي تشكل الأساس في فهم مهمة الدين ودوره في
تعميق الشعور بالمواطنة وترسيخه في حياة الأمة ووجدانها الثقافي
والشعبي، تبرز مهمة المؤسسات الدينية، سواء أكانت تتمثل في
المرجعيات الدينية، والحوزات العلمية، أو العلماء المتصدين لرعاية
الأمة في تثبيت أسس المواطنة، والارتقاء بها إلى مستوى المسؤولية في
حفظ المصالح العامة ورعاية النظام السياسي والاجتماعي للأمة،
وحماية حقوق الآخرين.

ومن المؤسف له والمؤلم أن يلجأ النظام السابق في العراق إلى إلغاء دور المرجعية والحوزة العلمية -وهي الجامعة العريقة ذات الألف عام- وتحجيم تأثيرها وحجبها من الواقع الثقافي والاجتماعي بشكل مريع يبعث على الأسى، وذلك عبر أساليب إرهابية حاقتة أفقدت الحوزة العلمية دورها التاريخي الرائد، وباتت منكمشة على همومها الذاتية من أجل المحافظة على البقاء، الأمر الذي شلّ حركتها الفكرية والاجتماعية والسياسية، وتحطيم بنيتها، وإلغاء مشاريعها الإصلاحية والتغييرية، من أن تصل الإنسان العراقي بماضيه المشرق وتراثه الأصيل، وتعميق إحساسه بوجوده ودوره في المساهمة في بناء الوطن والإنسان.

كما إن التصفيات الجسدية لخيرة العلماء والمصلحين، وهجرة العقول الثقافية والكفاءات الدينية والفكرية والأدبية إلى خارج الوطن نتيجة لسياسة القهر والقمع التي انتهجها النظام المقبور، هي احد العوامل التي أضعفت دور المؤسسات الدينية، وجعلت هناك هوة كبيرة تفصل بين المجتمع ومؤسساته الدينية، مما أدى إلى إرباك العلاقة بين أبناء الشعب والوطن الأم.

فقد هاجر الكثير من الكفاءات والعقول المفكرة خارج العراق بحثا عن ظروف أفضل لأداء المهمة الدينية والوطنية.

وتبعاً لذلك عانت الساحة العراقية من ندرة الكادر الكفوء والمبدع الخلاق، مما ساعد على انحسار الوعي الثقافي وقلّة المتصدين لبناء المؤسسات ذات النفع العام، والتي لها دور كبير في ترسيخ الشعور بالمسؤولية أزاء المصالح العامة وتعميق الإحساس بالمواطنة.

وبغض النظر عن المبررات الموضوعية، وغير الموضوعية التي ساعدت على تقليص دور المرجعيات الدينية، والكفاءات العلمائية، إلا أن دور المؤسسات الدينية يبقى كبيراً ومهماً ومؤثراً في بناء الفرد والمجتمع فكرياً وروحياً واجتماعياً، لخلق أجواء المواطنة وتهيئة المناخات الملائمة لبناء مؤسسات الدولة، وتلاحم أبناء المجتمع، وتعميق الشعور بالمسؤولية تجاه المصالح العامة. وهذا ما نعرضه ضمن المحاور التالية:

أولاً: قد تكون المؤسسة الدينية هي أكثر الجهات في الدولة التي تحرص على المصالح العامة، وتكرس مفهوم الالتزام بالحق العام، وذلك إنطلاقاً من أحكام الاسلام الشرعية وقيمه الأخلاقية، وهناك الكثير من الأحكام في هذا المجال حوتها كتب الفقه وفتاوى مراجع الشيعة عبر التاريخ، وهي محل إجماع بينهم. والأمثلة على ذلك كثيرة وقد شملت قضايا جزئية من الحياة العامة، فالفرد في النظرة الاسلامية، هو جزء من بنية إجتماعية، وعليه واجبات تجاهها، وعليها حقوق يتوجب عليه الإيفاء بها.

والمسلم لا يكون مسلماً بالمعنى الدقيق ما لم يتمسك بحفظ النظام والمصالح العامة ويحرص عليها، فهي بمثابة الامانة التي يتحمل مسؤوليتها، ويتوجب عليه الايفاء بها.

ثانياً: إن الفكرة التي سعى الإسلام الى تثبيتها في العقل الفردي، هي خدمة الآخرين، فقد ورد في الحديث الشريف «إنما الدين المعاملة»، ويتسع هذا الحديث النبوي، ليشمل كل نواحي الحياة العامة، من خلال علاقات تسودها المسؤولية، فالمعاملة هو الإطار العام للعلاقة مع الآخر، وهي تعني طريقة التعامل والتفاعل مع

المجتمع بالشكل الأحسن، وليس مجرد التعامل الكلامي كما يرى البعض من السياق الظاهري للحديث. فالمعاملة هي الموقف الفردي تجاه الجماعة الإنسانية، وهي السلوك الانساني في المحيط الإجتماعي.

ثالثاً: إن ما يعاينه العراق اليوم، هو تصدع الشعور بالمواطنة الصحيحة، ويعود سبب ذلك الى الحقبة الطويلة من الدكتاتورية التي عاش المواطن في ظلها، بحيث تولد عنده إحساس العداء مع الحكومة ومؤسسات الدولة، وبالتالي العداء لكل ما هو تابع للحكومة وخاضع لها.

وطالما ان الحكومة تسيطر على كل شئ، فإنه لم يبق له سوى التراب، وهذا ما جعل الإنسان العراقي يشعر بالولاء للتراب العراقي، لكنه لا يحرص على ما فوقه. وهذا ما تبين في اليوم الأول لسقوط النظام، فالدوائر والوزارات والمؤسسات والممتلكات العامة، اصبحت نهباً مشاعاً، في عملية فوضوية تعكس في جانبها اللاشعوري عن محاولة الانتقام من الحكومة التي صادرت حرته.

لكن المشكلة أن هذا الجانب اللاشعوري بقي مستمراً، وسيستمر لفترة أخرى، ما لم يتم خلق ثقافة جديدة، تحرق رواسب الفترة الماضية من العقلية العراقية، لتبني على رماها قواعد ثقافية جديدة، تضع المواطن أمام مسؤوليته كجزء من منظومة إجتماعية متماسكة. إن فكرة المواطنة الشائعة في معناها البسيط، هو الولاء للوطن، والدفاع عنه ضد التحديات الخارجية، والاستعداد للتضحية من أجله، لكن هذا المعنى لا يغطي مفهوم المواطنة بالشكل الحقيقي أو الكامل، فالمواطنة في معناها الدقيق هي الحرص على كل ما يدخل في تشكيلة الوطن، من تراب وماء وممتلكات ومصالح وأفراد ومهام وأعمال

وخدمات. بل يتسع مفهوم المواطنة ليشمل حتى الأبعاد الزمنية ،
وذلك من خلال الحرص على توفير مستقبل أفضل للأجيال القادمة.

رابعاً: إهتم علم الاجتماع السياسي بدراسة العلاقة بين المواطن
والمسؤول ، وإنعكاساتها على الشعور بالمواطنة ، والحرص على
القانون والمصلحة العامة.

فالمواطن ينظر الى المسؤول على أنه الممثل والراعي للفكرة الوطنية ،
فإذا ما رأى حرصه على المصالح العامة ، فإنه سيتصرف بطريقة
مسؤولة تجاه المصلحة العامة ، ويحدث العكس بطبيعة الحال حين يرى
خللاً في هذا الجانب عند المسؤول الحكومي.

وهذا المفهوم الذي ينادي به علم الاجتماع ، هو ما طرحه الفكر
الاسلامي من خلال مبدأ «المثل الأعلى» أو النموذج المثالي ، باعتباره
يكون هو الشاخص العملي الذي يدل الآخرين على السلوك
الصحيح.

خامساً: نحن بحاجة الى وضع منهجية ثقافية دقيقة تعالج نقاط الخلل
السائدة في الوضع الثقافي والتربوي في العراق ، فهناك ثغرات كبيرة في
الهوية الوطنية ، وهناك مشاكل كبرى نتجت عن العملية السياسية
الجديدة ، بحيث أربكت المواطنة والحرص على المصالح العامة ، نتيجة
تداخل العامل السياسي مع المصلحة الوطنية ، فكانت النتيجة ان
المصلحة الوطنية صودرت بالمصلحة السياسية لهذا الطرف وذاك ،
ولهذه الفئة وتلك ، حيث نلاحظ ان الانتماء الوطني كمشور وقيمة
حضارية ومسؤولية تاريخية ، يتضاءل أمام الانتماء السياسي.

وما لم يتم معالجة هذا الخلل فإنه سيعرض العراق في المستقبل لأخطار جسيمة، لأنه سيقضي على ثقافة المواطنة، ويحول الى الشعب العراقي الى فئات متنافسة على إقتطاع المصالح، أو ما شاع في ثقافة المرحلة «بنظام المحاصصة» وهو نظام أملتة ظروف قلقة وأجواء سياسية طارئة.

ولكنه لا ينبغي أن يستمر كنظام ثابت في العملية السياسية ومعادلات بناء الدولة، لانه ينظام يتسم بالتخلف، وعدم إعطاء الفرص المتكافئة للمواهب والطاقات الخلاقة أن تسهم في بناء الوطن، وتبدع في تفجير ينابيع العطاء في عقول ابنائه، إلا أننا نظن أن العراق الجديد في طريقه للتخلص من نظام المحاصصة وبناء مستقبله وتقدمه على نحو أفضل.

ولعل خير ما نختتم به هذه الورقة قول للإمام علي بن أبي طالب أمير المؤمنين عليه السلام جاء ضمن عهده الذي كتبه لمالك الأشتر النخعي لما ولاه على مصر وهو أطول عهد كتبه وأجمعه للمحاسن حيث قال عليه السلام:

«أُطْلِقُ عَنِ النَّاسِ عُقْدَةَ كُلِّ حِقْدٍ وَاقْطَعْ عَنْكَ سَبَبَ كُلِّ وَثْرٍ وَتَغَابَ عَنْ كُلِّ مَا لَا يَضْحُ لَكَ وَلَا تَعْجَلَنَّ إِلَى تَصْدِيقِ سَاعٍ فَإِنَّ السَّاعِيَ غَاشٌ وَإِنْ تَشَبَّهَ بِالنَّاصِحِينَ».

صفر ١٤٣٢هـ - كانون الثاني ٢٠١١م

الوحدة الإسلامية ورقة عمل لمشروع تطبيقي

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٥٥﴾ ﴾

﴿ آل عمران ﴾

شهدت الساحتان الثقافية والسياسية وعلى مدى أكثر من قرن من الزمن، حديثاً متواصلاً عن التقارب والوحدة والأخوة وما يتصل بها من مفردات، بحيث شكل تراثاً ضخماً في المكتبات، لكنه ظل نتاجاً يدور في مجال النظرية والفكر والآمال، دون أن يأخذ طريقه الى الواقع. وفي نفس الإتجاه فان المشاريع التي حاولت ان تكون عملية، لم تستطع أن تقطع خطوات بعيدة عن نقطة الإنطلاق، بل أن معظمها ظل يراوح مكانه، حتى مرت الشهور والسنين، ولفه التعب فإنتهى الى التلاشي.

وفي مؤتمرننا هذا سنكرر ما حدث سابقاً، وسنكون إضافة عديدة لأرشيف التجارب السابقة، ما لم نقف أولاً عند قضية المنهج، فندرس أسباب توقف وفشل المحاولات الماضية، ثم نطلق بعد ذلك لرسم معالم تحرك جديد، لتجاوز الأخطاء ونلتقط النجاحات ونضع الثوابت الواقعية.

تشخيص ما حدث :

أولاً : عندما نستعرض التجارب السابقة حول الوحدة الاسلامية والتقارب والأخوة، نرى أنها كانت متأثرة الى حد كبير بالرغبة في تحقيق تطلعات الأمة الاسلامية بأسرع وقت ممكن، فقد كان ضغط الزمن قوياً على المتصددين لمثل هذه المشاريع، فأرادوا بأي شكل انتشال الأمة من حالة التمزق والتباعد والتقاطعات، والوصول الى حالة الوحدة بأسرع ما يمكن، وهذا ما جعل قسم من المشاريع تنطلق بعيداً عن النضج، مما وضعها أمام الواقع المعقد فيما بعد، فما كان من القائمين على هذه المشاريع إلا أن اصطدموا بخيبة أمل، فتخلوا عن الخطوات اللاحقة، وهذا أمر طبيعي، فعندما تكون الحسابات الزمنية غير دقيقة وعجولة، فإنها تضع أصحابها أمام صدمة الحقيقة، لأن الزمن حقيقة حاسمة، لا خضع لمزاج أو رغبة.

ثانياً: إنطلق قسم من دعوات الوحدة والتقريب كردة فعل على ظرف سياسي أو اجتماعي يعصف بالأمة الإسلامية، او في بلد من بلدانها، مما يجعل الخطوات تأتي وكأنها محاولة لإطفاء أزمة يخشى من إشتعالها، وهذا ما يجعل المشروع محكوماً بظروف اللحظة، فعندما تهدأ حالة التوتر تختفي نشاطات التحرك الوجدوي، وقد لاحظنا ذلك كثيراً في العراق ولبنان والخليج ودول أخرى.

ورغم تقديرنا لمثل هذه التحركات، إلا أنها تعطي صورة واضحة عن وجود خلل في التوجهات لدى قيادات الساحة، فالتحرك لقضايا بهذه الخطورة والأهمية يجب أن يكون بأفق بعيد المدى، وليس على

شاكله إطفاء حريق بدلو ماء، والركون الى الهدوء والثقة بقدرتهم على إطفاء حريق آخر بنفس الآلية فيما لو شب مستقبلاً. إن المتغيرات المتسارعة والمفاجآت يجب ان تكون شاخصة في الإذهان، فخطوة العلاج السابقة قد لا تكون ناجحة في أزمة جديدة.

ثالثاً: بمراجعة معظم مشاريع الوحدة وخطاباتها، نلاحظ أنها كانت تدور في مساحات النخب الثقافية والقيادات الفكرية والسياسية، دون أن تكون متجهة الى الجماهير، وهذه مسألة لها أهميتها البالغة، لأن المعني بالوحدة ليس النخبة لوحدها، بل الجمهور أيضاً، فما قيمة وحدة فكرية او سياسية أو اجتماعية، تتفق عليها النخب، بينما يعاني الجمهور من التشظي والإنقسام؟.

لا سيما وأن تقارب النخب غير مضمون النتائج، بمعنى أنه لا يمتلك مديات طويلة في حالات كثيرة، خصوصاً عندما يتعلق الأمر بالجانب السياسي، كما أن ذلك يجعل الوحدة رهينة مواقف النخب مع بعضها البعض.

رابعاً: ومن الأسباب المهمة لفشل العديد من مشاريع الوحدة، أنها كانت تخضع للرعاية الحكومية لبعض الدول، وهذا ما ساهم في حصرها بالنطاق الرسمي بعيداً عن الجماهير، كما انه صيرها أسيرة العلاقات الخارجية بين هذه الدولة وتلك، وكانت النتيجة أن مثل هذه المشاريع سرعان ما انتهت بالفشل دون ان تصل الى نتيجة مقبولة ولو بحدودها الدنيا. ولعل النماذج على ذلك كثيرة متعددة سواء ما يتعلق منها بالوحدة الإسلامية أو بالوحدة العربية، فعلى مدى عشرات السنين لم تسفر هذه المشاريع الخاضعة لرعاية الدول الى أي نتيجة ملموسة.

خامساً: وقعت القيادات الفكرية والسياسية في إشكالية كبيرة، كان لها أثرها في تعقيد الحل، ومن ثم عرقله مشاريع الوحدة والتقارب، فلقد حاولت هذه القيادات أن تجعل من الوحدة بديلاً من التعددية، وفي حالات أكثر ان تتعامل مع التعددية على أنها نقيض الوحدة، ومن هنا جهدت الكثير من المشاريع على طرح مشروع الوحدة بالآليات ومناهج تهدف الى تدمير التعددية، واستئصالها من الواقع الإجتماعي والسياسي والفكري، فكانت تقطع بضع خطوات ثم تصطدم بعد ذلك بمتانة التعددية، وقوتها الشعورية في المجتمعات، فنتهي مشاريع الوحدة الى التوقف والفشل.

سادساً: علينا أن نعترف أن التخطيط والعمل باتجاه المشروع الوحدوي لا ينفصل عن النزعة الداخلية لكل إنسان حتى لو كان هو المتصدي الأول للنهضة الوحدوية، وهذا ما يجعل متبنياته هي التي تغطي على رؤيته العلاجية للمشروع. ونتيجة لذلك يكون شركاء الوحدة في صراع خفي ينطلق من الحرص على أفكارهم من الذوبان والضياع، وأبرز مثال على ذلك مشاريع الوحدة السنية الشيعية، حيث يشعر الشيعي بأنه يواجه مشكلة عميقة في التراجع عن معتقداته المذهبية، وكذلك يرى السني أنه سيتخلى عن موروثه العقائدي، وعندما تصل الأمور الى الدائرة العقائدية فانها تصطدم بحاجز ضخم هو نهاية الطريق.

سابعاً: ظهر اتجاه في عدد من مشاريع الوحدة يدعو الى ترك الحوارات والنقاشات ذات الصفة التاريخية والعقائدية، وتحديدًا في موضوع الخلافة والإمامة، باعتبار ان ذلك يعمق حالة الانقسام بين أبناء الأمة. لكن هذا الإتجاه لا يمكن ان يكتب له النجاح مع كل هذا

الموروث العقائدي الذي يتمسك به المسلم السني والشيعي على حد سواء.

إن محاولة تجميد حركة الموروث في داخل الإنسان كسبيل للحل ، اشبه ما يكون بعملية هروب مصطنعة من واقع يفرض نفسه في العلن والخفاء ، فكانت هذه الدعوات الوحدوية ، قفزات مؤقتة على المشكلة ، لكنها تعود فتجد نفسها في وسطها عندما تعود الأقدام لتلامس الأرض. هذه بشكل عام أبرز ملاحظتنا على مشاريع الوحدة والتقارب التي شهدتها العالم الاسلامي منذ عشرات السنين.

وقد أتينا على تلخيصها ، لتكون منطلقنا في رسم مشروع الحل ، رغم ما فيها من نظرة مؤلمة ، وقد تفهم على انها تشاؤمية ، لكنها الحقيقة كما نعتقد ، ونصر على أن الوقوف عندها والتأمل فيها ، يساهم الى حد كبير في تجاوز الخلل والتقدم بخطوات موضوعية نحو حل نأمل ان يكون عمليا وواقعياً من خلال الحوار والمزيد من النقاش والدراسة.

أطروحة مقترحة للحل :

أولاً : شارك في تحريك هذا الموضوع رموز الفكر الإسلامي من السنة والشيعية ، وكبار قادتهم وعلمائهم ، في جهود متواصلة وجادة ، لتحقيق هدف الوحدة ، لكن الخطوات كانت تقف في مربع البداية ، وتبقى تراوح مكانها لسنوات قبل أن تتحول الى ماضٍ منسي ، ثم تكرر المحاولة مرة ثانية ، وهكذا طويلاً عقود الزمن دون ان نحقق خطوة حقيقية مؤثرة في اتجاه الوحدة.

إن ضخامة التراث المكتوب حول التقارب والوحدة والأخوة، يجعل الكثير من المحاولات الكتابية الجديدة، بمثابة التكرار أو إعادة صياغة لما كتب ولما قيل سابقاً، وهذا يدفعنا الى طرح فكرة تجميع النتاج الخاص بهذا الموضوع، وتشكيل فريق عمل بحثي متخصص، لحفظ هذا التراث أولاً، وتوظيفه باتجاه البحث العلمي ثانياً، والاستفادة منه في رسم معالم نظرية عملية جديدة تستطيع ان تنهض بالنظرية الى مستوى الآليات العملية ثالثاً.

ثانياً: من أجل ان لا يتحول موضوع الوحدة والتقارب الى مناسبة من المناسبات السنوية، أو الى مهرجان خطابي ينتهي بنهايته، ندعو الى تشكيل مركز خاص من ذوي الإختصاص الفكري والعلمي، يتولى التخطيط والعمل على تقديم الحلول للظاهرة الوحودية، ورفد الساحة بالابحاث والكتب وبشكل مستمر.

ثالثاً: يتولى هذا المركز ونشاطاته الثقافية الى نشر الثقافة الإسلامية بطريقة أكثر واقعية وشمولية، فيؤشر على التحديات التي تواجه الاسلام ككيان وفكر واحد يشمل مكوناته المذهبية، وبذلك نقلل من الاستغراق غير المقصود في الحالة الطائفية في الكثير من الأحيان، ونستطيع ان نؤسس لمنهجية كتابية ونشرية جديدة، توجه أنظار المسلم الى المخاطر المشتركة، وبذلك نساهم في التقليل من حالة الإنتماء الطائفي داخل المذهب الواحد.

رابعاً: إن الطائفية والتشتت تجرد ارضيتها تحت سقف التخلف والخرافة، وهذا ما يدعونا الى الإهتمام بنشرة ثقافة الاسلام بصورته المنفتحة المتسامحة، لكي نخلص الوجدان الشعبي من حالة الإنغلاق

التي ترى في النفور من الآخر موقفاً عبادياً، وتتصور أن التفوق في زاوية المذهب تعبر عن حالة تقوى محمودة.

رابعاً: حتى الآن لم تصل مجتمعاتنا الى مستوى القناعة بالحوار، بما في ذلك النخب المثقفة، فنحن نؤمن بضرورة الحوار كضرورة نظرية، لكننا لا نلتزم به عندما يصل الأمر الى الممارسة، وفي بعض الأحيان نتعامل مع الحوار على انه تراخ أو انسحاب الى الوراء، فنقف حيث نحن مفضلين عدم خوض الحوار مع الآخر، لنضمن سلامة موقفنا. هذه مشكلة حقيقية، وهي بحاجة الى مزيد من الكتابات والبحث والنشر والتثقيف، لنصل الى مستوى يحول الحوار الى صفة للنخب المثقفة، بحيث يصبح ترك الحوار هو الموقف السلبي المرفوض.

خامساً: يجب الالتفات الى قانون التطور في ضوء ثورة المعلومات والانترنت وشبكات التواصل الاجتماعي التي تخلق اجيالاً جديدة، تفكر بأنماط تختلف عن السائدة في اوساط الاساتذة والمعلمين والكتاب والمثقفين، فثمة فاصلة بدأت تحدث بين جيلين، وعلينا أن نعمل من أجل تقريبها، وهذه مسؤولية النخبة لأن الزمن يدفع الجيل الجديد نحو عالمه المتطور بسرعة، مما يستدعي ان تتواصل النخبة مع المتغيرات لكي لا تنعزل عن الجيل الجديد الذي يحتاج الى خبرة وكفاءة وثقافة هذه النخب في الرشد والتوجيه.

وبقدر ما يمثل هذا التطور المتسارع من تحديات، إلا أنه في نفس الوقت يسهل من مهمة التقريب والوحدة، لأن هذا التحول الحضاري والمدني يحتزن في داخله أمل الإنفتاح والتسامح، كما نلاحظه من خلال التواصل والتلاقي بين مختلف الفئات الشبابية في هذا البلد

وذاك، حيث تجاوزوا حدود الجغرافيا، وتخطوا الكثير من العقد القديمة.

سادساً: ولكي لا نقع في خطأ الهروب من المشكلة، فنحاول الابتعاد عن قضايا الخلاف كما اشرنا من قبل، فاننا ندعو بأن تتوجه بعض الجهود الى فتح الحوار في مجالاته العقائدية والفكرية والتاريخية، مع كل من نختلف معهم، لتكون أحد جوانب مشروعنا هو بحث نقاط الخلاف، مهما طال الزمن في ذلك، طالما ان الحوار يجري بحضارية وعلمية، وفي ذلك إثراء للفكر، كما انه قد ينتج قناعات مشتركة، او قناعة هذا الطرف او ذاك بفكرة الآخر.

سابعاً: هناك خطوات تمهيدية على طريق الوحدة، لم تأخذ اهميتها في الخطاب الثقافي والاسلامي المعاصر، وغياب هذه الخطوات يجعل من الوحدة أمراً صعباً، وهذا ما يتطلب ان نحدد هذه الخطوات وفق المنهجية التي ندعو اليها، وقد توصلنا الى مقترح طرح فكرة السلام الإجتماعي، باعتباره يمثل حالة مشتركة مقبولة بين الجميع، فالسلام الاجتماعي مطلوب في اي مجتمع ودائرة انسانية بصرف النظر الى الانتماءات المذهبية والدينية، مما يجعل من تحقيقه أمراً ميسوراً. إن قضية السلام الاجتماعي لم تنل نصيبها من البحث رغم ان الاسلام أكد عليها ودعا اليها في آيات عديدة.

يقول عز من قائل:

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ﴾ ﴿ الحجرات ﴾ .

﴿ وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾ ﴿ ٣١ ﴾ ﴿ فصلت ﴾ .

كما وردت فيها الكثير من الأحاديث.

ففي وصية الإمام أمير المؤمنين عليه السلام لولديه الإمامين الحسنين^١ :
«وعليكما بإصلاح ذات البين، فإنني سمعت جدكما رسول الله صلى الله عليه وآله
يقول: إصلاح ذات البين أفضل من عامة الصلاة والصيام».

وورد عن الامام الصادق عليه السلام قوله: « صدقة يجُبهها الله: إصلاح
بين الناس إذا تفاسدوا».

خاتمة

كانت هذه ورقة عمل نريد من خلالها أن تسهم في وضع نقاط على
طريق الحل في قضية كبرى من قضايانا الاسلامية وهي قضية الوحدة،
وقد أولينا الجانب العملي أهمية أولى، نسأل الله تعالى ان يوفقنا
للخروج برؤية مشتركة لنضع أولى الخطوات على طريق الحل،
ولنواصل المضي في هذا المشوار الطويل، والله الموفق لكل خير فعليه
نتوكل وبه نستعين.

والحمد لله رب العالمين.

المشهد الثقافي العراقي

الاشكاليات والمعالجات

إضاءة

من اجل تسليط الضوء على سبل معالجة نقاط الضعف للمشكلة الثقافية العراقية وفق مقترحات اولية يمكن تبويبها حسب متطلبات المعالجة الثقافية وتحديد أولوياتها، وذلك من خلال اشراك جميع الجهات الثقافية والشخصيات المعنية بإنجازها وتبنيها وهي حسب اعتقادنا ما يأتي :

- ☐ وزارة الثقافة والمؤسسات التابعة لها مثل دائرة الشؤون الثقافية.
- ☐ وزارة التربية
- ☐ وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
- ☐ وزارة الخارجية
- ☐ بيت الحكمة
- ☐ شبكة الاعلام العراقية
- ☐ الجامعات والمعاهد الاهلية
- ☐ مراكز البحوث والدراسات وتحقيق التراث في الحوزات العلمية
- ☐ الشخصيات الثقافية والادبية المبدعة في الساحة العراقية
- ☐ منظمات المجتمع العراقي

وغير ذلك من المؤسسات والجهات ذات العلاقة بهذا الشأن الحيوي في مسيرة المجتمع العراقي في عهده الجديد.

نرجو ان تكون هذه الدراسة والمعالجات المقترحة بادرة نقد موضوعي ، وبناء ثقافي جديد تشرع به كل المؤسسات الفكرية والادبية في العراق ، حيث تنطلق بروح التعاون والابداع من اجل اعادة التوازن الثقافي للمشهد العراقي ، وبناء الذات على اسس سليمة تستطيع الصمود بوجه التحديات في عراق الحاضر والمستقبل.

أولاً: الاشكاليات

يشهد الوضع الثقافي في العراق اليوم تراجعاً ثقافياً واضحاً ، ينعكس على مجالات واسعة في الحياة السياسية والاجتماعية ، والفكرية ، ويُفرز اشكاليات ثقافية معقدة ذات خصوصية عراقية ، تجعل الواقع الثقافي العراقي يتحرك في مديات أدنى من مديات الثقافة في العالم العربي والاسلامي ، رغم وجود طاقات ثقافية مبدعة تستند الى عمق ثقافي أصيل يمتد الى عصور تاريخية عريقة في الفكر والاداب والفنون.

ان طبيعة المشكلة الثقافية في العراق تتضح من خلال التجليات والابعاد التالية :

❖ ضياع المنهج الثقافي الأصيل واعتماد المثقف على مناهج التقاطية لا تنسجم مع تطلعات العراق الجديد.

يُعد المنهج الثقافي حجر الزاوية الذي تنطلق منه الرؤى والفعاليات الثقافية وكلما كان المنهج واضحاً أصيلاً يستند الى اسس فلسفية

موضوعية كان الناتج الثقافي اكثر تأثيراً واوسع عطاءً، والملاحظ في المشهد الثقافي العراقي اليوم اعتماد مناهج قاصرة ومتفاوتة لا تنسجم مع تطورات وهوية ومستقبل العراق الجديد، لذا لا بدّ من ان يصار الى تحديد مرتكزات منهج ثقافي عراقي أصيل تعتمد المؤسسات الثقافية والاعلامية كورقة عمل نموذجية وفق خطة زمنية من أجل تحديد نسب النجاح أو التراجع في الخط البياني الثقافي العراقي.

❖ تسطيح الوعي الثقافي العراقي وجعله أقرب الى ثقافة الاعلام الساذج والشعارية البحتة.

من المؤكد ان ثقافة الاعلام هي ثقافة تحشيدية تعبوية اكثر منها ثقافة وعي وتنمية وتأصيل، والملاحظ من خلال قراءة فاحصة للواقع الثقافي العراقي بنتاجاته المختلفة، انه يعيش حالة تسطيحية موروثية خلفتها أزمة الثقافة السابقة التي كرسها النظام البائد، ولا شك ان السطحية الثقافية تقارب الامية الثقافية، والمطلوب حيال ذلك وضع اسس وتصورات منهجية عميقة تجعل المثقف يرى ما وراء السطور، ويتلمس طريقه بوضوح بين زحمة الافكار والفلسفات والمدارس الفكرية والاتجاهات السياسية التي اصبح العراق مسرحاً خصباً لها.

❖ أزمة التعبير والمصطلح في الثقافة العراقية.

ان أزمة التعبير والمصطلح هي انعكاس لازمة الاجتماعية والثقافية برمتها، فثقافة الخوف والرعب والشك التي صاغها النظام السابق ببراعة وحنكة، جعلت الانسان العراقي بشكل عام والمثقف على وجه الخصوص يعيش أزمة في التعبير والمصطلح أفقدته القدرة على استيعاب الموضوعات والافكار بدقة واعادة توليدها بثقة وابداع،

فظلت لغة المثقف العراقي لا تحمل المعاني التي يريدونها ولا تعبر عن مكنوناته الذاتية، الامر الذي عكس هذه الازمة على المتلقي العراقي ايضاً، اذ اصبح هو الاخر لا يستوعب ما يطرح عليه بدقة وامعان ولا يتفاعل مع موضوعات حتى وان كانت قريبة جداً من همومه ومشكلاته.

❖ غياب المؤسسة الثقافية الهادفة.

ان قيمة المؤسسات الثقافية تقاس بمدى وضوح اهدافها ودقة برامجها، الا اننا وللأسف نشاهد ولو باستقراء ناقص ان غالبية المؤسسات الثقافية العراقية لا تعيش الهدفية الموضوعية التي تتجاوز الذات كمسار للانجاز والعمل، بل ظلت غالبية المؤسسات الثقافية تخضع لأداء الصدفة على مستوى المنجز الثقافي والابداع الفني بكل مفرداته، فلا نرى نمواً وتطوراً مضطرباً في الخط البياني الثقافي ان لم نرَ نكوصاً وتراجعاً لا مبرر له سوى غياب الهدف وعدم وضوح آفاق المهنة الثقافية والادبية.

❖ غياب الابداع الثقافي وتكريس ثقافة الاجترار والاعادة.

نتيجة لأنشغال الفنان المبدع والمثقف العراقي بهموم الحياة اليومية ومعايشته للازمة الاجتماعية والاقتصادية، وبسبب الضغط الأمني وحاجز الخوف المحكم الذي فرضه النظام الجائر على المثقف العراقي، فتح الباب واسعاً امام انحسار الابداعات الفنية والادبية، وظهور منحى ثقافي جديد كرّس الاجترار والاعادة والاستخفاف بواقع الثقافة ومعطياته، اذ اصبح المثقف والاديب العراقي أقرب الى البيغاوية منه الى الانسان المبدع، فاكتضت صفحات المجالات

والصحف العراقية الكثيرة ووسائل الاعلام بمنجزات ثقافية بسيطة ومكررة لا شيء وراءها سوى كيل المديح واطراء الصيغ السياسية الاستبدادية والاشادة والتمجيد برموز الجريمة والشخصيات المخترعة.

❖ اتساع الفجوة بين منهج الاعلام والثقافة.

من المفترض بالاعلام ان يكون نافذة تطل منه الثقافة على الفرد والمجتمع ، الا ان الذي يحدث ان افتراق الاعلامي عن الثقافي كرس عزلة الثقافة وبوار الاعلام ، فلا الثقافة تصل الى الفرد العراقي نقية أصيلة ، ولا الاعلام بات معبراً عن أعماق وأفاق الثقافة العراقية ، ان هذه العزلة والانفصام الثقافي خلفت فجوة وأزمة حقيقية للقارئ والمثقف العراقي على حد سواء ، برزت خلالها أسماء وشخوص ومؤسسات وهمية لا تمت لا الى الثقافة ولا الى الاعلام بصلة واضحة.

❖ شكلية دور ومهمات وزارة الثقافة ومؤسساتها.

ليس خافياً ان وزارة الثقافة ومؤسساتها في الحقبة المبادة كانت بوقاً اعلامياً يكرّس سياسة الجريمة والاستبداد التي كان ينتهجها النظام السابق وكان من المفترض لوزارة الثقافة ان تكون القناة الحيوية التي تراقب تنوع النشاطات الثقافية وتسعى لتنميتها وسدّ الخلل فيها ، فهي الاداة التنفيذية القوية للسلطة الرابعة « الاعلام » الا انها تخلت عن هذا الدور وارتضت ان تصبح هي الاخرى طبلاً من طبول النظام البائد وترويج متبنياته ومشاريعه الكاذبة ، وعلى هذا ، فان وزارة الثقافة ومؤسساتها الموروثة حالياً تحتاج الى اعادة بناء وتأهيل لكي تأخذ دورها الحيوي في الثقافة العراقية الجديدة.

❖ ضعف تأثير الحوزة العلمية في الواقع الثقافي في العراق.

من المؤسف له والمؤلم ان يلجأ النظام السابق الى الغاء دور الحوزة العلمية- وهي الجامعة العريقة ذات الألف عام- وتحجيم تأثيرها وحجبها عن الواقع الثقافي والاجتماعي بشكل مريع يبعث على الأسى، وذلك عبر أساليب أرهايبة حاقدة، أفقدت الحوزة دورها التاريخي الرائد وباتت منكمشة على همومها الذاتية، من أجل المحافظة على البقاء، الامر الذي شلّ حركتها الفكرية والاجتماعية وتحطيم بنيتها والغاء مشاريعها من ان تصل الانسان العراقي بماضيه المشرق وتراثه الاصيل، أضف الى ذلك ان النظام الحوزوي نفسه يحتاج الى اعادة نظر ومراجعة وتطوير من حيث المنهج والاداء والبرمجة والمفردات الدراسية من أجل تكون الحوزة العلمية قوة فاعلة ومحركة للواقع الثقافي باتجاه الوعي الاسلامي وتثبيت مرتكزاته الاصلية.

❖ عدم وجود علاقة قوية بين المثقف العراقي والمثقف العربي والعالمي.

ليس من شك باستقراء الفترة الماضية ان المثقف العراقي كان يعيش أزمة تواصل وتفاعل مع المثقف العربي والعالمي، فعزل العراق عن حضور المؤتمرات الفكرية، والمواسم الثقافية والادبية، نتيجة الحصار وسياسات النظام الهوجاء، جعل المثقف العراقي ينطوي على نفسه ويجترمقولاته بعيداً عن تعاطي علاقات جديدة مع ما حوله من الثقافات، وهو ما ترك تأثيراً سلبياً في عملية التبادل والتلاقح الثقافي والاستفادة من تجارب المثقف الاخر وخبرته في حركة الفكر والثقافة والأدب والفنون.

❖ عدم انسجام ثقافة النخبة مع واقع الجماهير.

ان الأزمة الثقافية والاجتماعية والسياسية التي كانت تعصف بالعراق ألفت بظلالها المعقدة على مستوى الابداع، الثقافي والأدبي، وهو ما جعل النتاج الثقافي مأزوماً يعالج مشاكل ذاتية فقط لا تتطرق الى مشكلات المجتمع ولا حتى مداعبة أحاسيسه، فظل المثقفون العراقيون يتداولون فيما بينهم نتاجهم الثقافي في دوائر ضيقة بعيداً عن حركة الامة واستيعابها، فبرزت ثقافة النخبة المجردة التي جعلت المثقف العراقي يغرد خارج سربه، اذ لم يعد المجتمع يحفل بالنتاج الثقافي والادبي، ولا يثمن مستواه ولا يتفاعل معه، بل صار يعتبره جزءاً من المنظومة الأمنية والمخابراتية التابعة للنظام الجائر.

❖ الكثرة غير الواقعية لمؤسسات المجتمع المدني الثقافية دون نتاج ثقافي ملموس أو نشاط يذكر.

يرى المتابع للساحة العراقية ان مؤسسات المجتمع المدني التي تعنى بالثقافة قد توافرت على اعداد كبيرة ملفتة للنظر فاقت العشرات بل المئات من المراكز الثقافية، والجامعات الاهلية، والصحف، والمجلات، ومؤسسات التحقيق والمنظمات الثقافية والادبية واتحادات الفنانين والكتاب والادباء وغير ذلك، الامر الذي يؤكد ان الكثير من هذه المؤسسات تفتقد للمبررات الواقعية، اذ انها لا تمتلك الحد الأدنى من المؤهلات التي تجعلها فاعلة في الوسط الثقافي، فباتت مؤسسات فارغة من المحتوى او ذات نزعة شخصية لا علاقة لها بالوعي الثقافي، او انها ظلت تشكل مدارها من اشخاص محدودين وابداعات ضيقة، الامر الذي يستدعي اندماج الكثير منها في مؤسسات موحدة لتشابه الاهداف والبرامج والمسارات الثقافية.

❖ ندرة المطبوعة الثقافية ذات الاصاله والابداع.

على الرغم من ان عدد الصحف والمجلات الثقافية، والكتب المطبوعة، والنشرات بلغت اعداداً خيالية لم يشهدها تاريخ العراق السياسي، والثقافي اذ فاقت اعداد هذه المطبوعات المئات في مختلف اتجاهات الثقافة الا انها وللأسف وقعت في الشرك الاعلامي البحت، وصارت تردد مقولات سياسية، وفئوية، وطائفية لا تمت الى اصول الثقافة بصلة، وذلك لغياب دور الرقابة الفكرية، والاعلامية والثقافية من قبل الشعب والدولة، ومن المتوقع ان تزداد اعداد المطبوعات هذه بعيداً عن الاصاله والابداع وتلبية الحاجة الثقافية والمعرفية لمجتمعنا الناهض والمتعطش الى مناهل الثقافة الحية والمعرفة الاصيله.

❖ عدم الاهتمام بالمبدعين ورجال الفكر ورموز الثقافة.

ان شعور المبدع بالانجازات يستدعي لفت نظر الامة والمسؤولين للتأشير على ابداعه، واطراء مواهبه، والتفاعل مع نتاجاته من اجل التواصل الثقافي بين جيل وجيل، ومن اجل ألا تضيع اسماء المبدعين، ورجال الفكر، ورموز الثقافة الشاخصة في تاريخنا المعاصر.

ان تكريم المبدعين والمثقفين والتنويه عنهم واحتواءهم في اطار برامج التحول والتغيير السياسي الجديد مهمة الدولة، والمجتمع، والمؤسسات الثقافية الواعية.

ان الاهتمام بالمبدعين بالثقافة الاصيله، وبالتالي هو اهتمام بالجانب الانساني الحي من فعاليات الانسان اليومية.

❖ تأثير الثقافة الموروثة من الحقبة المقيّمة السابقة.

اذا كان الموروث الثقافي عموماً يشكل مادة للتواصل بين القديم والجديد فان الموروث الثقافي العراقي من الحقبة السابقة يشكل حجر عثرة، وعائقاً خطيراً امام حركة النهوض الثقافي العراقي، فمقولات المثقف الحكومي، ورؤى ثقافة الاستبداد، وصحافة الحزب الواحد، وبالتالي بناء عقلية ثقافية عراقية لا تنسجم مع الواقع الجديد من شأنه ان يعرقل برامج التثقيف والتعليم في كل مستوياته، فلا بد اذن من دراسة فاحصة للموروث الثقافي من اجل التفريق بين ثقافتين، ثقافة النظام القمعي، وثقافة الشعب المقهور، ولكنه شعب يتطلع الى الحرية رغم كل العقبات والتحديات.

❖ قلة المكتبات وندرة دور المخطوطات وضياعها.

تمثل المكتبات منابع للثقافة الوطنية، ومراكز بناء واعدد للكادر المثقف، فضلاً عن كونها فضاءات ثقافية واسعة، لكافة ابناء الشعب، ومن المؤسف ان مكتبات العراق على كثرتها وضحامة مدخراتها من الكنوز التاريخية، والعلمية، والثقافة، والادبية، والفنية، تعرضت في فترة الحصار، والفترة التي اعقبت سقوط النظام مباشرة الى اعمال سلب، ونهب، وتخريب، اضافة الى سياسة النظام في مصادرة كتب الوعي الاسلامي الاصيل، ومنع طباعتها وتداولها، الامر الذي ادى الى انحسار أثرها في الواقع الثقافي، وندرة اعدادها، فشكل كل ذلك انحساراً ثقافياً، وتربوياً خطيراً لا بد من وضع خطة لتدارك آثاره، وذلك من خلال الاهتمام بالمكتبات ودور المخطوطات في العاصمة وعموم محافظات العراق.

❖ هجرة العقول الثقافية والكفاءات الفكرية الى خارج الوطن.

نتيجة لسياسة القهر والقمع التي انتهجها النظام البائد، هاجرت الكثير من الكفاءات، والعقول المفكرة خارج العراق بحثاً عن ظروف أفضل لاداء المهمة الثقافية والمسؤولية الاخلاقية وتبعاً لذلك عانت الساحة الثقافية العراقية من ندرة الكادر الكفوء والمبدع الخلاق، فيما اكتضت مؤسسات المهاجر العراقية على اتساعها بالطاقات والكفاءات، والمبدعين وذوي العطاءات المعرفية من مختلف الاتجاهات الفكرية والسياسية، لذا فان عودة هذه الطاقات المهاجرة يعد انتصاراً كبيراً للثقافة العراقية ودحرراً لقوى الارهاب والظلام، وتهيئة اجواء للنمو الفكري والادبي بصورة افضل.

❖ عدم استيعاب التراث الثقافي والفني من قبل الجيل الجديد.

بسبب منهج القطيعة مع التراث الاصيل الذي كرّسه النظام البائد، ومحاولة عزل الجيل الناشئ عن عمقه وامتداده الثقافي، اتسعت الهوة بين الجيل الجديد والاجيال التي سبقته فاهتزت لديه مرتكزات الرؤية الثقافية بكل ما تحمله من اصالة وعمق وتجارب حية، ومع مرور الزمن عجز الجيل الجديد عن تجاوز هذه الاشكالية فظل أسير تجربته الآنية غير المكتملة، وبالتالي صار من الصعب عليه استيعاب تجربة اسلافه بكل ما تنطوي عليه من انجازات كبيرة وعطاءات فذة.

❖ تصاعد جدلية ثقافة الداخل والخارج.

بسبب تفاوت الظروف الثقافية داخل العراق وخارجه برزت الى سطح التعامل الثقافي اليومي جدلية خطيرة طرفاها المثقف الذي لم يغادر العراق، وذلك الذي عاد من هجرة طويلة. اننا نعتقد ان خلفية

هذه القضية سياسية وليست ثقافية والا فان عودة العقول المهاجرة تشكل عنصر اثراء وتطوير لواقع الثقافة العراقية، فيما يشكل المثقفون الذين لم يغادروا العراق عنصر ثبات واستقرار ثقافي. ومن المفترض ان تكتمل الدائرة الثقافية بتفاعل هذين العنصرين بجدية وموضوعية لا ان يصبحا باباً للمفاضلة ومادة للنزاع والجدل.

❖ عدم فاعلية الملحقيات الثقافية في السفارات العراقية.

من المفترض بالملحقيات الثقافية في السفارات العراقية ان تكون همزة الوصل بين الثقافة العراقية والثقافات الاخرى، وهي التي تمثل وجه العراق الثقافي والحضاري خارج الحدود.

الا ان الواقع كشف غير ذلك، فالملحقيات الثقافية لم تعد تمتلك منهج عمل واضح، ولا ادوات فاعلة من اجل القيام برسالتها الثقافية الوطنية، فلم تختار وزارة الخارجية كادراً يليق بمهمة الملحق الثقافي في اكثر سفاراتنا، بل اصبح اختيار الملحق الثقافي جزءاً من عملية الموازنة السياسية التي تحكم البلاد اليوم ولا ضحية في ذلك غير حقيقة الثقافة.

❖ انحسار ثقافة الطفولة والنشء الجديد.

تعد مناهج الاهتمام بالاطفال والناشئة من أهم عوامل بناء الشعوب المتطورة، فرياض الاطفال، والمدرسة، والمجلات، والافلام الخاصة بوعي الاطفال والمسرح والكشافة، والملاعب والمتنزهات المعدة للناشئة كلها مفردات حيّة تشكل عناصر بناء شخصية الطفل بناءً ايجابياً لمواجهة تحديات الحياة في المستقبل.

والملاحظ ان الموروث من هذه المفردات اما ان يكون مطابقاً للمنهج الذي وضعه النظام البائد لتضييع الجيل ، وتمييعه ، وتهميشه.

واما ان يكون عاجزاً عن اداء هذه المهمة كونه جزءاً من الازمة الثقافية في العراق التي تشكو قلة الامكانيات والكادر المختص بمناهج علم النفس التربوي للاطفال.

❖ إهمال الجانب الثقافي في حركة المرأة العراقية.

اننا نعتقد ان المرأة المثقفة اساس بناء الاسرة الصالحة في المجتمع وان تغييب هذا العنصر الحيوي او تضعيفه سيؤدي دون شك الى خلل في النسيج الاسري والاجتماعي. وان الاعتقاد السائد ان لا حاجة لثقافة نسوية متخصصة بالمرأة هو اعتقاد موروث من عصور الاضطهاد والتخلف ، فالمرأة المثقفة الواعية سواء كانت امماً ، او اختاً ، او زوجة ، او بنتاً ، هي كائن حي أصيل لا يمكن اغفال دوره في عملية البناء الثقافي للمجتمع الجديد. وان الفقر الثقافي الذي عانت منه المرأة العراقية لا بد من ان يكون مادة مختبرية لدراسات جادة في المرأة وشؤونها ، فالمجتمع ذو الثقافة النسوية هو مجتمع مكتمل الوجود والهوية.

❖ أزمة المناهج التربوية في المدارس والجامعات.

منذ تأسيس الدولة العراقية الحديثة ومناهج التربية والتعليم في المدارس والجامعات تفتقر الى مراجعة منهجية جادة من اجل تشخيص صلاحها من عدمه ، والمراقب الحيادي يرى بوضوح مناهج اعدت دون دراسة موضوعية لحاجة الجيل ، وغير معبرة عن هويته الثقافية ، وغير منسجمة مع تطلعاته المستقبلية فهي ، مناهج لا تتعد عن المنحى

القومي، والطائفي، اضافة الى انها ضعيفة من حيث الشكل والمضمون، فهي تحتاج الى دراسات نقدية بنوية مستمرة، من اجل تقويمها، وتطويرها، وجعلها منسجمة مع الواقع العراقي الثقافي والسياسي الجديد.

❖ شياع ثقافة الغلو والتطرف الثقافي.

تشكل ظاهرة الغلو والتطرف اخطر الاتجاهات الثقافية والاجتماعية، فهي مدعاة للعبور على الحقائق، وتجاوز الثوابت، وانتشار ثقافة التبرير السطحية، وبالتالي وقوع المجتمع فريسة انحطاط ثقافي واجتماعي وأمني. ان الفهم المتطرف للثقافة هو حالة موروثية أيضاً من حقبة القهر والاضطهاد، اذ ان الواقع الثقافي في العراق كان يشهد تضخيماً لصورة الطاغية واعماله الى حد التأليه والصنمية، لذا لا بد من وضع دراسات ومعالجات من شأنها ان تشخص ملامح وخلفيات هذه الظاهرة الخطيرة ومعالجتها بالاساليب الاستراتيجية وفق خطة زمنية تنسجم مع حالة البناء والتحول التاريخي في العراق الجديد.

❖ ندرة المواسم الثقافية والمؤتمرات الفكرية والادبية والفنية.

ان الحالة القلقة التي تعصف بالعراق اليوم ألغت الكثير من مشاريع الثقافة ومواسمها ومؤتمراتها الفكرية والادبية والفنية، فاصبح المثقف العراقي في اكثر الاحيان يكتب لمن حوله من النخبة في وقت يحتاج فيه نتاجه وابداعه الى ان يكون اطروحة علنية في المنتديات والمؤتمرات الثقافية، من اجل اشاعة روح النقد، والتقويم البناء، واكتشاف

افكار ورؤى ثقافية جديدة بالتلاقح الثقافي بين حملة القلم ، ورجال الكلمة.

❖ غياب التوثيق والبرمجة الثقافية في العقل العراقي.

من المؤسف ان مؤسسات ثقافية واعلامية غير عراقية تقوم بتوثيق المشهد الثقافي العراقي وتكتب عن برامجها الثقافية ، ويبدو ان غياب ثقافة التوثيق ينطلق من عقدة تاريخية ، مفادها ان توثيق الاعمال والافعال ، والمشاريع هو من مهمة السلطة ومراكزها المخبرائية ، ثم ان عدم ارتباط العراق بمؤسسات التوثيق العالمية ومراكز الفهرسة والاحصاء الدولية ، وعدم ارتباطه بشبكة الانترنت كل ذلك ساهم مساهمة خطيرة في جعل العقلية العراقية لا تحفل بتوثيق فعاليتها ولا بشخص المبدعين ، والمتقنين من رجالها. اللهم الا محاولات بسيطة لا تشكل خطأ ثقافياً في الوسط العراقي.

❖ اهمال المتاحف ودور الاثار والكنوز التاريخية.

ان حالة الحصار التي عاناها المثقف العراقي جعلته يزهّد بما لديه من تأريخ ، وبما تحتوي عليه المتاحف ، ودور الاثار والكنوز الثمينة من تحف ووثائق تحكي قصة حضارة وادي الرافدين ، اذ اصبح يرى ان هذه الاشياء امورٌ شكلية وترفيهية وهي من مختصات السواح الاجانب والمترفين من الناس ، في الوقت الذي تشكل فيه هذه الموروثات الحضارية مادة دسمة ومهمة للبحوث الفكرية ، والفنية ، والاجتماعية ، والسياسية ، وهي مادة للربط بين الماضي والحاضر بكل ما يحمله الماضي من طاقات مدخرة واصالة ترفد الابداع الآني.

❖ عدم حضور الثقافة العراقية في منتديات الفكر والادب العالمي.

يشكل الادب والفن حالة انسانية موحدة تتمظهر عبر المبدعين من الشعوب على اختلاف هوياتها وانتماءاتها، وان التواصل الثقافي والاطلاع على معارف وابداعات الآخر يعد دافعاً طبيعياً للابداع والاثراء فالثقافات تعيش حالة من الأواني المستطرقة، لأنها جزء من رؤية الانسان بما هو انسان، وان قضايا الشعوب مهما اختلفت فانها تبقى متحدة الوشائج متصلة الجذور، وان اقتصر الاديب العراقي على خصوصياته وانكفاه على ذاته وعدم حضوره في المنتديات، والمؤتمرات العالمية، جعل مادته الثقافية والادبية، مادة مستهلكة لا تنهض بطموحه ولا تعبر عن تطلعاته.

❖ تحكم اشكالية السياسي والمثقف في العقلية العراقية.

ان اشكالية السياسي والمثقف من الاشكاليات التي برزت في العالم العربي بعد الحرب العالمية الثانية، اذ بدا السياسي يشعر ان سلطة المثقف غير قانونية خاصة فيما يمارسه من نقد وتقويم للواقع السياسي وفي ذات الوقت بدأ المثقف يشعر ان السياسي صادر حقه في ممارسة دوره كعنصر مراقب وناقد لحركة الاجتماع والسياسة. ان الحكومات التي تعاقبت على حكم العراق كان يمثلها سياسيون، أوقادة عسكريون متواضعو الثقافة، الامر الذي جعلهم يقعون ضحية ممارسات غير ثقافية ولا حضارية صارت مادة لنقد المثقفين وتندرهم، ولا بد اذن من ان يحتل المثقف موقعه السياسي اللائق، وان لا يتصدى للسياسة من يفتقد الى ادوات الثقافة.

❖ عدم وجود قوانين تضمن ديمومة حركة المثقف ومستقبل نشاطاته وحياته.

ان وجود قانون مؤقت في الفترة السابقة لم يهتم بشؤون الثقافة والمثقفين ولم يحفل بمستقبل الثقافة ونشاطاتها باعتبارها موضوع ترف غير ملح ، وهذا ما دعا بالمثقف الى ان يعيش حالة من التشاؤم حيال مستقبله الثقافي فلا وجود لقانون يكفل ديمومة انجازاته الثقافية ، وتقاعده ، وحقوق اطفاله ، وعائلته ، فظل يراوده القلق ، وهو ينقل احساسه عبر ابداعاته التي اصبحت قلقة هي الاخرى ، كل ذلك وسط عدم مبالاة السلطة بهذه الازمة الخانقة. ان اصدار قوانين جديدة تحفظ للمثقفين حياتهم وكرامتهم من شأنها ان تساهم في حلحلة هذه الازمة والغائها.

❖ الفاصلة التاريخية بين الثقافتين العربية والكردية.

كان من المفترض ان تتفاعل الثقافتان العربية والكردية لتكوين مزدوج ثقافي منسجم يعبر عن روح الاخاء والتضامن والتعايش المشترك بين الشعبين العربي والكردي ، الا ان النظام البائد دق بسياساته الارهابية وممارساته المقيتة اسفين الفرقة والتباعد بالشكل الذي كوّن لدى الطرفين ثقافة الضد والحساسية ، فتميزت النتاجات الثقافية والابداعات الادبية ، والفنية في كردستان العراق بخصوصية ذات طابع قومي بحت يتخلله نوع من العداوة الثقافي كردة فعل طبيعية على قيام النظام السابق بحملات تثقيف واعلام ضد طموحات الشعب الكردي وتطلعاته نحو الحرية ، فالمطلوب اذن ردم الهوة المفتعلة بين الثقافتين والعودة الى اصول ثقافية مشتركة تستند الى الاساس الوطني والاسلامي عبر لقاءات ثقافية مشتركة ، ومنتديات مفتوحة

يتداول فيها المعنيون اصول الثقافة العراقية ، ووحدة المنهج الثقافي ، والادبي ، والفني في بلاد الرافدين.

❖ ظهور الثقافة التكفيرية وخطرهما في العراق الجديد.

ما من شك ان ثقافة فتاوى التكفير لا تستند الى اي مبرر شرعي ، او موضوعي او اجتهاد راجح ، انما هي صرعة من صرعات العصر مختلفة الدوافع متفاوتة المناهج لا يربطها رابط سواء مشروع اباحة الدم الحرام ان ظهور هذه الثقافة الخطيرة الطارئة في الساحة العراقية ، فرضته ظروف التحول الديمقراطي ، وانجازات العملية السياسية والدستورية من قبل منظمات ارهابية جعلت الساحة العراقية مسرحاً لدمويتها بالتآلف مع من تبقى من فلول النظام السابق المقبور. وهنا لا بد من الاشارة الى ان الثقافة التكفيرية لا بد ان تواجه بثقافة التسامح والتعايش السلمي واعطاء النموذج الايجابي للعلاقة بين الانسان الفرد ، والمجتمع والدولة عبر دستور صالح يضمن حقوق الجميع في الاعتقاد والتعبير ، والانتماء المذهبي ، والسياسي ، والاثني.

❖ التنظير المزيف للثقافة الطائفية في العراق.

يحلو للبعض ان ينظر للحس الطائفي باعتباره ضمانات لوجود الاقليات التي تخشى على ذاتها من التذويب والتهميش ، الا ان الواقع ان الثقافة الطائفية تعبر عن قراءة خاطئة لمبادئ الدين وافكار المواطنة وتعايش الجماعات. ان التنوع الديني ، والمذهبي ، والقومي ، والسياسي في العراق علامة معافاة اجتماعية وعنصر من عناصر الالتفاف حول حقيقة الوطن والمواطنة ، لذا فلا بد من تعميق ثقافة الانفتاح ، والتفاهم ، واحترام الآخر مهما قل حجمه وندر تأثيره. ان

تراكم الثقافة الطائفية منذ تأسيس الدولة العراقية الحديثة يجعل مهمة
المفاصل الثقافية في العراق الجديد صعبة وخطيرة، اذ عليها وضع
مناهج تقريبية من شأنها ان تزيل رواسب الحس الطائفي، وتبني محلها
قواعد للتعايش والاخوة والحب والسلام.

❖ تنامي ثقافة التعصب للأشخاص واختفاء ثقافة الانتماء للمبادئ والقيم
والمؤسسات.

لقد تركت مقولات النظام البائد الداعية الى تمجيد الطاغية وازلامه
أثراً خطيراً في البناء الثقافي العراقي، اذ جعلت المثقف لا ينتمي الى
المدرسة الثقافية، بل الى الشخص السياسي فرداً كان ام حزباً ام
طائفة. ان هذا المنحى الثقافي الناشز أفقد المثقف دوره النقدي وتأثيره
على المسار السياسي، اذ اصبح الانتماء للشخص «الذات» مقدماً
على الانتماء للخط والمبادئ والقيم والمؤسسة.

❖ ضعف الاداء الثقافي لدى الاحزاب والحركات السياسية.

تمثل الحركات والاحزاب السياسية في العراق سلطة غير معلنة
تمارس دورها السياسي والثقافي على الافراد والجماعات، وذلك منذ
تأسيس الدولة العراقية الحديثة. وبالرغم من وجود برامج ثقافية معلنة
ومتينة في الانظمة الداخلية لتلك الحركات والاحزاب، فان
الممارسات الثقافية لها ظلت متلكأة ومنحسرة قياساً بما وضعت من
طموحات فكرية وثقافية وحركية في مطبوعاتها، وادبياتها، ومدعاة
ذلك ان الحركات والاحزاب كثيراً ما تحتاج الى التحشيد الاعلامي اكثر
مما تحتاج الى التغيير الثقافي النوعي. اضافة الى انها وبحكم ظروف المحنة
الطويلة انشغلت في همومها الداخلية ومشاكلها الذاتية فتعرضت الى

آفات الانشقاق والتورم والمحورية والصراعات الداخلية وغير ذلك من الامراض الحزبية.

ثانياً: المعالجات المقترحة

من اجل رفع المستوى الثقافي العراقي ودفح عجلة المعرفة والابداع الفني والادبي ، ومن اجل انهاء مخلفات الحقبة السوداء السابقة التي طبعت الواقع العراقي بثقافة مشوهة وسلبية ، ومن اجل اشراك الوزارات والمؤسسات والهيئات المعنية بالشأن الثقافي نقترح ما يلي :

اولاً: وضع منهج ثقافي مدروس بعناية ، يعده اصحاب الاختصاص ينسجم مع طموحات العراق الجديد ، ومنه تنطلق الرؤى والفعاليات الثقافية يتسم بما يلي :

- ١- التركيز على ثقافة الوعي والتأصيل والعمق الفكري.
- ٢- تجديد المصطلحات الثقافية بالتأكيد على مصطلحات ثقافية غير التي كانت سائدة في العهد البعثي السابق.
- ٣- نشر ثقافة الابداع والتخلص من ثقافة الاجترار والتكرار.
- ٤- التعامل مع حركة الامة ومشاريعها الواقعية والابتعاد عن ثقافة النخب المترفة.
- ٥- الابتعاد عن ثقافة الحكومة المركزية والحزب الواحد وثقافة الاستبداد والتعسف.
- ٦- التخلص من ثقافات التكفير والطائفية والتعصب للأشخاص والاهواء.

ثانياً: العمل على جعل وسائل الاعلام المختلفة النافذة التي تطل منها الثقافة على الفرد والمجتمع والحياة.

ثالثاً: اعادة بناء وتأهيل وزارة الثقافة ومؤسساتها لتكون القناة الحيوية التي تراقب النشاطات الثقافية وتنميتها، وان تكون الاداة التنفيذية الفاعلة للسلطة الرابعة «الإعلام».

رابعاً: تمكين المثقف العراقي من حضور المؤتمرات والندوات الثقافية العربية والعالمية والتواصل مع المثقفين في العالم للإستفادة من تجارب المثقفين واحياء التبادل الثقافي في حركة الفكر والادب والفنون.

خامساً: الاهتمام بالمكتبات بكل انواعها وتزويدها بالكتب وفق الخطة الثقافية، وكل وسائل التنفيذ في هذا المجال، والتأكيد على إحياء المكتبات المدرسية التي تتوزع على كل انحاء العراق، ونشر المكتبات المتنقلة بحيث تصل الى كل قرية وقصبة.

سادساً: تأسيس مراكز للبحوث العلمية والدراسات الاستراتيجية وفق اسس علمية، وتوفير كل الامكانيات المطلوبة لها.

سابعاً: تأسيس مراكز للعناية بالتراث وتحقيق ونشر المخطوطات وفق اسس علمية، والعمل على الاستفادة من الموروث الثقافي وفق رؤية وقراءة واعية.

ثامناً: جعل الملحقيات الثقافية في سفارات العراق في الخارج همزة الوصل بين الثقافة العراقية والثقافات الاخرى.

تاسعاً: الاهتمام بثقافة الطفل وفق اسس حضارية والعمل على وضع برامج لبناء النشء تنسجم مع متطلبات المرحلة والواقع العراقي الجديد، والاستفادة من خبرات الآخرين في هذا المجال.

عاشراً: الاهتمام بثقافة المرأة والأسرة ووضع خطة لثقافة نسوية متخصصة.

حادي عشر: تشكيل لجان من اصحاب الاختصاص لمراجعة المناهج الدراسية واعداد مناهج جديدة وفق اسس علمية حضارية تعمل على بناء الطالب العراقي بناءً حضارياً، والتأكيد على المنهج التطبيقي في المدارس المختلفة والابتعاد عن مناهج التلقين الساذج.

ثاني عشر: تحديث الخطط والمناهج العلمية في الجامعات، والابتعاد عن اساليب التدريس عن طريق الكتاب المقرر او المحاضرة المكتوبة الجاهزة.

ثالث عشر: نشر ثقافة التوثيق والعمل على قيام مؤسسات لهذا الغرض.

رابع عشر: تشريع القوانين التي تحفظ حقوق المثقفين كحق التأليف وغيره، ومنحهم المزايا التي تمكنهم مع العيش بكرامة وتوفر لهم الاستقرار النفسي لحاضرهم ومستقبلهم.

خامس عشر: تكريم المبدعين ورموز الثقافة ومنحهم الاوسمة والجوائز التقديرية.

سادس عشر: دعم مؤسسات المجتمع المدني الثقافية والابداع الفكري والادبي.

سابع عشر: اختيار اسبوع من كل عام بأسم «اسبوع الثقافة والابداع» تقام فيه المؤتمرات الثقافية والمعارض الفنية والمنتديات الادبية الواسعة.

ثامن عشر: اقامة المؤتمرات والندوات والمعارض الثقافية والتشكيلية
ودعم حركة المسرح وحركة الفنون والآداب.

تاسع عشر: ايجاد سبل تقارب ثقافي بين الثقافة العربية والكردية
لتأكيد حالة الاخاء والتكامل بين الثقافتين.

عشرون: مد جسور التواصل الثقافي مع الدول العربية
والاسلامية عبر المؤتمرات واللقاءات الدورية والمشاركة في شؤون
الفكر والثقافة والاداب.

الفكر الاسلامي في مواجهة التحديات السياسية

دراسة في التجربة

﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَفُتِنَتِ كُلُّ نَفْسٍ بِشَهْوَاتِهَا وَلَكِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ ﴾

يمتاز الفكر الاسلامي بحركية واسعة وشمولية مستوعبة بحيث تمكنه من التأثير على ساحة الأحداث بقوة، فهو ليس فكراً تجريبياً يعيش عالم التنظير ويتحجم في حدود خاصة، انما هو ينطلق في آفاق الحياة ويدخل في كافة شؤون المجتمع والدولة، فيحدد موقفه من كل قضية، ويقدم الحل البديل لكل مشكلة وطرح. وهذا هو العامل الكبير الذي جعله متجدداً مع تطور الحياة في مساراتها التاريخية الطويلة.

إننا لا يمكن ان نتصور ان الفكر الاسلامي يمكن محاصرته في نطاق محدود او فرض حواجز تحول دون إنتشاره وتقدمه، لان الفكر بصورة عامة حالة غير قابلة للحصار والتقييد. ولان الفكر الاسلامي بصورة خاصة يمتلك المؤهلات الكافية للوقوف بوجه التحديات، والصمود امام الهجمات المضادة، وهو فوق ذلك يمتلك القدرة الكاملة على تحقيق الانتصار فيما لو أحسن القائمون عليه توظيفه بالطريقة المناسبة للظرف الاجتماعي والسياسي. وعندما نستقرىء التجربة الاسلامية

منذ عهد الرسول الاعظم ﷺ وطوال القرون التي تلت وفاته، نلاحظ بما لا يقبل الشك والارتياب.

ان الفكر الاسلامي كان الواجهة الاكبر والعامل الاساس في قوة الاندفاع الاسلامي وانتصاره، واتساع رقعته، وتأثير على حركة الزمن بحيث جعلها تتخذ قيما ايجابية معطاءة.

فمن خلال الفكر، والايمان بالعتيدة استطاعت الدعوة الاسلامية ان تفرض نفسها على الواقع الاجتماعي في مكة، في الوقت الذي كانت فيه المقدرات السياسية والاقتصادية بيد المشركين. لكن ادوات القمع لم تستطع ان تُنهي دور العتيدة الاسلامية. كانت الآيات القرآنية ومعطياتها الفكرية والروحية تثبت في القلوب والعقول وتنفذ الى قلوب وعقول الآخرين، دون ان تتمكن السلاسل والقيود والحجارة والنار ان تمنع حركة الفكر وتيار العتيدة الجارف الصامد من التجذر والامتداد.

ولقد حاول المشركون أن يجعلوا المواجهة بينهم وبين الاسلام تتخذ طابعاً مسلحاً داخل مكة. وربما استفز ذلك بعض المسلمين، لكن الله سبحانه أمرهم أن يجبسوا أيديهم عن السلاح كما يدل عليه قوله تعالى:

﴿الَّذِينَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ النساء .

فلم تكن الظروف آنذاك تسمح بالمواجهة المسلحة لوجود الفارق الكبير بين القدرات المادية للطرفين، والتي تجعل الكفة لصالح قريش، فتحقق بلا شك نصرها على المسلمين. ان المواجهة العسكرية كانت في مصلحة قريش، وكانت المواجهة الفكرية في صالح المسلمين، ولذلك

شدّد الرسول ﷺ على جماعته أن يمتنعوا عن الرد بالمثل ، لأن عوامل السياسة لا تسمح بهذه الاجراءات ، بينما هي تتطلب الاعتماد على الفكر والاسلوب الدعوتي العقائدي الذي ينسجم مع حقائق الزمن ومتغيراته الاجتماعية والسياسية.

وقد دفعت تلك المنهجية الفكرية الدعوة الاسلامية خطوات واسعة الى الامام ، وجعلت قريشاً تفقد أزمّة الفعل السياسي المؤثر في ساحتها وعلى أرضها ، فهي لم تواجه الاسلام بنفس الأدوات والوسائل التي يعتمد عليها ، انما اعتمدت ادوات ووسائل تصلح لمعارك من نوع آخر ، لكنها لا يمكنها ان تكون حاسمة في مواجهة العقيدة والفكر. فكان أن صمد الاسلام كعقيدة ربانية راسخة وتحول الى دولة قوية ممتدة ، فيما خسرت قريش بعد ذلك الموقع السياسي وذابت في تيار الاسلام العظيم.

ان الذي يمكن ان نستفيده من تجربة الرسول ﷺ ، ان الفكر كحالة عقائدية لا يكفي فيه ان يكون قائماً على الارض حتى يحقق النصر ، ويصمد امام التحديات السياسية ، بل لابد من بلوغ المستوى المطلوب من الثبات والارتكاز في النفوس حتى يمكنه ان يقف في مواجهة التحديات ويخوض الصراعات السياسية دون ان يتهدهه خطر الانحراف او الانحسار أو الضياع. وهذا ما نستوحيه من تجربة الخلافة التي ظهرت بعيد وفاة الرسول ﷺ ، ثم تحولت الى مشكلة دائمة في حياة الامة الاسلامية ، حيث ظهرت اول ازمة سياسية خطيرة في حياة الدولة والمجتمع الاسلامي في مسألة من يخلف الرسول ﷺ في قيادة الامة وتولي امامة المسلمين.

وكان لغياب الفهم العقائدي دوره في حسم مسألة الخلافة بالشكل الذي حدث في سقيفة بني ساعدة، حتى آلت الخلافة فيما بعد الى سلطة سياسية في ادارة الدولة، وصار الاسلوب السياسي هو الذي يقرر ويحسم من الذي يحكم المسلمين ويلي أمورهم، لقد كانت الامة الاسلامية آنذاك بحاجة الى نضج فكري ورؤية عقائدية واضحة حتى يمكنها ان تغلب على الحسابات السياسية الناشئة من موروث قبلي وجاهلي مستحکم في نفوس الكثير من المسلمين. وهذا ما كان يحسه ويدركه الرسول الاعظم ﷺ، فقد كان ﷺ يؤجل الاعلان الحاسم لحكم ولاية الامام علي عليه السلام لما يتوقعه من ردة فعل قد يقودها البعض ضده فيما لو اعلن الحكم الالهي الصريح بتعيين الامام علي عليه السلام ولياً للمؤمنين. حيث كان من المتوقع ان ينقلب اولئك على الرسالة ويتهمون به بانه يريد حصر القيادة بأهل بيته، وربما يتمادوا في معارضتهم السياسية فيطعنوا بالنبوة، ويصورونها بأنها سلعة سياسية وزعامة عاطفية، ولم يبلغ الرسول ﷺ هذا الحكم الخطير حتى انزل الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ مَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾ ..

ومن هنا نكتشف ان القاعدة الفكرية لابد ان تصل الى مستوى مستقر من النضج والوضوح والثبات حتى يمكنها ان تنهض بالمشروع السياسي وان تواجه طوارئ الزمن ومتغيرات السياسة التي تثار في حياة الناس الاجتماعية والثقافية والسياسية.

تجربة الدولة والثورة

خلال الفترة التي أعقبت وفاة الرسول ﷺ نجد ان الامام علياً عليه السلام يعلن بصراحة ووضوح أنه يجمد مطالبته بحقه الشرعية في الخلافة من

اجل حفظ المسيرة الاسلامية، فهو ينسحب من ميدان المواجهة السياسية لانه عليه السلام يدرك ان الدخول في الصراع السياسي سيجر الامة الى خطر هائل يتمثل في ضياع مكاسب الاسلام العظيمة لذلك اثر مصلحة الاسلام والامة على المطالبة بحقه الشرعي في الخلافة، فقال كلمته الرائعة «والله لأسلمن ما سلمت أمور المسلمين ولم يكن فيها جور الا عليّ خاصة، التماساً لاجر ذلك وفضله وزهداً فيما تنافستموه من زخرفة وزبرجة».

فالامة بحاجة الى رصيد فكري ووعي عقائدي يضاف اليها حتى تستطيع ان تصمد بوجه التحديات السياسية.

وبعد ان جاءت اليه الخلافة، تميزت سياسته عليه السلام بالاهتمام بالاولويات الداخلية، وإعادة إلى المنابع الأولى لحركة الرسالة، حيث أوقف حركة الفتوحات فلم تخض الجيوش اي معركة خارج حدود دار الاسلام، وانما توجه علي عليه السلام الى اعادة بناء الدولة داخليا على اساس اسلامي صحيح، انه عليه السلام يريد ان يعطي لحركة التاريخ مسارها الايجابي الصحيح الذي كانت على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، وقد عرضته الاصلاحات الداخلية الى مواجهة أزمات متلاحقة، ومعارك هي:

«الجمل، وصفين، والنهروان» وقد اقترح عليه بعض ان يعطل اصلاحاته فلا يعزل معاوية مثلاً عن الشام. لكنه رفض تلك الاقتراحات لانها تتعارض مع مبادئه الاسلامية فهو عليه السلام يريد ان يركز العقيدة ومبادئ الفكر الاسلامي على اساس قومية وأن يجعلها هي الاساس الذي تسير عليه سياسة الدولة، لا ان يجعل السياسة هدفاً، فيعطل دور العقيدة والفكر في بناء المجتمع والدولة.

ولو فعل ذلك ، وحاشا له ان يفعل فانه ، سيساهم في تدهور القيم الفكرية الاصلية ويفسح المجال لتفشي الفساد الاداري والسياسي ومظاهر الانحراف في القواعد المتينة والمرتكزات الاساسية للحكم الاسلامي بعد الرسول ﷺ حتى استشهد عليه السلام في المحراب قائماً لله وحده. وجاء بعده الامام الحسن عليه السلام. إذ عاش المحنة بكل فصولها وهو يواجه حالة التردد والتشكيك والتراجع في جسم الأمة.

وبعد ذلك نجد الامام الحسين عليه السلام يقدم صورة للعمل الثوري القائم على اساس الموقف الشرعي والرؤية الفكرية فهو يحدد للثورة اساساً عقائدياً اصيلاً ويضعها في خط الفكر المتجرد عن حسابات المصالح السياسية المحدودة فلقد ركز عليه السلام على التعبئة العقائدية ، فكانت ثورته ثورة في النفوس والعقول وهزة في الضمائر.

وبذلك حقق اكبر مكسب فكري من خلال مشروع الثورة ، حيث انتصرت في المواجهة العسكرية قيمة الاسلامية على آلة الحرب ، وحفظت عطاءاته الخالدة مسيرة الاسلام التاريخية من التراجع أو الضياع. وما أجمل قوله الخالدة عليه السلام « .. ألا وأني زاحفٌ بهذه الأسرة مع قلة العدد وخذلان الناصر ، فمن لحق بي فقد استشهد ومن لم يلحق لم يبلغ الفتح ».

فقد عبر عليه السلام عن شهادته بأنها فتح رغم المأساة ، لأنها فتحت بوابات الأمل بتغيير الواقع الفاسد من خلال انطلاقة الوعي والإرادة والتحرر ، ورفض النظم المنحرفة والظالمة على مدى الزمن.

الفكر والسياسة في حركة الامة

عندما ندرس الادوار التي نهض بها ائمة اهل البيت عليهم السلام في الحياة الاسلامية، نلاحظ انهم اعطوا اولية متقدمة لرفع المستوى العقائدي والبناء الفكري للامة، والذي تعرض للتراجع والتصدع نتيجة الاضطرابات السياسية التي حدثت داخل الكيان الاسلامي، حيث كان من ابرز مظاهرها ظهور المدارس الكلامية والفلسفية، والحركات الفكرية المنحرفة والاتجاهات السياسية المختلفة.

كل ذلك كان يعرض القاعدة الفكرية الاسلامية الى التصدع والتزلزل كما ان السلطة الحاكمة كانت تسعى لتسخير الفكر والفقهاء الاسلامي لصالحها، حتى ظهرت طبقة الوضاعين للحديث والرواية، وطبقة العلماء الذين يرفضون آراء وتأويلات منحرفة عن الاصول الاسلامية لارضاء الجهاز السياسي المنحرف.

في ضوء تلك الاجواء والصراعات الفكرية والسياسية المعقدة اتخذ ائمة اهل البيت عليهم السلام موقفاً صارماً ازاء الاحداث، حيث اكدوا ضرورة اعادة الامة الى اصالتها الاسلامية وقاعدتها الفكرية الراسخة وإعداد أجيال من العلماء الواعين المتبحرين في علوم الشريعة والعقائد والافكار والمفاهيم الاسلامية.

وهذا ما تميز بوضوح خلال حياة الامام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام ورغم ظهور الكثير من الحركات السياسية والثورية المضادة للحكمين الاموي والعباسي، الا ان ائمة اهل البيت ' اتخذوا منها موقف التحفظ، بل انهم ' حاولوا في بعض الحالات ثني القائمين على الثورة عن تنفيذ مشروعهم السياسي الثوري المنفعل.

ان دراسة تلك الفترة والتأمل العميق في فهم مواقف ائمة اهل البيت، يعطينا نتيجة محددة في هذا الخصوص، وهي ان الائمة لم يكن غرضهم اسقاط سلطة والمجبيء بسلطة اخرى، انما كان هدفهم رفع المستوى الفكري والروحي للامة بحيث تكون منسجمة في سلوكها الاجتماعي مع فكرها الاسلامي ومع الاصول العقائدية لرسالتها، وبذلك يقف المجتمع الاسلامي على ارض صلبة من الفكر والثقافة، والسلوك وهذا لو يتحقق فان المشروع السياسي سيكون بطبيعة الحال ناضجاً مستقراً ثابتاً لا يتأثر بالمتغيرات السياسية فينحرف عن نهجه ويتزلزل في مواقفه ويضطرب في مساراته.

وعلى هذا الاساس نستطيع ان نفهم ضرورة التوافق على قاعدة فكرية ثابتة ومثينة عند محاولة الانطلاق في العمل السياسي، باعتبار ان العمل السياسي مالم يستند على الرؤية الواضحة والقوة الفكرية، فانه يكون معرضاً للارتباك والانحراف. وقد يؤدي الى غير الهدف المرسوم، ويفرز عوارض سلبية تحمل من الخسائر اكثر من المكاسب.

تجربة الامة الفكرية في مواجهة العامل السياسي

استطاع الاسلام ان ينتشر على رقعة واسعة من العالم، وكان من الممكن ان يستمر في توسعه وانتشاره. لو ان حركة الفتوحات كانت تسندها اجواء مستقرة داخل الكيان الاسلامي، غير ان الدولة الاسلامية كانت تعاني من مشاكل داخلية كثيرة وتعيش حالة الصراعات السياسية التي صارت السمة البارزة لعلاقات الحكام في الاقاليم والولايات الاسلامية بمركز الدولة. فظهرت الدول والممالك والامارات، والسلاجقة والأتراك، مما جعل العامل السياسي يفرض وجوده على العامل الفكري.

فلم تكن الدولة في حقيقتها تضطلع بمهمة فكرية رسالية كبرى انما تنشغل بالعامل السياسي المتمثل بالتنافس والتصارع المستمر، حتى حدثت الانتكاسة الكبرى اواسط القرن السابع الهجري بخضوع الدولة الاسلامية الى سلطة كافرة هي سلطة المغول التتار التي دمرت الكثير من معالم الفكر والحضارة الاسلامية، وكانت انتكاسة هائلة في التاريخ الاسلامي وفي حياة المسلمين، واخذت حركة الزمن تتجه بصورة معاكسة لما كانت عليه سابقاً ولو ان الحياة الفكرية الاسلامية لم تستند على خلفية قوية وتراث متماسك، لانهارت قلاع الفكر مثلما انهارت قلاع السياسة.

غير ان الفكر الاسلامي استطاع في تلك المرحلة، ان يحافظ على مواقفه، بل استطاع ان يعوض الانهيار السياسي، بالتقدم الفكري والثقافي، فكانت تلك الفترة المظلمة سياسياً، مشرقة فكرياً، حيث صدر نتاج فكري وعلمي ضخم من قبل العلماء والمفكرين المسلمين. وهي ظاهرة تستحق الدراسة والبحث.

باعتبار ان قساوة الصدمة وشراسة الغازي المحتل كان من الممكن ان تؤدي الى شلل عام في مفاصل الحياة الاسلامية بما فيها الفكر، الا ان ذلك لم يحدث بل انطلق وربما افضل من السابق.

وكان الانجاز الكثر اهمية، هو تحول المحتل المنتصر الى العقيدة الاسلامية واعلان الاسلام ديناً رسمياً في اجهزة السلطة المغولية، وهكذا حقق الاسلام نصراً حضارياً رغم كون المسلمين خسروا المعركة خسارة فادحة مدمرة.

ربما كانت هذه التجربة نادرة في التاريخ البشري، باعتبار ان المحتل يعتمد الى فرض معتقداته على البلاد المدحورة ويسلب شعوبها ارادتهم الفكرية اما ان يترك المحتل عقيدته الى عقيدة الشعب المقهور عسكرياً فهذا امر استثنائي فيه دلالة واضحة على قوة التأثير الاسلامي في مجال الفكر والعقيدة والقيم.

ان هذا التحول العقائدي كان في حقيقته إنهاء حالة الاحتلال لان السلطة المحتلة ذابت عقائدياً في البلاد التي إحتلتها، واصبحت من الناحية الفكرية العقائدية جزء من الامالاسلامية الكبرى.

وربما كانت هذه المسألة هي واحدة من الاسباب النفسية والتاريخية في عدم ظهور نزعة التحرر من المغول واعلان التمرد عليهم. ان الاحداث التي عاشها العالم الاسلامي في تلك الفترة كانت تسير في السياقات العامة السائدة آنذاك، والمتمثلة في قلق سياسي عام، حيث ظلت الصراعات السياسية على مراكز السلطة، تطبع الحياة الاسلامية.

حتى ظهرت الدولة العثمانية التي كان لها دور في توحيد الكثير من الاقاليم الاسلامية تحت سلطتها المركزية، واعادة حركة الفتوحات الاسلامية باتجاه أوروبا الشرقية. وكان لتلك التجربة دورها في اعطاء العامل السياسي بعداً فكرياً وعقائدياً، حيث كانت السياسة الخارجية الاسلامية تتحدد في ضوء المحتوى الفكري للدولة.

لكن هذا التقدم لم يستمر طويلاً اذ سرعان ان دخل العامل المذهبي في تحديد الاتجاه السياسي للدولة، وذلك من خلال الصراع العثماني - الصفوي الذي استمر طويلاً مستنزفاً قوى الدولتين.

وكان المحرك الكبير له هو الاختلاف الفكري بين الدولتين في المجال المذهبي والطائفي. وكانت النتيجة أن توقفت الفتوحات الاسلامية وضعفت القوى.

أي أن العامل الفكري لم يكن عند الطرفين من النضج بحيث يسيطر على العامل السياسي ويستوعب تعقيداته. وهذا ما يجعلنا نتذكر ما قرأناه سابقاً باهمية التوافق على قاعدة فكرية متماسكة وصلبة حتى لا يحدث الاضطراب والتخلخل عند ممارسته النشاط السياسي.

التجربة المعاصرة

مع تزايد الضعف في البلاد الاسلامية وهو ضعف شامل سيطر على الفكر والسياسة والاقتصاد اصبحت البلاد الاسلامية موضع طمع القوى الغربية وصراعاتها السياسية حيث اتفقت ضمناً فيما بينها ان احتلال اقليم اسلامي من قبل احدى الدول الاستعمارية لا بد ان يتبعه احتلال اخر لاقليم ثان من قبل دولة استعمارية اخرى وهكذا حتى لا تختل معادلة التوازن السياسي فيما بينها.

وبذلك اصبح العالم الاسلامي جزء من الموازنات الدولية الاستعمارية واتفق الغرب على انهاء الدولة العثمانية باعتبارها تمثل رمز الوجود الاسلامي فكانت الحملة شرسة ظالمة ضد البلاد الاسلامية.

لقد أستفادت الدول الاستعمارية من التجارب التاريخية لذلك عمدت في غزو العالم الاسلامي الى اعتماد منهجية شاملة تتحرك على المجالات الثقافية والسياسية والعسكرية او السيطرة السياسية فحسب انما ارادت الى جانب هذا وذاك استفراغ المحتوى الاسلامي الفكري

والمعنوي من البلاد الاسلامية وتعزيز السيطرة السياسية بغزو ثقافي مكثف بحيث تنسلخ الامة عن هويتها الفكرية وتتخلى عن انتمائها الاصيل للاسلام وبذلك تتخلص الدول الغربية من مصدر التحريك والوعي الكامن في النفوس.

لقد كانت الهجمة الفكرية والثقافية هي الاخطر التي تعرضت لها بلدان العالم الاسلامي ، حيث استطاعت الدوائر الاستعمارية ان تفرض فكرها وثقافتها على اجيال الامة وفق اساليب مدروسة ونجحت الى حد كبير بحيث ان روح التحرر التي كانت تظهر في الاقاليم الاسلامية كانت لا تخرج عن دائرة الافكار الغربية فقد استطاع الغرب ان يستبدل الشعور الاسلامي العام بالمشاعر الوطنية والقومية والعرقية المحدودة.

ونتيجة لذلك اصبحت الثقافة السائدة في المجتمعات ثقافة اجنبية وظهر الكثير من المثقفين والكتاب والمفكرين الذين يدافعون عن الغرب ويدعون الى نبذ الافكار والمناهج الاسلامية والتمسك بالتيار الغربي ولاقت تلك الدعوات رواجاً كبيراً بفضل الدعم والتوجيه من الحكومات الاقليمية حتى عاد الاسلام غريباً عن أهله وفي دياره.

لقد كانت هذه الهجمة جزء من برنامج فكري وسياسي طويل تريد الدول الاستعمارية فرضه على بلاد المسلمين انطلاقاً من حقيقة تؤمن بها مفادها ان السيطرة السياسية لا يمكن ان تكون مستقرة وطويلة الامد ما لم يرافقتها غياب الفكر الاسلامي الاصيل عن الساحة ورغم ان هذه الفترة ومنذ منتصف القرن الحالي تميزت في ظهور حركات فكرية اسلامية واسعة شخصت واقع المسلمين بدقة فمارست نشاطاتها

لمواجهة الانحراف الفكري في المجتمعات الاسلامية بقوة وحقت في
الازمنة الاخيرة انجازات ضخمة.

رغم ذلك كله الا ان اثار الغزو الثقافي لم تنته بعد وهذا ما
يستدعي مواصلة البناء الفكري والتثقيف العقائدي الواعي لبناء الامة
ورصد المتغيرات الثقافية والسياسية بدقة من اجل الاحاطة بالمخططات
المضادة وتقديم البدائل لبناء الامة حتى لا تمر عليهم محاولات
التضليل والاسقاط الثقافي.

ولعل من الوقفات المؤثرة في حركة زمن الصحوة خلال هذه الفترة
من الصراع المنهاج الرائد الذي خطط له ونفذه الامام الشهيد السيد
محمد باقر الصدر قده حيث كشف جهوده المباركة من اجل التأثير
على متجهات الحالة الفكرية السائدة في المجتمع حيث كانت له المبادرة
القوية في تحويل الفكر الاسلامي من الدفاع الى الهجوم من خلال
طرح افكاره الاصلية ومشاريعه الاسلامية الثقافية والسياسية التي
هاجم بها الطروحات الفلسفية الوضعية في الاقتصاد والاجتماع
والفلسفة والآفاق الاخر للمعرفة الانسانية إضافة الى تركيز جهوده من
أجل تقديم الإسلام كبديل حضاري بصورة حركية واعية تعالج
مشاكل الانسان والمجتمع والدولة برؤى عصرية واقعية.

فقد جعل الفكر يقف بوجه مشاريع السياسة المضادة ويسجل
الانتصار الرائع حتى استشهاده قده .

ان الذي نؤمن به ونتوقع حدوثه بوضوح ان التطور والتغير الذي
شهده العالم في علاقاته ومعادلاته الدولية سيفرز نمطاً جديداً من
التحدي لامتنا الاسلامية وان التضليل الفكري سيتخذ ابعاداً واشكالاً

متجددة تستهدف الصحوة الاسلامية والعودة بالمجتمعات الاسلامية الى مرحلة ما قبل الوعي.

ان المرحلة التي نعيشها هي صراع بين الاسلام وقوى الضلال وهو صراع خطير ومصيري لان الغرب تفرد في الساحة الدولية بعد انهيار الكتلة الشيوعية وهذا ما يجعله يخطط لعالم جديد دائم يخدم مصالحه ولا شك ان العالم الجديد لا يكتمل بناؤه على اساس العالم الاسلامي البعيد عن منابع فكره واصالته وقيمه.

لقد اكتشف الغرب نقطة القوة في الشعوب الاسلامية وتيقن ان الوعي الاسلامي الجديد بامكانه ان يتحداه ويصنع الكثير وان يواجه ابناء الامة بالاتجاهات المناهضة لكل ما هو استعماري وفي الخندق المعادي للاسلام، بل ان الوعي الاسلامي بامكانه ان يختصر مسافات الزمن فيصنع الموقف الحاسم المؤثر في الساحة.

وعلى هذا فلا بد ان يستهدف الاستعمار الغربي مصادر الوعي والنهضة وعناصر التأثير في الجسم الاسلامي فيواجهها بالقوة المناسبة من اجل محوها من الميدان حتى يمكن لبرامجه السياسية ان تجد طريقها الى التطبيق دون خطر او تهديد وحتى يستطيع الغرب ان يعود بالزمن الى ما قبل مرحلة وعي الشعوب.

ان الذي ندعو اليه في ختام هذه الدراسة الى اهمية التأكيد على البناء الفكري للامة الاسلامية باعتبار ان القوة الفكرية هي التي تستطيع ان تواجه المخططات والمحاولات المضادة وهي التي تتمكن من رسم مناهج الحاضر والمستقبل برؤى شمولية واضحة تفهم الحاضر وتقرأ المستقبل بوضوح.

﴿ وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْرِ ۗ إِن تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ ۗ وَرَجُونَ مِنْ
اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ ﴿١٠٤﴾ ﴿ النساء ﴾

ومن الله تعالى نستمد العون والقوة.

الأسلام والحكم

﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ ﴿٦٥﴾ ﴿ النساء ﴾

بين الدين والدولة

خلال العقدين الماضيين تصاعدت حدة الكلام ضد الاسلاميين في مختلف الساحات بهدف اظهارهم بمظاهر بعيدة عن الحقيقة، وكان الهجوم بشكل عام يحاول ايجاد عزلة تامة بين الدين والدولة، او بين الالتزام الاسلامي والسلوك السياسي، وكان من الطبيعي أن تستقطب هذه المسألة اهتمام المعنيين، وان تنطلق الاراء المختلفة لمعالجة أبعادها وآفاقها، لا سيما وانها تمتلك حساسية كبيرة مصدرها خطورة التطبيق العملي لهذا الاتجاه او ذلك على أرض الواقع.

وكان من الطبيعي أيضا أن تتوزع الاتجاهات على اتجاهين أساسيين؛ الأول ينسجم مع المنهج العلماني في رفض فكرة خضوع السياسة للدين ورفض مبدأ الدولة الدينية «الاسلامية» والثاني يعبر عن نظرة اسلامية واعية تدعو الى اقامة نظام اسلامي في المجتمع.

على أن من المهم الإشارة الى وجود اختلافات وتفرعات وسط كل اتجاه فلا يتفق أصحاب الاتجاه الاول على رأي موحد في قضية اقصاء الدين عن السياسة، فهناك من يرفض الحكم على أساس الشريعة الاسلامية ولا يمانع من ابقاء المظاهر الاسلامية في الدولة.

وهناك من يتطرف بشدة فينادي بعزل الاسلام كاملا عن شؤون الحياة وحصره في المساجد وحسب.

وفي مقابل هذه الاختلافات، هناك اختلافات كثيرة وسط الدائرة الاسلامية حول شكل الحكم وحدود تطبيق الشريعة الاسلامية، ومقدمات التحرك نحو اقامة الدولة، وامكانية التعايش مع السلطة غير الاسلامية، وغير ذلك من الموضوعات الحساسة.

إسلوب القمع

وفيما كانت الهجمة الثقافية تزداد حدة الاسلاميين، فان الهجمة الاخرى ونقصدها الملاحقة والارهاب، كانت تتصاعد حداثها كذلك مما يشير الى ان الاعتماد السلطوي على الاسلوب الثقافي ومنطق الحوار، يحتل مرتبة ثانوية وربما هامشية حتى وان رصدت له الامكانيات المادية الضخمة.

وهذه واحدة من أكبر المحن في بلداننا الاسلامية. اذ أن خيار العنف هو الاقرب الى الاستخدام، بل هو الخيار الجاهز على الدوام.

اننا لانشك مطلقا أن بعض الساحات الاسلامية المتهبة اليوم ما كانت لتصل الى ما هي عليه من قلق ومواجهة وتصادم مسلح لو أن الطرف السلطوي أجل استخدام العنف وفرض على نفسه بعض

الصبر في تفهم المجتمع الذي يحكمه ، وفي اقامة موازنة موضوعية بين نتائج العملية القمعية وبين نتائج عملية تفهم الاسلام على حاضر ومستقبل الدولة.

اننا لا نشك أن حالة الخوف من الحركات الاسلامية في العديد من البلدان ، هي حالة مضخمة انفعالية فقدت فيها السلطة القدرة على ضبط اعصابها بمجرد أن تحرك في داخلها احتمال فقدان الحكم. فبادرت الى الخيار الجاهز «العنف» مما دفع الاسلاميين بالضرورة الى الحفاظ على وجودهم والى الدفاع عن الاسلام باعتبار ان الهجمة الارهابية ستعمل مدياتها المستقبلية الى استهداف الاسلام حتما.

الإنفعال الثوري

كما اننا لا ننكر ان بعض الوجودات والحركات الاسلامية ، رسمت مناهجها في العمل السياسي تحت تأثير الحماس الثوري ، فتصورت أن كل العمل الاسلامي هو عبارة عن ثورة ، وان أي اسلوب آخر مرفوض ، وقد تسببت هذه الروح الثورية في حدوث أزمات في بعض الساحات الاسلامية. كان من الممكن تلافيها لو خضعت الحالة الثورية الى دراسة وتأمل أصحاب القرار.

وبشكل عام ظلت العلاقة بين الاسلاميين والحكم تفهم على أنها عنوان لمعادلة متضادة طرفها الأول المعارضة الاسلامية ، وطرفها الآخر السلطة الحاكمة.

الصراع الثقافي

غير أن هذا الفهم لا يعكس الحقيقة، فالعلاقة بين الاسلاميين والحكم لا يمكن استيعابها بصورة صحيحة، الا من خلال فهم واستيعاب المقدمة المبدئية المتمثلة بدور الاسلام في الحياة وانه نظام متكامل جاء لحكم الحياة، وتنظيم حياة الفرد والمجتمع ضمن اطار الدولة الاسلامية القائمة على اساس العقيدة والشريعة والقيم.

ان فهم هذه الحقيقة بصورة علمية واضحة وبالرجوع الى مصادر العقيدة الاسلامية المتمثلة بالقرآن الكريم والسنة المطهرة، يعطي صورة مغايرة لما يشاع في الاوساط الاعلامية والسياسية المعاصرة حيث ستعطي هذه الصورة ملامح الحالة الواقعية التي ارادها الاسلام وهي ان الاسلاميين يسيرون في الخط الشرعي الذي اراده الله سبحانه منهجا في اقامة النظام الاسلامي في المجتمع، وان الاتجاه المضاد هو الذي يريد ان يقلب الحقائق، مستندا الى نظرة منحرفة عن الاسلام والى مصالح سياسية يحتاج تثبيتها الى التصادم مع الاسلام.

وهذه هي نقطة البداية في الصراع بين حركة الاسلام وبين حركة الاتجاه المضاد.

والذي يجب أن يقال في هذا الخصوص ان الاتجاه الآخر استطاع ان ينهض بمشروع ثقافي كبير من أجل أن يثبت مرتكزاته الفكرية والاعلامية ويضع الاسلاميين في الزاوية الحرجة امام الرأي العام كمقدمة اساسية لاستهدافهم وكمحاوله تمهيدية لتحجيم دورهم على الساحة.

وقد استطاعت هذه الجهود وعلى امتداد عدة عقود من الزمن أن تصل الى نتائج ملموسة على أكثر من بلد اسلامي بحيث صار الحديث عن الاسلام يبدو وكأنه منفصل عن واقع المجتمع غريب عليه.

وإذا كانت الصحة الاسلامية المعاصرة قد استطاعت ان تغير من موازين القوة والضعف لصالح الاسلاميين وان تعيد الثقة الى العاملين للاسلام، وهذا إنجاز كبير بطبيعة الحال، فان إعادة الحقيقة الكبرى المتمثلة بحاكمية الاسلام، لم تستكمل مشروعها بعد. اذ ان أي خطوة اسلامية واعية تنطلق من أوساط المجتمع تواجه برودة فعل مدروسة أو منفصلة من الاتجاه الآخر، مما يعني أن هناك حالة متأزمة ستظل موجودة في المجتمع الاسلامي.

وان عملية الشد والتوتر ستبقى مستمرة في ظل اجواءها الحالية والقادمة. طالما ان الاتجاه المضاد للاسلام يختزن في داخله رغبة ردة فعل بشكل متحفز من دون قدرة على التسليم بالاصول والمبادئ الاسلامية وهذا ما يجعل مسألة الحكم واحدة من أبرز المشاكل حساسية واثارة في عالمنا الاسلامي المعاصر.

ونحن في هذه المرحلة الحساسة والعصيبة من تاريخنا ما زلنا نعيش معترك الصراع في مختلف المواقع والساحات، فيجب علينا مواجهة الواقع بوعي وإرادة وتسلط الاضواء على جوانب ضرورية في مسألة الاسلاميين والحكم لاعطاء معالجات وتصورات لاهم ما يتصل بها من وجهات نظر وما يتعلق بها من انعكاسات على مستوى الساحات الاسلامية.

القسم الثالث
كلمات وبيانات

(١)

كلمة الإفتتاح للمؤتمر التأسيسي الأول لاتحاد علماء المسلمين في العراق

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين.. فحمده ونستعين به ونتوكل عليه ونستغفره
ونتوب إليه.

وأفضل الصلاة وأتم التسليم على رسوله الأكرم المبعوث رحمة
للعالمين سيدنا محمد الذي أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين
كله ولو كره المشركون. وآله الهداة الطيبين الأطهار، الذين اذهب الله
عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً. وعلى صحابته الأخيار الأبرار الذين
امنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي انزل معه.

قال الله تعالى في محكم كتابه الكريم:

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ
وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مِنْ نَصْرِهِ. وَرُسُلَهُ بِالْقَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ
عَزِيزٌ ﴿٥٥﴾﴾ ﴿الحديد﴾ .

نجتمع اليوم في بغداد، عاصمة العراق والتاريخ، ومركز العلم
والفقه والآداب والحضارة، بغداد التي كانت منذ القدم قاعدة صلبة
للوحدة، والتسامح، والتعدد المذهبي والتنوع الطائفي، في الأفكار
والآراء ومدارس الاجتهاد.

نُجتمِع اليوم والعراق يمر بمرحلة عصيبة وظروف صعبة ولا بدّ للعلماء من أن يقولوا كلمتهم، ويقفوا الموقف الشرعي والتاريخي في خضم هذه المحنة القاسية، ولا بدّ لهذه الكلمة من إن تكون جامعة، قوية، واثقة، واحدة من أجل إن تضع حداً لهذه الفتنة الهوجاء التي تعصف ببلدنا العزيز، وتهلك الحرث والنسل، ولا بدّ من التآزر والتناصر والتلاحم لإيقاف نزيف الدم الذي يجري على أرض الرافدين من الجسد العراقي كله.

إن التطرف، والإرهاب، والجماعات المسلحة، والعصابات المرتزقة، التي استباحت الدماء والإعراض والأموال، قد طالت جميع شرائح وطبقات المجتمع العراقي، وكان العلماء، وذوو العقول المفكرة، والكفاءات العلمية في طليعة المستهدفين من هذه الجماعات ذات النزعة الدموية الحاقدة لتحرم الشعب من مناهل الوعي والعلم والمعرفة والتوجيه والتنمية.

فرحم الله العلماء الشهداء الأبرار الذين قدموا أنفسهم في سبيل الله، ومن أجل العراق، ووحدته، وسلامته، والحفاظ على هويته وسيادته، وأمنه، واستقراره.

إن وثيقة مكة المكرمة التي وقّع عليها علماء العراق من السنة والشيعية في شهر رمضان المبارك من العام الماضي، وباركتها المرجعيات الدينية في النجف الاشرف والأزهر الشريف، وأيدتها المؤسسات العلمية والثقافية في العالم الإسلامي، تعدُّ بحق أساساً حقيقياً، ومنهجاً عقائدياً، وشرعياً، وسياسياً مشتركاً بين أبناء الشعب العراقي الواحد.

فقد نصت هذه الوثيقة بكل صراحة ووضوح على المبدأ الذي أجمع عليه فقهاء الأمة كافة على إن المسلم: هو من شهد انه لا اله إلا الله وان محمداً رسول الله وهو بهذه الشهادة يعصم دمه وماله وعرضه وان دماء المسلمين عليهم حرام.

قال تعالى: ﴿ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَعَظِمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعْنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿١٣﴾ ﴾ النساء .

وقال النبي الأكرم ﷺ :

« كل المسلم على المسلم حرام.. دمه ، وماله ، وعرضه ». كما نصت الوثيقة على الحكم الشرعي المتفق عليه بين المذاهب الاسلامية إن لدور العبادة حرمة وهي تشمل المساجد ، والحسينيات ، وأماكن عبادة غير المسلمين ، فلا يجوز الاعتداء عليها وان الجرائم المرتكبة على الهوية المذهبية ، هي من الفساد في الأرض الذي نهى الله عنه وحرمه في قوله تعالى :

﴿ وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ ﴿٢٥﴾ ﴾

﴿ البقرة ﴾ .

ونصت كذلك على الابتعاد عن إثارة الحساسيات والفوارق العرقية والمذهبية ، وأوجبت التمسك بمبدأ الوحدة والتلاحم والتعاون على البر والتقوى.

قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾ ﴾

﴿ الحجرات ﴾ .

وتؤكد الوثيقة ان المسلمين من السنة والشيعة عون للمظلوم ويدّ على الظالم وعلى العلماء إن يذكروا الحكومة العراقية بواجبها في بسط الأمن، وحماية الشعب العراقي، وتوفير سبل الحياة الكريمة له بجميع فئاته وطوائفه، وعلى العلماء أيضاً إن يؤيدوا المبادرات وجميع الجهود الرامية إلى تحقيق المصالحة الوطنية في العراق.

وتضيف وثيقة مكة في ختام بنودها بان المسلمين السنة والشيعة يقفون صفاً واحداً للمحافظة على استقلال العراق، ووحدته، وسلامة أرضه، وتحقيق الإرادة لشعبه، ويساهمون في بناء قدراتهم العسكرية، والاقتصادية، والسياسية، ويعملون من أجل إنهاء الاحتلال، واستعادة الدور الثقافي والحضاري، العربي والإسلامي والإنساني للعراق. وانطلاقاً من هذه الوثيقة ذات الأهمية الكبيرة، فإننا نعتقد ضرورة تفعيلها والعمل على ترسيخ مضامينها الشرعية والاجتماعية في وعي العلماء وذاكرتهم، وثقافة الأمة ووجدانها، لكي تكون نهجاً أخلاقياً وتربوياً وسياسياً، ومشروعاً للتقريب والحوار الدائم في حياة المجتمع العراقي، الذي يصبو إلى إنهاء المأساة، والقضاء على الفتنة العمياء، ويتطلع إلى الأمن والاستقرار والتعايش والتآلف والمحبة.

إن هذا الجمع المبارك لعلماء العراق من الشيعة والسنة يعبر عن العراق بكل أطيافه، ومؤسساته الدينية، ومحافظاته الثمانية عشر:

فمن كردستان الجميلة، إلى بغداد العاصمة، ومن محافظة الانبار البطلة، والموصل الحدباء، وتكريت، وكركوك، وديالى إلى النجف الاشرف، و كربلاء المقدسة، والحلة، والسماوة، والكوت، والقادسية، والعمارة، والبصرة الفيحاء، والناصرية، ومن كل مدينة

أوقرية عراقية. نجمع هنا بقلوب مفعمة بالأمل والإخلاص والشعور بالمسؤولية إن نكون يداً واحدة، وموقفاً واحداً لإنهاء كل مظاهر التشرذم، والاختلاف، والجهل، والتعصب، والأحقاد، وان نعمل بجد وإصرار على إشاعة روح التعاون، والتنسيق المتواصل لإيجاد مناخات الحوار والتفاهم، وتعميق أواصر الإخاء والثقة بين العلماء المتصدين لتوجيه الأمة، وإرشاد المجتمع نحو قيم الخير والبناء والتنمية وحقوق الإنسان.

«وعلى هذا الأساس فقد تنادى بعض إخوانكم العلماء، ومن منطلق الشعور بالمسؤولية الشرعية والوطنية، وعبر اتصالات واجتماعات عدة للتداول والتشاور على ضرورة تأسيس اتحاد بين علماء المسلمين في العراق»، يجمع كلمتهم ويوحد خطابهم باتجاه توحيد الشعب العراقي، وإطفاء نار الفتنة العمياء التي تنهش وحدته وقوته، والعمل على ترسيخ روح الإخاء، والمحبة، والتسامح، والتضامن بين جميع أفرادهم، ومؤسساته الدينية، والسياسية ليكون واجهة شرعية وعلمية واجتماعية وثقافية وسياسية موحدة تعكس وحدة الشعب العراقي، وترمز إلى قوته وانسجامه، وتبعث برسالة إلى العالم كله مفادها:

إن الشعب العراقي بكل علمائه ومؤسساته الدينية وتنوعاته الطائفية والقومية، وجميع فئاته واتجاهاته الفكرية والسياسية شعب واحد، وإرادة واحدة، يرفض الفتنة والتمزق، ويتعالى على الجراح والمحنة. وان اتحاد علماء المسلمين في العراق الذي يأتي في ظل ما يحصل ويقع في العراق من تحديات داخلية ومؤامرات خارجية، وقد تجلّى ذلك في الاعتداء الإجرامي الآثم بالأمس من قبل أعداء الدين والوطن

والإنسان في تفجير القبة العسكرية المقدسة للامامين علي الهادي
والحسن العسكري عليه السلام في سامراء.

ويتمد اليوم بالاعتداء الإرهابي الحاقد على المساجد والحسينات
وعلى الحضرة القادرية التي تعد من المشاهد والمزارات الشريفة في
العراق والعالم بهدف استغلال وعي الأمة بإثارة الفتنة الطائفية،
وكذلك ما تعانيه البلاد من وطأة الاحتلال وتداعياته، فإنه يهدف إلى
تثبيت مرتكزات وحدة الأمة وتوعيتها، وبناءها ثقافياً واجتماعياً
وسياسياً، للسير على هدى سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله وأهل بيته الأطهار
وأصحابه المنتجبين الأبرار.

ويسعى هذا الاتحاد إلى تعميق دور العلماء، وأئمة الجمعة والجماعة
وتأثيرهم في اوساط الامة، ويعمل على تأصيل الوحدة الاسلامية
والتقريب بين المذاهب والمدارس الفقهية والاجتهادية، ويحترم التنوع
المذهبي، ويؤكد على تفعيل دور المساجد والحسينيات والمراكز الدينية
والثقافية وتحويلها إلى روافد معطاءة، وقنوات أمينة لإشاعة روح
الإخاء والمحبة، وترسيخ مبدأ التضامن والتعاون والتعايش المشترك بين
أبناء الشعب الواحد.

كما وان اتحاد علماء المسلمين في العراق يفتح قلبه بكل إخلاص،
ويمد يده بوعي وإرادة إلى جميع علماء العراق في الداخل والخارج،
ويوجه لهم النداء الصادق إلى الوقوف معه في تجسيد رسالته، وتحقيق
أهدافه، ودعم مواقفه ومشاريعه لخدمة العراق وأمنه في هذه المرحلة
العصيبة من تاريخه، ويحث الحكومة العراقية المنتخبة أن تأخذ بالحزم
والقوة في تطبيق خطة الأمن وسيادة القانون، ويشد على يدها من
اجل مواصلة خطواتها الجادة لانجاز مشاريع البناء والتنمية، وتحسين

الخدمات، والمضي قدماً لتحقيق مشروع المصالحة الوطنية الشاملة بين جميع الفصائل والجهات العراقية. وان هذا الاتحاد ليناشد جميع المرجعيات الدينية، والمؤسسات، والمنظمات الاسلامية، والجامعات الأكاديمية، والعلماء المتصدين لشؤون الامة في العالم الإسلامي إلى دعمه وإسناده ليتخطى العراق أزمته الخائفة ويتعافى من ضعفه ومحتنه.

وفي ختام هذه الكلمة فإننا نتقدم بالشكر والتقدير للعلماء الإعلام، وأئمة المساجد الكرام، ولجميع الجهات والمؤسسات الدينية الذين ساهموا في الحوار والإعداد لهذا المؤتمر العتيد ونخص منهم:

ممثلي المراجع العظام في النجف الاشرف وكربلاء المقدسة. وعلماء بغداد والكاظمية، وعلماء المحافظات العراقية في الوسط والجنوب. وديواني الوقفين الشيعي والسني.

ووزارة الأوقاف في إقليم كردستان. والاتحاد الإسلامي لعلماء كردستان. ومجلس علماء العراق. وجماعة علماء العراق. والأمانة العليا للإفتاء. ومؤسسة شهيد المحراب.

وغيرهم من الشخصيات والجهات الاسلامية والثقافية التي ساهمت وأيدت مشروع الاتحاد بين العلماء المسلمين في العراق.

كما نتقدم بالشكر والامتنان إلى أعضاء مجلس النواب والأجهزة الرسمية وغير الرسمية التي تفهمت مشروعنا، وأيدته، وأبدت اهتمامها الخاص بمشروع الاتحاد الإسلامي بين العلماء، وساهمت لإنجاح هذا المؤتمر المبارك، كما نشكر وسائل الإعلام ورجال الصحافة على حضورهم لتغطية وقائعه.

نسأل الله تعالى إن يعز الإسلام والمسلمين وان يدحض الاعداء
والمنافيين وان يجمع كلمتنا على الإيمان والحب والتقوى وان ينصر
العراق وأهله انه سميع مجيب.

﴿ رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴾ ﴿٥﴾ ﴿ آل عمران ﴾ .

﴿ رَبَّنَا لَا تُرِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾ ﴿٨﴾ ﴿ آل عمران ﴾ .

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الشَّمْرَةِ ﴾ ﴿ البقرة ﴾ / ١٢٦ .

١٨ جمادى ١٤٢٨

٤ حزيران ٢٠٠٧

بغداد

(٢)

كلمة المؤتمر التأسيسي لمؤسسة البلاغ والإرشاد الإسلامي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده وصلى الله على خير خلقه سيدنا ونبينا محمد وآله الطاهرين الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا، وعلى صحابته الأخيار الأبرار الذين بايعوه ونصروه ولم يخالفوه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

قال تعالى:

﴿ الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ

حَسِيبًا ﴿٣٩﴾ ﴿الأحزاب﴾

وقال تعالى:

﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَحَدِّ لَّهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ

إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴿النحل﴾

وقال تعالى:

﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ

الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٢﴾ ﴿الجمعة﴾

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

نحيي هذا الجمع المبارك من السادة العلماء الأعلام والخطباء الكرام والشباب المبلغين الواعين الذين يحملون رسالتهم، ويواصلون طريقهم الصعب دفاعاً عن العقيدة والدين، وخدمة الإنسان العراقي والوطن الحبيب.

لا يخفى على الجميع أن العراق - بلداً وشعباً - قد تعرض إلى مسخ ثقافي وإضطهاد سياسي ومؤامرات خبيثة، لسحق هويته وتشويه معالم شخصيته، وتمزيق وحدته ونسيجه الاجتماعي المتجانس منذ القدم، إبان الحقبة المظلمة التي سيطر فيها حزب البعث على مقاليد الامور في هذا البلد العزيز.

فقد كان يؤخذ بالرجل منا من داره، فيقتل أمام أطفاله، وقد تهدم عليه داره، كنا في زمن الضعف والمحنة لا نستطيع أن ندفع عن أنفسنا، ولا عن عقيدتنا الإسلامية، في تلك المرحلة التي تحول فيها العراق الرحيب إلى سجن كبير يطبق بالظلم والظلام على الشرفاء من أبنائه الواعين، وعلمائه الأفاض المبدعين، إذ خيمت محنة رهيبة الفصول وأصبح الحزن الغذاء الدائم الذي يتناوله الشعب صباح مساء، حتى تحول العراق الجميل إلى ساحة للرماد، وميدان للحروب الطائشة التي أهلكت الحرث والنسل، كما أصبحت أرض السواد مقابر جماعية تضم رفات الأخيار والأبرار من الأبرياء من أبناء الشعب العراقي بكل أطيافه وشرائحه.

وبعد طول المدة، تنفس الصبح بتباشير الأمل من خلال صمود العلماء الأبطال، وشهقات الشهداء الأبرار وصرخات اليتامى والثكالي، ودموع الأطفال والنساء، اذ تجمعت كل هذه العناصر لتحدث الهزة والتصدع في جسم النظام الدكتاتوري الظالم، وبدأت معادلة التصدع واستمرار الصمود

تزداد إستناداً إلى الأصالة الفكرية لهذا الشعب العظيم، والهوية التي تستمد قوتها من أثر العتبات المقدسة وعبق التاريخ الحضاري العريق لهذا البلد المبارك.

وفي التاسع من نيسان عام ٢٠٠٣م حدث التحول الكبير، وانفجر الغضب المقدس متزامناً مع الذكرى الثالثة والعشرين لشهادة الإمام الشهيد محمد باقر الصدر وأخته العلوية بنت الهدى، فإن الشهيد الصدر لم يمت ببضع رصاصات، ولم تندثر أفكاره وحركته تحت التراب، إنما انتفض ليقاتل من جديد، وهذا يعني أن الشهيد العملاق يقاتل حتى بعد استشهاده.

أجل.. فقد قطعنا شوطاً مهماً من معركة التغيير، وهي سقوط الصنم واختفاء معالم تأثيره البوليسي المباشر، ولكن المعركة لم تنته بعد، إذ ما زالت مخلفات النظام ورواسب حزب البعث تعيق طريق البناء، والتنمية، وسيادة القانون. وعلينا أن نواصل مشوار المعركة والتغيير في كل مواقع الصراع والمواجهة، من أجل أن نحقق الأهداف المقدسة التي أستشهد من أجلها العلماء والشباب الرساليون، وعلينا أن نسعى جاهدين للعمل وفق خطط زمنية مبرمجة، وأن نعشق الشعور بالمسؤولية لدى الشباب المفتحين بالوعي والإيمان، والعاملين في مجالات الإرشاد والتبليغ وفق لغة العصر ومتطلبات المرحلة.

مسألة التبليغ والإرشاد لم تكن مسألة هامشية في معركة التاريخ والتغيير، إنما هي مسألة تقع في الصميم من برامج العمل الثقافي والسياسي والاجتماعي.

وإذا كانت طريقتنا في التبليغ والإرشاد في العهد السابق تسير بطريقة فردية متواضعة، محكومة بظروف معقدة، وضيقة، فإنه لا عذر لنا اليوم إلا بأن

ننطلق في فضاءات التبليغ الواسعة التي فتحت أمام حركتنا، فعلينا أن نشد العزم في مواصلة التبليغ بمختلف الوسائل والأساليب المتاحة، وأن يكون هذا التبليغ ضمن مؤسسات حديثة تهتم باكتشاف الطاقات وتعبئة الجهود ورسم الخطط والبرامج الثقافية وإنشاء المراكز والمؤسسات التي من شأنها توظيف كل الجهود والطاقات وتدفعها باتجاه تحقيق هدف مركزي واحد هو خدمة الرسالة وحماية الإنسان المسلم في العراق من التمزق والضياع والانحراف.

ولأهمية وموقع العلماء في الأمة، ومكانتهم في التأثير على مستوى الحياة العامة في المجتمع، كان من اللازم علينا إنشاء وإيجاد مؤسسة خاصة للعلماء والمبلغين، وإعدادهم للقيام بمهمتهم الرسالية ذات الآفاق الرحبة، والأبعاد المتعددة.

وعلى هذا الأساس ومن هذا المنطلق فقد تنادى بعض الأخوة العلماء المتصددين للشأن التبليغي، والمتحسين لحاجة الساحة إلى مؤسسات هادفة، تسعى إلى تجميع الطاقات، وتكثيف الجهود من أجل إثارة الشعور بالمسؤولية وضرورة التعاون والتضامن للقيام بهذه المهمة المباركة.

وهكذا فقد عقدنا العزم والتصميم على تأسيس مؤسسة البلاغ والإرشاد الإسلامي وهي مؤسسة رسالية هادفة تعنى بإعداد العلماء والمبلغين والدعاة والخطباء، والإهتمام بشؤونهم وتوجيه طاقاتهم وامكاناتهم لتحقيق أهداف الإسلام نحو بناء الأمة وتنقيتها وتوعيتها وفق منهج مدرسة أهل البيت عليهم السلام، كما أن هذه المؤسسة تسعى لدعم سيادة القانون، ومؤسسات الدولة وتدافع عن منجزات وبرامج حكومة الوحدة الوطنية المنتخبة، وتقف بوجه المحاولات الخبيثة التي تحاول إفشال العملية السياسية، وعرقلة عجلة التنمية والتقدم في هذه المرحلة العصبية من تاريخ العراق.

ولا شك أننا سوف نستفيد من كل التجارب السابقة في هذا الشأن، سواء أكانت في فترة الهجرة، أو بعدها، فقد كان لعلمائنا المتصدين المخلصين دور متميز وكبير في إنشاء المؤسسات والمعاهد التبليغية، والإهتمام بإعداد الخطباء الذين يشكلون حلقة الوصل بين الأمة والمرجعية الرشيدة القائدة، فإننا لا نبدأ من الصفر بل نستند في هذا المشروع التبليغي إلى تراثنا القريب في هذا المجال، والإفادة من التجارب السابقة التي سبقتنا في هذا المضمار.

وعلى هذا فإننا نستطيع أن نوجز أهم الاهداف والمرتكزات لعمل هذه المؤسسة بالنقاط الآتية:

- ١ - جرد الطاقات العلمائية والتبليغية في الساحة وتعبئتها باتجاه الأهداف الكبيرة، من خلال هذه المؤسسة المباركة.
- ٢ - استقطاب العناصر العلمائية المتعاطفة مع هذه المؤسسة، والمتفاعلة مع أفكارها وتوجهاتها والعمل من أجل تحقيق الأهداف المشتركة.
- ٣ - تسعى المؤسسة إلى تنمية وتطوير قدرات العلماء، والمبلغين وطلبة العلوم الدينية من خلال إقامة الدورات الثقافية والمؤتمرات العلمية وفتح المعاهد والحوزات لهذا الغرض.
- ٤ - رسم خارطة إجتماعية في الساحة العراقية لتوزيع العلماء والمبلغين على المناطق بالشكل المناسب، وتشكيل اللجان الإجتماعية والإعلامية من المؤمنين والشباب المثقفين، للإستعانة بهم لدعم نشاطات العلماء وتحقيق أهداف المؤسسة.
- ٥ - العمل على خلق أجواء ثقافية وإجتماعية في الأمة من خلال إستثمار المناسبات الإسلامية بإقامة الحفلات والمهرجانات والمعارض والمسرحيات ونشر الكتب والكراسات والأشرطة والأقراص الليزرية في مختلف الأوساط والمستويات.

٦ - العمل بجدية على إحياء وإنشاء المساجد والحسينيات في بغداد والمحافظات لتكون مواقع إجتماعية وإعلامية لصلاة الجمعة والجماعة، وإحياء المجالس الحسينية، والمواسم التبليغية، خصوصاً في شهري محرم الحرام ورمضان المبارك، ومن ثمة لتكون منطلقاً لتعبئة الأمة من خلال برامج المؤسسة وتوجيه الجماهير العراقية نحو تحقيق إرادتها الحقّة، والمطالبة بالحقوق والخدمات.

إننا نعتقد إن مهمة التبليغ في هذا الزمن أصبحت مهمة صعبة تحتاج إلى إستعداد نفسي وتهيئة مجموعة أدوات تشكل عدة الخطيب وسلاح العالم المبلغ لدينه وأمه، فالعمل التبليغي لم يكن شأنًا شخصياً ولا تشريفاً، إنما هو مهمة ربانية ووظيفة رسالية تعبر عن عمق العلاقة مع الأنبياء وأمتداد هذه العلاقة في حياة الأئمة الأطهار عليهم السلام وسيرة مراجع الدين المصلحين والعلماء المبدعين من رواد الوعي وقادة الإسلام.

ومن هنا فإن المبلغ للإسلام، والمرشد الديني، والخطيب الرسالي ينبغي أن تتوفر فيه العناصر الآتية:

- ١ - أن يمتلك ثقافة لغوية وأدبية واسعة باعتبار أن اللغة العربية هي لغة القرآن الكريم، ومفتاح لفهم العقيدة والتراث، والحديث الشريف، وأن يحسن أداء مهمته بأسلوب واضح يفهمه الناس بعيداً عن اللغة العامية الركيكة، أو التشديق بالألفاظ المعقدة.
- ٢ - أن يكون المبلغ مطلعاً بشكل جيد على أحداث التاريخ الإسلامي، وأن يكون دقيقاً في تحليلها وطريقة عرضها على الناس.
- ٣ - أن يكون حاضراً في عصره، فلا تهجم عليه اللواسب، ولا يضيع في متاهات الأفكار والمفاهيم، وأن لا ينخدع بالمشاريع الباطلة والشخصيات المزيفة، كما أنه يجب أن يكون ملماً بمرتكزات

العقيدة الأساسية حسب المنهج الإستدلالي ، والثقافة الإسلامية ،
وعارفاً بمصادرها ومنابعها الأصيلة ، ومحيطاً بالأحكام الشرعية
وفروع مسائل الفقه والمفاهيم الإسلامية العامة.

٤ - أن يتمتع المبلغ بحسن التعامل الأخلاقي مع جميع طبقات وشرائح
المجتمع ، وأن يمتلك القدرة على تحمل مشاكل العمل بروح
موضوعية شفافة فإن سعة الصدر آلة الرئاسة.

٥ - أن يمتاز المبلغ الإسلامي بالصبر والتأني والحكمة ، في أداء رسالته
وتحقيق مشاريعه ، وعدم التعجل في رسم الخطط الفاشلة أو
الإرتجال في المواقف والقضايا المطروحة في الساحة.

٦ - أن يتسم المبلغ والخطيب بالروح الموضوعية وتجاوز الذات وتقبل
النقد والرأي الآخر ، وأن يتعامل مع الأشياء والناس بالصدق
والصراحة والوضوح.

٧ - أن يكون للمبلغ عقل مدبر قادر على التخطيط الإستراتيجي
ورسم ملامح المشاريع التبليغية ، وفق خطة زمنية بعيداً عن
العشوائية ، أو العمل من وحي المزاج والعواطف الرغبات
الشخصية الساذجة.

هذه أهم العوامل والمرتكزات التي تساهم في إنجاح مهمة الخطيب
الإسلامي والمبلغ الرسالي الهادف الذي تتوجه إليه الانظار باستمرار ، وهو
يعرض عقله وفكره على المثات من مستمعيه ، وقد قيل في السابق : « أن
الخطيب هو الذي يعرف مستمعيه » .

وفي الختام ندعو الله تعالى أن يجعل هذه المؤسسة المباركة حافلة بالبرامج
والنشاطات والعمل والمعطيات ، من أجل خدمة الإسلام والعقيدة ، ونصرة
الشعب العراقي بجميع فئاته ومكوناته الثقافية والإجتماعية والسياسية.

كما ندعو الله تعالى أن ينصر العراق وشعبه ، وأن يجعل هذا البلد آمناً وأن
يرزق أهله من الثمرات. إنه سميع مجيب وهو حسبنا ونعم الوكيل.

والحمد لله رب العالمين.

النجف الأشرف

شعبان ١٤٢٩ هـ - آب ٢٠٠٩ م

(٣)

مفهوم الأخوة في الإسلام

كلمة في الندوة المشتركة بين جامعة الامام جعفر الصادق عليه السلام والجامعة الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين .. وأفضل الصلاة وأتم التسليم على رسوله
الأكرم سيدنا محمد وآله الهداة الطيبين الطاهرين وصحبه الكرام
الميامين.

قال الله تعالى :

﴿ وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ
قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا ﴾ (١٣) ﴿ آل عمران ﴾ .

نجتمع اليوم في ظلال آية من آيات الله : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ هذه
الآية التي تجاوزت كل حواجز القوميات والعصبيات ، وربطت
المؤمنين بوشائج الإخاء والتوحيد والوحدة ، وجمعت بين سلمان
الفارسي ، وأبي ذر الغفاري ، وصهيب الرومي ، وبلال الحبشي ،
وعمار بن ياسر ، وعبد الله بن مسعود ، وبين أبي بكر وعمر وأمير
المؤمنين علي عليه السلام . نجتمع اليوم في رحاب جامعتين كبيرتين في العراق
الجديد هما الجامعة الإسلامية وجامعة الإمام جعفر الصادق عليه السلام التي
كانت حلما فأصبحت بفضل الله والمخلصين حقيقة كبيرة. نجتمع في

بغداد عاصمة العراق والتأريخ، ومركز العلم والفقهِ والآداب والحضارة، بغداد التي كانت منذ القدم قاعدة صلبة للمعارف والتسامح والتعدد المذهبي والتنوع الثقافي في الافكار والآراء ومدارس الاجتهاد.

نجتمع اليوم والعراق يمر بمرحلة عصيبة وظروف صعبة، ولا بد للعلماء ورواد الثقافة واساتذة الجامعات من أن يقولوا كلمتهم، ويقفوا الموقف الشرعي والتاريخي في خضم هذه المحنة القاسية، ولا بد لهذه الكلمة من أن تكون جامعة قوية واثقة، توحد الصف وتلم الشمل وتجمع الشتات، من أجل أن تضع حداً لهذه الفتنة الهوجاء التي تعصف ببلدنا العزيز، وتكاد ان تهلك الحرث والنسل.

إن التطرف والإرهاب، والجماعات التكفيرية، والعصابات المرتزقة التي استباحت الدماء والاعراض والاموال قد طالت جميع شرائح طبقات المجتمع العراقي، وكان العلماء، وذوو العقول المفكرة، والكفاءات العلمية واساتذة الجامعات في طليعة المستهدفين من هذه الجماعات ذات النزعة الدموية الحاقدة لتحرم الشعب من مناهل العلم والوعي والمعرفة والتوجيه والتنمية.

إن وثيقة مكة المكرمة التي وقّع عليها علماء العراق من السنة والشيعنة في شهر رمضان المبارك من عام ١٤٢٧هـ في حزيران ٢٠٠٧م، وباركتها المرجعيات الدينية في النجف الاشرف والأزهر الشريف، وأيدتها المؤسسات العلمية والثقافية في العالم الإسلامي، تعدُّ بحق أساساً حقيقياً، ومنهجاً عقائدياً، وشرعياً، وسياسياً مشتركاً بين أبناء الشعب العراقي الواحد. فقد نصت هذه الوثيقة بكل صراحة ووضوح على المبدأ الذي أجمع عليه فقهاء الأمة كافة على إن

المسلم: هو من شهد انه لا اله الا الله وان محمداً رسول الله وهو بهذه الشهادة يعصم دمه وماله وعرضه وان دماء المسلمين عليهم حرام.

كما نصت الوثيقة على الحكم الشرعي المتفق عليه بين جميع المذاهب الاسلامية إن لدور العبادة حرمة وهي تشمل المساجد، والحسينيات، وأماكن عبادة غير المسلمين، فلا يجوز الاعتداء عليها وان الجرائم المرتكبة على الهوية المذهبية، هي من الفساد في الأرض.

ونصت كذلك هذه الوثيقة الشريفة على الابتعاد عن إثارة الحساسيات والفوارق العرقية والمذهبية، وأوجبت التمسك بمبدأ الوحدة والتلاحم والتعاون على البر والتقوى.

وانطلاقاً من هذه الوثيقة ذات الأهمية الكبيرة، فإننا نعتقد ضرورة تفعيلها والعمل على ترسيخ مضامينها الشرعية والاجتماعية في وعي العلماء وذاكرتهم، وثقافة الأمة ووجدانها، لكي تكون نهجاً أخلاقياً وتربوياً وسياسياً، ومشروعاً يدخل في مناهج الدراسة والثقافة العامة للتقريب والحوار الدائم في حياة المجتمع العراقي، الذي يصبو إلى إنهاء المأساة، والقضاء على الفتنة العمياء، ويتطلع إلى الأمن والاستقرار والتعايش والتآلف والمحبة.

إن هذا المؤتمر المبارك الذي تقيمه الجامعة الإسلامية وجامعة الإمام جعفر الصادق عليه السلام لهو خطوة قوية مباركة راسخة لتعميق أواصر الإخاء والمحبة والتعاون، وإعطاء رسالة لكل أولئك الذين يتصيدون بالماء العكر ويحاولون أن يزرعوا بذور الفتنة ويخططون في غرف الظلام بعيداً عن أضواء الشمس التي تكشف زيفهم وأحقادهم.

وهذه المبادرة الطيبة بين الجامعتين لم تكن قفزة في الفراغ أو حركة لا تستند إلى أصل شرعي أو جذور تاريخية إنما ترتبط هذه الخطوة بكل الجهود التاريخية لمساعي الأئمة الاطهار وتلامذتهم الابرار والعلماء المصلحين والرواد الواعين على صعيد الوحدة والتقريب والإخاء وردم الفجوة بين المسلمين، مستلهمين مقولة الإمام علي أمير المؤمنين (عليه السلام) «لأسلمن ما سلمت أمور المسلمين ولم يكن بها جور إلا علي خاصة».

إن مساعي التقريب والوحدة بدأها علماؤنا الأعلام قبل أكثر من مئة عام منذ جمال الدين الأفغاني، ومحمد عبدة، ورشيد رضا، وعبد الرحمن الكواكبي، والشيخ القمي، والشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء، والسيد عبد الحسين شرف الدين، والشيخ سليم البشري، والشيخ محمود شلتوت، والسيد محسن الأمين، والشيخ الباقوري، والسيد محسن الحكيم، والإمام الخميني، والإمام الشهيد السيد محمد باقر الصدر، والشيخ محمد مهدي شمس الدين، والسيد محمد حسين فضل الله، وشهيد المحراب السيد محمد باقر الحكيم، وصولاً إلى السيد السيستاني الذي وقف بكل صلابة من أجل الحفاظ على وحدة الأمة ومواجهة مؤامرات التمزيق والفرقة في العراق الجديد.

إننا في هذه اللحظة الحساسة من تاريخ العراق نشد على أيدي كل المخلصين الذين يسعون بوعي وإرادة لتوحيد الأمة والقضاء على كل الفجوات والثغرات التي تتسلل من خلالها اصابع الأعداء.

كما نحى الجامعة الإسلامية متمثلة برئاستها وكادرها التدريسي والوظيفي على هذه الخطوة الطيبة ونسأل الله تعالى أن يجعلها باكورة

لخطوات أخرى ، ومشروعاً للبناء والإخاء والوحدة والتقريب.. إنه مولانا ونعم النصير.

﴿رَبَّنَا ءَامَنَّا بِمَا أُنزِلَتْ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ ﴿آل عمران﴾

والحمد لله رب العالمين.

(٤)

دورة البشائر

كلمة في احتفال لتخرج الدفعة الأولى من طلبة جامعة الامام جعفر الصادق عليه السلام

٢٠٠٧ - ٢٠٠٨

الحمد لله على ما انعم وله الشكر على ما ألهم ، وافضل الصلاة
وأتم السلام على خير الخلق سيدنا محمد ﷺ ، واله الطيبين الطاهرين
وعلى صحابته الراضين المرضيين أما بعد :

قال تعالى: ﴿ أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ
بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾ ﴾ العلق ﴿٤﴾ .

مع اطلالة شهر رمضان المبارك ، شهر الخير واليمن والبركة
والرحمة. تحتفي جامعة الامام جعفر الصادق عليه السلام بتخرج الدفعة الاولى
من طلبتها الاعزاء ، الذين كان لهم شرف المعاشة لمسيرة هذه الجامعة
المباركة وواكبوا الخطوات الاولى لولادتها ونشاطاتها وسط الصعوبات
والتحديات.

تعد جامعة الامام جعفر الصادق عليه السلام واحدة من اكبر الجامعات
الأهلية في العراق الجديد، حيث تأسست عام ٢٠٠٤م - ٢٠٠٥م في
العاصمة بغداد ولها فروع في محافظتي النجف الاشرف وميسان وتضم
حوالي « ٤٠٠٠ » طالبا وطالبة.

وهي صرح علمي ومعرفي يسعى الى ايجاد جيل من الكادر الوظيفي المخلص الذي يساهم في بناء البلد وادارة شؤونه وقضاياه الثقافية والاجتماعية والسياسية.

وهي مركز للتقريب بين الأفكار والاتجاهات والمدارس الادبية والفقهية، وطريق الى نشر الوعي، واشاعة ثقافة التسامح والانسجام بين مكونات المجتمع العراقي المتنوع.

حيث تتوافر مناهجها الدراسية، على مفردات علمية، ودراسات مقارنة ومناخات رحبة من شأنها تحقيق ذلك على أرض الواقع.

الامر الذي يرفع مستوى الوعي الثقافي في الشخصية العراقية، ويحصنها من الاختراق الفكري الذي يهدد أمنها الثقافي والاجتماعي والسياسي.

ان هذه الجامعة الواعدة، وما تحملهُ من اسم عظيم مبارك، كانت حلمًا بعيداً يراود الكثير من المفكرين والمصلحين من رجالات هذا البلد الطيب، ولكن هذا الحلم أصبح بحمد الله حقيقة شاخصة بعد التحول التاريخي والتغيير السياسي الذي حصل في العراق عام ٢٠٠٣م، وبالرغم ما لقيت هذه الجامعة من جفاء وعنت وتشويه واعتراضات من أولئك الذين لا يروق لهم وجود هذه الجامعة التي تذكّر بالاصالة والتجديد والعمق والمعاصرة، الا انها كانت تلقى التعاطف الصادق والدعم المخلص من شخصيات كثيرة ومختلفة من ذوي الوعي والمعرفة في مؤسسات الدولة وخارجها وعلى الخصوص دعم ورعاية المرجعية الدينية، والعلماء الواعين في الداخل والخارج. كما انها كانت تلقى الترحيب الواسع من قبل المثقفين والباحثين

وقطاعات الامة ، الواسعة التي أدركت أهمية هذه الجامعة ورسالتها الثقافية والمعرفية في العراق.

لقد بات واضحاً ان التعليم الاكاديمي في مختلف صنوفه ومناهجه ومجالاته ، أخذ يتجه نحو التعليم الاهلي المستقل ، ويسير وفق اللامركزية في البلدان المتطورة ، ذلك لأنَّ المركزية الصارمة في مجالات التعليم العالي تحجّم مبدأ التنافس العلمي الخلاق ، وقد تعطلّ عملية اكتشاف الطاقات والمواهب لدى الطلبة. في حين ان التعليم الاهلي قد أثبت نجاحه وواقعيته في اكثر بلدان العالم المتقدمة ، ذلك لأنه يفتح الأفاق ويستقطب الكفاءات والطاقات ويدفع الطلبة الى تحقيق تطلعاتهم وطموحاتهم في الاختصاصات العلمية والادبية التي يرومون الوصول اليها.

ولا نعني من هذا الكلام التقليل من دور وأهمية التعليم المركزي في البلد ، وإنما الحديث عن البدائل التعليمية الاخرى ، والفرص والافاق التي تقدّمها الى طلاب العلم والمعرفة.

لم يكن مشروع تأسيس جامعة الامام جعفر الصادق عليه السلام مطلباً لفرد أو لجهة خاصة إنما هو مشروع أمة واستجابة لمرحلة ، والجامعة مؤسسة علمية ومعرفية خالصة ، تهدف الى خدمة الانسان والوطن ، بعيداً عن الميول والتوجهات والانتماءات الضيقة. وهي تعمل على تعميق الوعي والمعرفة ، وتوثيق الروابط الاسلامية ، والأواصر الاجتماعية مع جميع اطراف المجتمع العراقي الكريم ، وإزالة مظاهر ترسّبات الحقبة المظلمة للنظام السابق ، وتنمية القيم الاخلاقية والانسانية وتركيز روح المسؤولية لدى الانسان العراقي وهو يتطلع الى الافق الجديد. من هنا ، نعاهد الامام عليه السلام السادس من أئمة أهل البيت عليهم السلام الامام جعفر

الصادق عليه السلام على مواصلة الدرب والسير قدماً في إنجاز الاهداف العلمية والانسانية التي قادها في الامة وبذل مهجته الشريفة من أجل تحقيقها في حياة الناس والتاريخ.

وفي الختام: نهنيء انفسنا اولاً بهذا المنجز العلمي والثقافي، ونبارك لطلبتنا الاعزاء وذويهم بهذا النجاح والتقدم، الذي أقرَّ العيون وأدخل على المهج الفرحة والسرور، وأزال عنا محن الايام العجاف، وهي تستحق ذلك، وكلنا أمل في ترقب نجاحات أخرى لطلبتنا الاعزاء نحو مستقبل واعد وهم يواصلون طريقهم الصعب وسط الصخور والمعاناة، كما نوصيهم على التحلي بالمسؤولية والصدق والاخلاص في حمل وتجسيد رسالة وأهداف هذه الجامعة، لانهم ثمرة كيان يرفع اشرف الاسماء في ميادين العلم والعطاء.

وأن القسم الذي سوف يؤدونه، ليس مجرد كلمات ترددها الشفاه، او ألفاظ ليست لها معاني او دلالات، وانما هو عهد وتكليف ومسؤولية وأمانة أخلاقية وأدبية أزاء القيم الخيرة والمبادئ المقدسة.

ولا يفوتني في ختام هذه الكلمة أن أتقدم بجزيل الشكر والامتنان الى اساتذة جامعة الامام جعفر الصادق عليه السلام وكادرها الاداري الذين عملوا جاهدين في خدمة هذه المؤسسة العلمية والرسالية.

والى كل الضيوف الافاضل الذين تحملوا عناء الحضور والمشاركة في هذه المناسبة العزيزة.

(٥)

بيان حول الشعائر الحسينية والأفتراءات الظالمة ﴿٥﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ فَأَمَّا الزُّبَدُ بَدَدٌ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُتُ فِي الْأَرْضِ ﴾ ﴿الرعد ١٧/١٧﴾

السلام عليك يا أبا عبد الله السلام عليك يا ابن رسول الله السلام عليك وعلى الأرواح التي حلت بفنائك وأناحت برحلك، عليك مني سلام الله أبدا ما بقيت وبقي الليل والنهار.

لقد كانت ثورة الإمام الحسين عليه السلام صرخة مدوية ضد الظلم والظغيان على طول التاريخ، حيث انطلقت لانقاذ الامة وإصلاح أوضاعها، السياسية والاجتماعية والاخلاقية، وحماية الدين والمبادئ الإسلامية والقيم الانسانية الخيرة من التحريف والتشويه على مدى الزمن. وكان ثمن هذه الصرخة والنهضة الخالدة فاجعة الطف الأليمة وما قدمه أبو الأحرار وسيد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام من تضحيات جسام ودماء زكية سالت على مذبح العقيدة والفداء لتظل منارا ينير لنا

﴿٥﴾ جاء هذا البيان على خلفية محاضرة ألقاها السيد الشامي في الديوان الثقافي العراقي -لندن- عام ١٤٣١هـ حول إصلاح الشعائر وضرورة تجديدها والاستفادة من معطياتها العظيمة، وما أعقب ذلك من ردود أفعال وسوء إستغلال مقصود من قبل أشخاص معروفين بالتطرف وعدم التوازن الثقافي والإجتماعي، إذ يتصفون بالمكابرة والتلاعب بالألفاظ، ثم توسعت تلك المحاضرة وصدرت على شكل كتاب بعنوان : مقدمة في الإصلاح والتجديد للشعائر الحسينية والكتاب يعد بحق وثيقة تاريخية وشرعية مهمة في هذا الموضوع.

طريق الحرية والكرامة ، ومنبعاً يمدنا بالقوة والصبر والإرادة لمواجهة التحديات والفساد في كل المواقع والساحات.

وقد اهتم الائمة الأطهار من أهل البيت عليهم السلام بهذه الثورة أيما اهتمام وعبئوا الأمة لآحياء مبادئها الحقّة وقيمها الرسالية العظيمة حيث ورد عنهم عليهم السلام انهم قالوا « أحيوا أمرنا رحم الله من أحيأ أمرنا ».

ولاشك ان الشعائر الحسينية تعدّ التعبير الطبيعي لآحياء هذا الأمر وتجسيده على أرض الواقع من خلال الدروس التي تتعلمها من الإمام الحسين عليه السلام الذي رسم طريق الإصلاح والتغيير في قوله الخالدة :

« ما خرجت أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً إنما خرجت لطلب الإصلاح في إمة جدي ».

وقوله عليه السلام : « الاترون الى الحق لا يعمل به والباطل لا يتناهى عنه » .

الى غير ذلك من كلمات الامام الحسين عليه السلام وبياناته الحقّة التي تمثل مرتكزات الإسلام الاصيله ومبادئ الثورة الحسينية الحقيقية.

أيها المثقفون الغيارى :

ان آحياء الأمر الذي دعا اليه الائمة الهداة عليهم السلام وشيعتهم وسار على نهجه العلماء الأعلام والمراجع العظام يتمثل في آحياء الشعائر الحسينية والالتزام بها باعتبارها عملاً عبادياً نتقرب به الى الله سبحانه وطريقاً لتخليد هذه الثورة في ذاكرة الامة وضمير الانسانية.

ومن أصدق مصاديق هذه الشعائر الحسينية المقدسة زيارة الإمام الحسين عليه السلام بمختلف صورها وأشكالها، وإقامة المجالس العامة والمؤتمرات والمسيرات الحاشدة.

وإنشاد الشعر الرثائي والبكاء واللطم وإطعام الطعام، و«ركظة طوريج» وإظهار الحزن بلبس السواد، وكل ما من شأنه أن يعمق هذه الذكرى في نفوس المسلمين وغيرهم ولا يؤدي الى إضرار النفس وتعريض الدين والمذهب والثورة الحسينية الى الوهن والتشويه في أنظار العالم ك ممارسة جرح رؤوس النساء والعبور على النار كما يحدث مع الأسف في بعض البلدان.

ولا شك انها ممارسات يمنعها الشرع الشريف وتحرمها فتاوى العلماء الاعلام، خصوصاً ونحن نعيش في عالم يشهد صراعاً عنيفاً في قضايا الفكر والقيم والثقافة ويخوض معارك السياسة والاقتصاد والإعلام في مختلف مواقع الصراع والمواجهة.

يا أبناء الإسلام وشباب مدرسة أهل البيت عليهم السلام في كل مكان ويا أبناء علي والحسين عليهما السلام في العراق:

علينا ان نحى ثورة الإمام الحسين عليه السلام في نفوسنا وكما يريدنا الإسلام وان نتعلم منها الدروس والعبر وان نتبع أئمتنا الاطهار ومراجعنا العظام وعلماءنا المصلحين الافذاذ في توجيهاتهم الرشيدة.

ونحذر كل الحذر من الاعداء والاعلام المضاد الذي يحاول ان يعطي صورة مشوهة عن شيعة أهل البيت عليهم السلام في احيائهم لهذه الذكرى المباركة كما نحذر من العناصر المزيفة التي تتصيد بالماء العكر، وتدعي تمثيل الحوزة العلمية في النجف الأشرف زوراً،

وتحاول ان تستغل ذكرى عاشوراء لمصالحها الذاتية وتوظف هذه الشعائر المقدسة لدعاية انتخابية رخيصة أو كسب سياسي هنا وهناك ولكن هذه الأصوات المبحوحة لا يمكن ان تنظلي على وعي شعبنا الذي يدرك هذه المحاولات البائسة ، ولا تخفى عليه أهدافها وغاياتها.

السلام على الحسين وعلى علي بن الحسين وعلى أولاد الحسين وعلى اصحاب الحسين الذين بذلوا مهجهم دون الحسين ورحمة الله وبركاته.

مكتب
سماحة السيد حسين بركة الشامي
محرم الحرام ١٤٣٠ هـ
في بغداد

(٦)

بيان حول ما أثاره البعض من شبهات حول جامعة الامام جعفر الصادق عليه السلام

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى: ﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوَاءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا﴾ (١٢٨)

﴿النساء﴾

هاجم البعض جامعة الإمام جعفر الصادق عليه السلام بطريقة بعيدة عن اللياقات المتعارفة، حيث شوه الحقائق، وساق التهم مدفوعاً بخصومات سياسية، انطلق فيها من معلومات خاطئة، وأغراض معروفة في هذه الأجواء المعقدة والحساسة التي تخيم على المشهد السياسي في العراق.

لم أكن لأدخل في سجلات الرد والتوضيح لو كانت القضية شخصية، لكن الإتهامات نالت من مشروع اسلامي وطني، يخدم المحرومين من ابناء العراق بالدرجة الأولى، وهذا ما جعلني أبين الحقائق في النقاط التالية:

أولاً: لقد تم تأسيس جامعة الإمام جعفر الصادق عليه السلام عام «٢٠٠٤» وذلك ضمن منهجية بعيدة المدى، تهدف الى توفير فرصة التعليم العالي لأبناء العراق الذين حالت الظروف دون حصولهم على الفرصة المناسبة، ووضعت في برنامجها الإرتقاء بالواقع التعليمي

والتخصصي لأبناء العوائل الفقيرة والمضطهدة خلال حكم النظام السابق، ليساهموا في بناء العراق الجديد، ويأخذوا دورهم في مجالاته المتعددة، لا سيما وأن الكثير من الجهود تنصب بالاتجاهات السياسية بعيداً عن الإهتمام بالجانب الأكاديمي والتربوي.

ثانياً: إن جامعة الإمام جعفر الصادق، ليست مشروعاً شخصياً ولا فئوياً، بل هي مشروع ثقافي خيري غير ربحي، حيث يرتبط بمؤسسة خيرية إسلامية عالمية لها مجلس أمناء من شخصيات معروفة، والمؤسسة وقف شرعي لا يباع ولا يورث، وتجري عليها أحكام الوقف المعروفة في فقه مدرسة أهل البيت عليهم السلام.

ثالثاً: إن جامعة الامام جعفر الصادق تم شراؤها بحسب القوانين المتبعة في الدولة، وطبقاً للإجراءات الرسمية، ومرت بسياقاتها القانونية والرسمية من كافة الجهات المعنية في البيع والشراء، من أول خطوة وحتى النهاية. وإدارة الجامعة مستعدة لتقديم كافة الوثائق والمستمسكات الرسمية أمام أي جهة مختصة بمتابعة هذا الموضوع.

إن سعر الشراء جرى طبقاً لتقديرات المسؤولين المختصين والخبراء المعتمدين من قبل الجهات الرسمية، حيث تم تقدير المتر المربع الواحد بسعر «مائة ألف دينار عراقي»، وكان سعر الشراء النهائي هو ما يقرب من ملياري دينار عراقي. وجرى تسجيلها رسمياً في دائرة التسجيل العقاري وفق الأصول والقوانين المتبعة، فليست هناك أية مخالفة قانونية في التثمين والتسجيل العقاري وطريقة البيع على الإطلاق.

رابعاً: تقوم جامعة الإمام الصادق على أساس خدمة الشباب العراقي، وتوفير فرص التعليم العالي للطبقات المحرومة والفقيرة، فهناك المئات من طلبتها تم قبولهم مجاناً أو بأجور مخفضة جداً، مراعاة لحالتهم المعاشية، وتلتزم الجامعة بهذا المبدأ لتوفير فرص التعليم العالي لأبناء العراق الذين مرّوا ويمرون بظروف صعبة.

خامساً: تضم الجامعة أكثر من سبعة آلاف طالباً وطالبة، يتوزعون على مقرها الرئيسي في بغداد وفروعها في محافظة صلاح الدين، وديالى، وميسان، والمثنى وذي قار، والنجف الأشرف، ومعظمهم من الطبقات الفقيرة المحرومة، حيث تحول ظروفهم المعاشية والاجتماعية من مواصلة دراساتهم، فكانت الجامعة هي الفرصة المفتوحة امامهم، مع التأكيد أن طلبتها يمثلون الطيف العراقي المتنوع، من شيعة وسنة ومسيحين وصابئة مندائيين.

سادساً: حصلت الجامعة على شهادات تقدير من مؤسسات وجهات وجامعات عالمية معروفة، ولها علاقاتها الواسعة مع المنظمات التعليمية الدولية، وهذا ما يعزز مكانتها ومكانة التعليم العالي العراقي في الأوساط العلمية والأكاديمية العالمية.

وكان المؤمل من الجهات البرلمانية التي تدعي الحرص على المصلحة العامة ان تساند هذه المشاريع، وأن تقف الى جانب النهوض بالواقع التعليمي في العراق، لا سيما وأن الجامعات الأهلية في الدول الديمقراطية تحظى برعاية خاصة، وأن بعضها يحتل مكانة أولى في الأوساط الأكاديمية العالمية.

وقد كان علماء الدين المصلحون في العراق من رواد الوعي والتغيير لهم دور واهتمام بتأسيس الكليات والجامعات الأهلية، كما في مشروع جامعة الكوفة، وكلية الفقه وكلية أصول الدين، والمدارس الجعفرية وغيرها. لكن النظام الدكتاتوري صادر تلك المشاريع الأكاديمية، ضمن سياسته الظالمة التي طالت كل شئ في العراق.

لقد كنا نتوقع أن تقف الجهات التي تدعي تمثيلها للشعب، الى جانب أبنائه، لا أن تثير شبهات باطلية لا تستند الى أصل قانوني أو عرفي أو أخلاقي، ضد صرح أكاديمي يحتضن أبناء الطبقات الفقيرة ويوفر لهم فرصة التعليم العالي في مختلف الإختصاصات، بعد ان كانت هذه المؤسسة «جامعة البكر» سابقاً تقدم التخريب والإرهاب وتخرج العناصر التي تقمع الشعب العراقي، كما هو معروف للجميع.

لقد كنا نأمل أن يقارن هؤلاء المزيّفون بين ما كان عليه الحال في زمن النظام السابق، وبين ما يحدث الآن، حيث تتحول مؤسسات الجريمة والقمع والإرهاب الى مؤسسات علمية تربية تخدم ضحايا النظام السابق، لكننا نلتمس لهم العذر بعدم الخبرة السياسية، وبقلة التاريخ النضالي أو إنعدامه، فمن لم يعيش سنوات المحنة في ساحات المواجهة ومقارنة النظام الظالم، لا يمكنه ان يعقد مثل هذه المقارنات.

إننا نقدر أن الشخص الذي اثار هذه الشبهات، قد وعد أكثر من مرة بأنه سيكشف حالات فساد خطيرة، ولا ندري ما الذي جعله يتراجع عنها، وربما أراد ان يثير هذه القضية للتغطية على وعده السابق، كنا نتوقع منه ان يتحدث عن الذين أثروا بسرعة خاطفة وامتلكوا العقارات والقصور على ضفاف دجلة وفي دول أخرى، مع ان ماضيهم المعاشي معروف لدى الجميع، واعتقد ان القصد

واضح!!). كنا نتوقع منه أن يتحدث عن الذي استولوا على قطع الأراضي والعقارات بغير وجه حق وبغير سند قانوني قبل أن يثير اتهاماته الباطلة لمؤسسات معترف بها رسمياً وملتزمة بالقانون والاجراءات الرسمية بشكل اصولي دقيق.

إننا نقدر أن الشخص الذي أثار هذه الشبهات، انطلق من حسابات سياسية مغلوطة، فلست مستشاراً للرئيس الوزراء، كما يظن، فلا علاقة لي بهذا المنصب منذ زمن، وكل وقتي وجهودي هي التفرغ للعمل لرعاية جامعة الامام جعفر الصادق عليه السلام والحفاظ على رصانتها واستقلاليتها، رغم تشرفي بالانتماء لمدرسة الامام الشهيد محمد باقر الصدر العلمية والحركية.

وأفتخر بالانتماء الى حزب الدعوة الاسلامية منذ أكثر من أربعين عاماً. لكنني لم أدخل الصراعات والمنافسات السياسية، متفرغاً لخدمة أبناء العراق من خلال هذا المشروع وغيره.

ولم أدع يوماً أنني حاصل على شهادة جامعية عليا، فالشهادة التي حصلت عليها بالتلمذ على يد الشهيد الصدر الأول والشهيد الصدر الثاني، تكفيني إعتزازاً، فضلاً عن شهادات وتقديرات من جامعات ومؤسسات معتبرة في العراق والعالم، كما أن مؤلفاتي التي تدرس في عدد من الكليات والمعاهد، تشهد على نشاطي العلمي والفكري والأدبي وهو الذي أوليه أهمية بالغة منذ زمن بعيد، وقائمة مؤلفاتي معروفة للمثقفين في المجالات الإسلامية والحركية والقرآنية والأدبية. ويبدو إن صاحب الإثارة المفتعلة يجهل طبيعة الدراسة الحوزوية وقيمتها العلمية.

لقد قضيت عمري في العمل الإسلامي ، وكنت أحد مؤسسي العمل الجهادي لمقارعة النظام السابق ، وتركت في كل ساحة عشت فيها خارج العراق ، مشروعا ثقافياً أو اجتماعياً أو إنسانياً ، لخدمة المهاجرين والمهجرين من أبناء العراق. ولعل الذي يوجه اتهاماته الباطلة لي ، لا يعرف مشاريعي ومنها مؤسسة دار الاسلام العالمية في لندن ، وله العذر فلم نعرف عنه اهتمامه السياسي والثقافي في تلك الفترة.

إن التصدي لحالات الفساد مسؤولية كل مواطن عراقي ، ومن يحاول ان يغطي على الفساد ويصرف الأنظار عن الملفات الحقيقية ، فإنما يسعى الى تضليل المواطن العراقي ، وهي محاولة بائسة ، ستكشفها الأيام المقبلة بالدليل القاطع والكلمة الفاصلة.

لقد عاهدت الله ونفسي أن أمضي في طريق العمل الخدمي ، والنهوض بالمشاريع التي تخدم المواطن العراقي ، رغم كل الصعاب والعقبات ، فهي مسيرة آمنت بها ، ولقد واجهتنا مثل هذه الاصوات المبحوحة وأشد لكننا واصلنا الطريق الصعب بثقة عالية بالاتكال على الله سبحانه ، فهو حسبنا عليه توكلنا فنعم المولى ونعم النصير ، والحمد لله رب العالمين.

(٧)

صحيفة (البيئة الجديدة) في حوار خاص

حوار / جبار عودة الخطاط

بين الصدق والكذب أربعة أصابع.

بين التقويم والتهديم نية تحرك صاحبها لاطلاق بالون إثارة هنا وهناك.

بين نزعة الاثارة الرخيصة التي لا تتكئ على معطى ملموس وبين الرغبة الحصيفة لتلمس نتوءات الحقيقة تكمن خطوة تشمر عن سواعد الجد لتطرق باب المعنيين وصولا لمصافحة الاجوبة المنشودة.

البيئة الجديدة: كما هو عهدا تريد ان تخضب وجنات الاسئلة بإكسير الاجوبة التي تجتهد لفتح كوة في جدار سميك تطل من خلالها على ميدان تغسله كل صباح شمس الحقيقة.

البيئة الجديدة: تعيش في خضم الناس .. تلمس وجعهم ونبضهم وتسمع ما يدور .. إذا ماذا بشأن ما يثار حيال جامعة الامام الصادق عليه السلام؟ .. أين الحقيقة مما يجري؟ وهل فعلا أن عملية البيع تمت خلافا للمعايير الموضوعية والسياقات المعمول بها؟ .. لماذا يعترض البعض بصوت عال؟ .. هل اطلع من اعترض على خلفية عملية البيع فعلا؟ ..

البينة الجديدة حملت أوراقها وطرقت باب السيد حسين بركة الشامي رئيس مجلس إدارة الجامعة الذي رحب بنا فكان لنا معه هذا الحوار:

❖ اثيرت في الفترة الاخيرة مسألة الاستحواذ على أرض ومشيدات «جامعة البكر» من قبلكم لانشاء جامعة الامام الصادق فماذا تقولون في هذا الصدد؟

- ما أثير في الفترة الأخيرة حول موضوع الجامعة نحن لانعرف الخلفية التي تكمن وراءه .. لكننا نستطيع القول انها تنطلق من خلفيات سياسية كون الجامعة لا علاقة لها بما يدور في البرلمان أو النزاهة، انما هي جامعة علمية مستقرة وقد تم شراؤها ضمن السياقات والموافقات القانونية المتعارف عليها في البلد إذ قدمنا طلبنا بشكل أصولي الى أمانة مجلس الوزراء وشركة الاتصالات كونها الجهة المعنية المالكه لأرض «جامعة البكر» المنحلة واستمرت المعاملة والاوراق والتفاهمات لأكثر من سنة تقريبا تم فيها التفاوض والتفاهم على السعر.

❖ لكنكم كما يقال اشترتتم الجامعة بثمن بخس لا يتناسب مع السعر الحقيقي لما جاورها من سعر الارض؟

- نحن لم نشتر الجامعة في غرفة مظلمة أو في زوايا نائية وانما تمت عملية البيع بشكل طبيعي وضمن لجان رسمية وثابتة وبحسب المادة ٣٥ من قانون بيع وإيجار أموال الدولة رقم ٣٢ سنة ١٩٨٦هـ.

❖ وماذا بشأن التحفظ أو الاعتراض من قبل البعض حيال هذا الامر؟

- هذه الاعتراضات غير الموضوعية شكلت لنا مفاجأة لا سيما ان مسألة الجامعة مطروحة الآن على القضاء .. فوزارة الاتصالات وبشخص وزيرها السابق كانت تفتقر للموضوعية وينطلق اعتراضها من حساسية خاصة إزاء جامعة الامام الصادق عليه السلام فلذلك أقاموا دعوى قضائية والجامعة ربحتها واكتسب الحكم الدرجة القطعية بالاستئناف وهي الان في التمييز ..

إذا لماذا كل هذا الضجيج والمسألة بين يدي القضاء والتمييز؟

ولماذا تتدخل هيئة النزاهة في قضية مطروحة للقضاء ولا يحق لها ان تتدخل في هكذا قضايا هي قيد البحث القضائي .. فمصدر هيئة النزاهة اين ؟ الى القضاء حتما في النهاية والسؤال هو لماذا هذا التشهير؟! .. فينبغي على رئيس النزاهة ان يتبع الاصول في هذا المجال وان يكتب للقضاء وان يحقق مع جميع الاطراف باعباره جهة رقابية أما ان يخرج على قنوات تلفازية اقل ما يقال عنها انها غير حيادية ولديها سياسة غير موضوعية ازاء العملية السياسية ولها رأي مسبق ضد الجامعة وضد كل ما يجري في العراق .. يخرج بطريقة تشهيرية ضد الامين العام لدار الإسلام الهيئة المؤسسة للجامعة ورئيس مجلس الادارة ويشكك ويحاول ان يعبئ الراي العام ضدها لتصبح الجامعة الآن مهددة من قبل الجماعات التكفيرية والفلول الصدامية.

❖ هل لديكم معلومات محددة بشأن وجود تهديدات جدية ضد الجامعة ؟

- نعم .. نحن لدينا كتب رسمية تقول ان الجامعة مهددة بسيارات مفخخة تحوم حولها لذا شددنا الاجراءات الامنية فيما يتعلق بحماية

وحراسة الجامعة بناء على هذه التهديدات الكثيرة وهي لم تعد الان مجرد بناية وطلاب بل اصبحت لها هوية تاريخية وتحمل رسالة شريفة مقدسة لذا نحن نأسف حين نرى البعض ينزل الى هذا المستوى من التشهير وهو بهذا يستغل موقعه في البرلمان في هذا الجانب.

❖ بما انكم تحدثتم عن استغلال الموقع نريد ان تعلق على من يقول ان السيد حسين الشامي قد استغل موقعه القريب من السيد رئيس الوزراء لاتمام عملية الاستحواذ على الجامعة ؟

- حسين الشامي لم يستغل علاقته بدولة السيد رئيس الوزراء وهو في موقع لا يسمح له ان يتدخل في قضايا من هذا القبيل ، فضلاً عن ان عملية الشراء تمت بالشكل الإعتيادي والطبيعي ولم تكن الجامعة وحدها من طلب إستثناءً من شرط المزايدة من دولة رئيس الوزراء ، فهناك عدة مؤسسات قامت بذلك.

❖ لكنكم اشتريتم أرض الجامعة كما اشرنا سابقا بثمن بخس قياسا لما جاورها من الاراضي المجاورة ؟

- فيما يتصل بالاسعار فالسيد رئيس الوزراء كتب فقط كلمات هي : « موافق على البيع اصوليا ووفق الضوابط المعمول به » .

❖ وهل تعتقدون بأن البيع فعلا قد تم وفق الضوابط ؟

- نعم كانت عملية البيع وفق الضوابط وبشكل اصولي.

❖ لكن المتر المربع الواحد كما قلتم انتم قد اشترىتموه بـ « ١٠٠٠٠٠٠ » مائة الف دينار فقط في حين يقدر سعر المتر المربع في نفس المنطقة باكثر من مليوني دينار ؟

- لا .. مسألة تحديد السعر تقع على الطرف البائع وهو الشركة العامة للاتصالات والهاتف فهي الطرف المعني بتحديد السعر والذي لم نصل اليه اعتباراً وإنما حصل بعد مشاركة من قبل لجان التثمين وهي تابعة الى دائرة عقارات الدولة ومن التسجيل العقاري ووزارة المالية ووزارة الاتصالات والجهات المعنية بهذا الموضوع فبعد المفاوضات تم تحديد السعر بـ مائة الف دينار للمتر الواحد بخلاف ما ورد ببعض الصحف من ان سعر الشراء كان الف دينار للمتر علماً ان الجهة المشترية هي جهة خيرية والجهات الخيرية في الدول المتحضرة تحظى بقطع أراض مجانية ودعم وتشجيع لمشاريعها.

❖ هل لكم ان توردوا لنا مثالا بخصوص هذه النقطة ؟

- استطع ان اعطيك مثالا .. النوادي الشبابية لوزارة الرياضة والشباب .. الان تشتري مساحات كبيرة في بغداد والمحافظات كملاعب وغيرها بثمن هو ثلاثة الاف دينار فقط وانا مسؤول عن كلامي والمواقع موجودة في البصرة والنجف والساوة وغيرها.

❖ ولكنكم كما يقال تديرون مؤسسة ربحية وتجنون من ورائها الاموال الطائلة ؟

- نعم ولكنها مؤسسة علمية وخيرية ونحن نبني الان في بغداد مدارس ما يسمى بـ «مدارس بغداد الدولية» لأبنائنا المحرومين، فضلاً عن أن الجامعة تعفي نسبة كبيرة من طلبتها الفقراء وابناء الشهداء من الأجور الدراسية.

❖ ولكن ثمة أرياح كبيرة تجنى من الجامعة؟

- أرياح ولكن أرياح مرتبطة بهيئة أمناء ومؤسسة دار الاسلام الثقافية والسيد الشامي ليس نكرة بل هو وكيل المراجع وتلميذ السيد الشهيد محمد باقر الصدر وله مؤسسات كبيرة وفي كل مهجر ترك مشروعا ثقافيا وانسانيا واجتماعيا.

ثم دعني اضيف لدينا الان مثلا قانون التعليم العالي في البرلمان .. المشروع والمقترح من قبل وزارة التعليم العالي ومن ضمن بنوده ان تعطى الجامعات والكليات الاهلية قطع أراض مجانية تشجيعا لها ولتكون الرديف للتعليم الحكومي والرافد المهم في بناء المؤسسات العلمية والصروح الحضارية.

❖ نعود لمسألة السعر .. ماذا لو طلبت منكم الشركة إعادة النظر بالسعر بناء على المبدأ الفقهي « خيار الغبن » ؟

- هذا السعر يمكن ان يخضع مرة ثانية للتقييم والتشمين والمراجعة اذا كانت الشركة تشعر بالغبن.

ونحن نجري في الجامعة عمليات بناء وتعمير واسع والطلاب هم الذين سيقروا مصير الجامعة.

فنجاح الجامعة لاولئك الذين يعيشون في أجوائها من ابناء الطبقات المحرومة من التعليم وهم الرقم الكبير والصعب ، هم الطبقة المرتبطة بالامام الصادق بلا شك والامام الصادق عليه السلام أبقى من البكر.

❖ هناك معلومات تفيد بأن محافظة بغداد ممثلة بشخص الاستاذ المحافظ صلاح عبد الرزاق والذي كان يعمل معكم في الوقف الشيعي كناطق اعلامي قد ساعدكم بمبلغ مليوني دولار ما مدى صحة ذلك ؟

- لم تكن هناك مساعدة كما ذكرت ، انما هي مشروع بناء مكتبة من قبل مجلس محافظة بغداد ، وذلك دعماً للبروع العلمية واحياء المعالم الثقافية في بغداد على خلفية جعل بغداد عاصمة الثقافة العربية عام ٢٠١٣.

وللعلم هي شملت عدة جهات وليست جامعتنا فقط فقد شملت مثلاً الجامعة الاسلامية والتي كانت تسمى جامعة صدام للعلوم الاسلامية وكلية اصول الدين وغيرها.

❖ هناك من يشير الى انكم لا تحملون سوى الشهادة الاعدادية فكيف ترأسون جامعة فيها الكثير من الاساتذة والدكاترة ؟

- هذه الشبهة يمكن ان تنطلي على الناس غير العارفين لقيمة الدراسات الحوزوية فكثير من المراجع ليست لديهم شهادات والعلماء والمفكرون ليست لديهم شهادات وكذلك المصلحون.

ولو القينا نظرة على أساطين الحوزة لوجدنا ان الشيخ المظفر مؤسس منتدى النشر وكلية الفقه ليست لديه شهادة والسيد الشهيد محمد باقر الصدر ايضاً ليست لديه شهادة عليا فالدراسات الحوزوية لها قيمة علمية كبيرة ولعل الشهادة تقيدها.

ومع هذا فأنا امتلك شهادة الماجستير من الحوزة في الثمانينات وكذلك البكلوريوس ولدي اكثر من شهادة دكتوراه فخرية وأقدم

العون لكثير من طلبة الماجستير والدكتوراه بطريقة تطوعية كما ان قائمة كتبي الطويلة يعرفها المثقفون.

بل ان بعض كتبي تدرس في بعض الحوزات والمعاهد الثقافية.

وانا ليست لدي عقدة شهادة فانا اعرف قيمتي وأعرف شهادتي وكتبي ووضعي الخاص .. انا خريج مدرسة الشهيدان الصدرين العظيمين لذا فانا لا اهتز من هذه الشائعات والشيء الاخر انني لست رئيسا للجامعة لعل بعض وسائل الاعلام تعبر عني برئيس جامعة الصادق وهذا خطأ انما انا رئيس مجلس الادارة وهي مسألة ادارية فنية واعتبارية كوني الامين العام للجهة المعتمدة لتأسيس الجامعة وهي مؤسسة دار الاسلام..

ورئيس الجامعة فعلاً هو الدكتور نعمة رحيم العزاوي والجامعة لها عمداء ورؤساء أقسام وانا اتحدى بعض المتشدين أن يفهموا بعض ابيات اشعاري في كتبي التي انتشرت بشكل واسع في الشارع العراقي بعد عام ٢٠٠٣.

❖ تقول بانكم وكيل المراجع .. لكن المرجعية صرحت بعدم صلتها بموضوع الجامعة ؟

- نعم المرجعية لها مقامها ولها دورها ورعايتها في العراق وهي لا تتدخل في هذه الجزئيات لانها تحل عبر اروقة القضاء .. بعض القنوات اشارت الى هذا الموضوع بغية التشويش بأن هذه الجامعة تفتقر الى الشرعية وانها بعيدة عن خط المرجعية.

واقول جازماً ان هذه الجامعة هي في صلب خط المرجعية وخدمة الاسلام ومدرسة اهل البيت سلام الله عليهم.

واخيراً ان الجامعة أصبحت حقيقة كبيرة وراسخة في الوجدان العراقي وتزداد عمقاً وامتداداً.

وقد تجاوزت مرحلة البناء وقطعت اشواطاً كبيرة في مجالات متعددة ولا تؤثر عليها الاشاعات الكاذبة والاصوات المزعجة.

بعد عودة سماحة السيد حسين بركة الشامي الغالبي من هجرته الطويلة عام ١٤٢٤هـ الموافق ٢٠٠٣م، إحتفى به أهله وأعمامه من عشائر السادة الغوالب. وعقدوا معه عدة مجالس خاصة في محافظات: بغداد، والنجف الأشرف، وذي قار، والمثنى، والديوانية، وغيرها. وكان الهدف من هذه الاجتماعات؛ التعارف والتآلف، ولمّ الشمل، وتقوية اللحمة وإبراز الوجه الحقيقي لقبيلة السادة الغوالب، في العراق. وتم الإتفاق من خلال هذه الاجتماعات على تأسيس مجلس شورى خاص بالسادة الغوالب، أمام الجهات الشرعية والرسمية وإتخاذ القرارات اللازمة لتنمية وتطوير أوضاعهم.

وقد أجمع المجلس وقرر بالإتفاق على اختيار سماحة السيد حسين بركة الشامي الغالبي عميداً لهذه القبيلة الكبيرة، بمختلف فروعها ومسمياتها، ويكون وجهاً معبراً عن إرادتهم الجماعية أمام المرجعيات الدينية، وممثلاً شرعياً ورسمياً لدى الجهات الحكومية وقبائل العراق وعشائره.

مركز الدراسات والبحوث والتوثيق

(٨)

كلمة في مؤتمر السادة الغوالب لدعم دولة القانون

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الخلق محمد
وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين .. وبعد: فقد قال تعالى:

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ
وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ
عَزِيزٌ ﴿٥٥﴾﴾ الحديد.

دولة رئيس الوزراء السيد نوري كامل المالكي المحترم

السادة أصحاب المعالي الوزراء وأعضاء مجلس النواب المحترمون
السادة المسؤولون والضيوف الكرام

سادتي وأخواتي وأبنائي .. أبناء عشائر السادة الغوالب حرسهم الله
وسدد خطاهم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

في أجواء شهر شعبان المفعمة بالطيب والذكريات العظيمة العابقة
بشذى الطهر والإيمان، ومع اقتراب ذكرى مولد النور الإمام الحجة

ابن الحسن المهدي المنتظر الموعود «عج» ومع الذكرى السنوية الثامنة عشر لانتفاضة شعبان المجيدة التي عبّر فيها شعبنا العراقي بكل مكوناته عن رفضه المطبق لنظام حزب البعث وأجهزته القمعية الجائرة.

أبارك لكم هذا الجمع الطيب، والمؤتمر التاريخي الذي يعقد تحت شعار: «مع دولة القانون يا أبناء محمد» نسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعله خطوة مباركة على طريق بناء الذات ولمّ الشمل ووحدة الكلمة من أجل الإنسان والعراق.

أيها الأخوة الأعزاء

إن من نافلة القول ان عشائر السادة الغوالب هي من العشائر العلوية الرضوية الكبيرة والمعروفة في العراق، إذ تتوزع على محافظات البصرة، وذي قار، وميسان، وواسط، والديوانية، والنجف الأشرف، وكربلاء والمقدسة، وبابل، وديالى، وكركوك، والموصل، وبغداد وغيرها من المحافظات والقصبات العراقية.

وهم الدوحة العلوية ذات النسب الشريف المتصل بالأئمة الأطهار عليهم السلام بواسطة جدهم الأعلى ساحة العالم الجليل السيد غالب بن الشريف شمس الدين «رحمته» ومرقده في منطقة الغالبية شمال بغداد، ويصل في تسلسل النسب إلى السيد الحسين موسى المبرقع ابن الامام محمد الجواد عليه السلام ومرقده الشريف في مدينة قم المقدسة، ويعد أحد المعالم والمشاهد التي يؤمها الناس للزيارة والعبادة. وبهذا تعد مشجرات نسب السادة الغوالب من أقرب الأنساب إلى الإمام المعصوم عليه السلام.

ان شجرة السادة الغوالب بكل فروعها وأمتداداتها وأغصانها الوارفة في عموم العراق تقف معكم في تطبيق برنامجكم السياسي الذي بدأتموه بمشروع المصالحة الوطنية، التي كانت الضمانة الأساسية للحفاظ على نسيج وحدة الأمة وبناء ذاتها السياسية والاجتماعية والثقافية.

ونحن معكم في خطة فرض القانون التي انتجت صولة الفرسان وبشائر السلام، وكانت القرار الشجاع والمشروع الأفضل لحفظ الأمن واستقرار البلاد من خلال ملاحقة عصابات الجريمة المنظمة وبقايها فلول حزب البعث المجرم.

ونحن معكم في التفاهم والتعاون مع الدول الشقيقة والصديقة والحوار مع العالم لتحقيق السيادة والإستقلال، والحضور الواعي في إدارة العملية السياسية، والتوجه بارادة صلبة، وعزيمة قوية لإرساء دعائم البنى التحتية للعراق الجديد، والسعي الجاد لتطوير مؤسساته العلمية والإقتصادية والاجتماعية والسياسية والإنسانية.

ومن هذا المنطلق فإنه لا ينتهي عجبنا من أولئك الذين يدعون أنهم يمثلون إرادة الشعب ويسعون لرعاية مصالحه تحت قبة البرلمان ولكنهم يقفون صامتين ويترددون عن التصويت بالإيجاب على مشروع قانون البنى التحتية، وطلب الدرجات الوظيفية وفرص العمل لأبناء الشعب العراقي الذي قدمته الحكومة ليكون برنامج عمل ومنهاجاً في البناء

والإعمار و خارطة طريق لهذا العراق المحطم الذي تحول إلى ساحة للرماد والأحطاب.^(١)

إننا نعتقد إن مشروع هذا القانون في البناء والتوظيف الذي رفضت بعض الكتل السياسية التصويت عليه ، كان من شأنه أن يضع العراق على الصراط القويم في معركة البناء والإعمار والقضاء على مظاهر البطالة والفقير ، وإعادة الحياة لهذا البلد العزيز وفق الاسس الصحيحة والمبادئ السليمة لبناء البلدان التي تعرضت لمثل ما تعرض له العراق من حروب وتخريب وحصار وتحطيم لكل البنى التحتية ومؤسسات الدولة.

ولكننا نعتقد إن شعبنا العراقي بكل مكوناته وخصوصاً أبناء العشائر الغيارى يتمتعون بذكاء فطري ، ووعي سياسي ، وحس مرهف ، ويدركون جداً الأعباء السياسية والسياسيين ولا يحتاجون الى مزيد من الجهد والعناء لمعرفة الرجال المخلصين من النفعيين ، الذين جاءت بهم الأقدار ليكونوا في موقع التصدي وتمثيل الشعب ، وبناء على هذا الوعي الشعبي المتميز لم تعد عملية التشخيص عملية صعبة ومعقدة في تجربتنا العراقية الواعدة.

(١) لقد طلبت حكومة السيد المالكي من مجلس النواب الموافقة على مشروع توظيف ١٢٥٠٠٠ مائة خمسة وعشرين الف درجة وظيفية ، إلا إن بعض الكتل السياسية رفضت التصويت على هذا المشروع كونه في زعمها يصب في مصلحة الحكومة واشترطت أن يكون ذلك من خلال تشكيل مجلس الخدمة العام وهي تعلم أن تشكيل هذا المجلس أمر معقد ، بدليل أنه لم يتشكل لحد هذه اللحظة ، وهي لعمري نظرة سياسية ظيقة وحسابات فئوية بائسة لا تفكر في خدمة البلد ولا تراعي مصلحة المواطن كما تدعى.

الحضور الكرام.. أيها السادة الأجلاء .. يا أبناء محمد وعلي

منذ زمن طويل ونحن نعيش الهم العراقي كجزء من مكونات العقل والضمير والوجدان، فالعراق يعني لأبنائه الروح والقلبن وكان الهمُّ العراقي يزداد كل يوم لاننا نعتقد ان العراق يختلف عما سواه فهو أرض المقدسات، ومهد الحضارات ومركز العلوم والمعارف، وجنة الشعر والفنون.

وعندما نتحدث عن العراق الذي نريد، فإنما نتحدث عن مشاعر أمة وتطلعاتها وآمالها التي عاشها منذ زمن طويل، لكن الجفاف الدكتاتوري أحرقها عطشاً، فظلت حبيسة النفوس والعقول حتى آن وقت طرحها كمطالب ضرورية ومرتكزات حقيقية لتحقيق الهدف الاسمى في بناء الوطن الجديد بقيادة دولة رئيس الوزراء الذي اجتاز وبشجاعة نادرة كل العقبات والتحديات التي أريد لها ان تمزق وحدته، وتعطل دوره، وتعيده مرة أخرى إلى الحقبة البعثية السوداء، وما دروا ان التاريخ قد خطى خطوته في ربوع الرافدين ولا يمكن لعقارب الساعة ان تعود إلى الوراء.

ومن هنا فإننا نلخص أهم هذه المرتكزات لعراقنا الذي نريد بما يأتي :

أولاً: إننا مع دولة القانون للوصول بالعراق إلى حالة دائمة من الحرية والكرامة والمساواة، بحيث يكون نموذجاً شاخصاً في المنطقة، وليس ثمة مساومة على هذه النقطة، لأن ما عاناه العراق، وما دفع

ثمّنه ويدفعه حتى هذه اللحظة هو من أجل الحرية والديمقراطية ، ويمكن أنعتبر هذه النقطة مسألة مبدئية وأساسية في العراق المنشود.

ثانياً: إننا نقف في خندق واحد مع حكومتنا الوكنية من أجل تحقيق السيادة الكاملة التي تشوبها شائبة ، ولهذه النقطة بعدها التاريخي ، فلقد ضحى أبناء العراق طوال فترات تاريخهم المجيد من أجل الاستقلال الكامل والسيادة التامة.

وقد كانت العشائر العراقية مبادرة في هذا الجانب ترابط على خطوط القتال ذوادم عن ارض العراق واهله واستقلاله وسيادته ، ولنا شهداء كبار في هذا المجال يقف في طليعتهم المجاهد الكبير سماحة آية الله السيد محمد سعيد الحبوبي « رحمته » بطل معركة الشعبية وشهيدها الخالد الذي وقف يواجه الإحتلال الأجنبي في خطوط المواجهة الأولى.

ثالثاً: نتطلع إلى عراق الحضارة الإسلامية فهو أرض الإسلام التي شع منها الفتح الإسلامي وكان لقرون عديدة عاصمة الخلافة الإسلامية ، وموطن أعلام الفكر والعقيدة ، وقد ظل رغم كل المحن التي مرت عليه سباقاً إلى تسجيل حضوره الفكري ، والحضاري ، وكانت أرضه الخصبة تنجب عباقرة الإسلام الذين أثروا المسيرة الإسلامية والحضارية في مختلف مجالاتها المعرفة الإنسانية.

رابعاً: نريد عراق الإعمار والبناء والتنمية والتكنولوجيا المتقدمة والتطور المستمر ، فالعراق بثرواته وطاقاته يجب ان يكون في طليعة دول المنطقة نهوضاً وتطوراً وعمراناً ، لقد سحق النظام السابق ثرواته ، وبعثرها في حروب لا طائل من ورائها ، وأحرق الخيرات بنار حقه ونزاته وشروبه ، ولا بد للجميع ان يتجه نحو الأعمار والبناء ،

من خلال شعار: كلنا لبناء العراق، فهو بلد لا يحتاج إلى طاقات وكفاءات مستوردة، ولا يحتاج إلى طلب المعونة المادية، بل هي الثروة تحت ترابه والكفاء في رؤوس رجاله، والقوة في سواعد شبابه وأبنائه، وهي العناصر التي تكفي لأن تحول الصحراء إلى واحة يانعة، وتحول الجبل إلى منجم ذهب، وتصنع من خامات الأرض مشاريع عملاقة، وهذا ما نأمل ونسعى إليه ونتعاهد على العمل به والإلتزام بنهجه مهما كلفنا من متاعب وتضحيات.

خامساً: نريد العراق الذي يهتم بأسر الشهداء والسجناء وضحايا النظام القبور وتكريمهم وتعويضهم مادياً ومعنوياً عما لحق بهم من ظلم وحيف وحرمان، وأن نهتم بجميع الشرائح والطبقات الاجتماعية والفئات العمرية ابتداءً من الطفولة والنشئ الجديد والشباب والمسنين والأرامل والمعوقين والعجزة، وذوي الحاجات الخاصة وتقديم جميع أسباب الراحة والخدمات، وتوفير الرعاية الصحية والاجتماعية لهم.

وفي الختام فان مجلس السادة الغوالب وعميده العام في عموم العراق:

يعاهد الله والتاريخ، ويعاهد ابناء الشعب العراقي الكريم بان نكون مع دولة القانون المتمثلة بحكومة الوحدة الوطنية وانهم ليدافعون بوعي وإصرار عن إنجازات هذه الدولة الرشيدة.

كما نحث ابناء الدوحة المحمدية والسادة الأشراف في العراق وخارجه، ان يكونوا يداً واحدة لدعم وإسناد العملية السياسية في العراق الجديد.

وأن يشدوا على يد دولة رئيس الوزراء في قيادته الشجاعة لمعركة
البناء والإعمار وتحقيق السيادة والإستقلال، كما وقفوا معه في معركة
الأمن وتحقيق الإستقرار في صولة الفرسان.

نسأل الله العلي القدير أن يحفظ العراق وأهله وأن يجعله بلداً آمناً
ويرزق أهله من الثمرات إنه سميع مجيب وهو حننا ونعم الوكيل وآخر
دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

عميد

عشائر السادة الغوالب في عموم العراق

شعبان المعظم ١٤٣٠هـ

١ آب ٢٠٠٩ - بغداد

القسم الرابع

الشعر

السحاب

كان السحابُ لها لواء كَفَّ تناولت السماء
كَفَّ كأن البحرَ قاسمها المهابةَ والعطاء
وهبت لجوعِ الروح أرغفةَ الهدى والكبرياء
كَفَّ أشار بها اليتيمُ فعانقَ الجرحُ الدواء
وإذا الصحارى والسرابُ يهزُّ أوردةَ ظمءاء
نهرٌ يسيلُ من الجنان فيغمرُ الارواحَ ماء
مرحى بمولدك الربيعيُّ انتساباً وابتداء
وبأنك الآتي الى الدنيا تُطهرُها انتماء
أحمدُ ماذا أقولُ وقد ختمتَ الأنبياء

* * *

يا سيدَ الأكوانِ هبني لحظةً أطلُ البكاء
أغفو على كفيك أختصرُ التشردَ والبلاء
وأقولُ إنا أمةٌ حفظت لعترتك الولاء
ووفتَ فطاردها الزمانُ ليصلبَ الدمَ والوفاء
مستضعفون نجرُ خطوتنا لمذبجنا عناء
صبحاً تطاردُنا الجراحُ وتشتفي منا مساء

وعلى الفرات يكبلُ العطشُ الجنوبي الرواء
والنخلُ صار مشانقاً خجلتُ من الموتى حياء
وراءَ جدرانِ الظلام دمٌ يلفُ الأبرياء
يا سيدَ الأكوان صار أنينُ محنتنا غناء
والعالمُ المجنونُ لا أصغى ولا ردَّ النداء
واللاهثون وخلفنا ذهبتُ وعودهمُ هباء
والضائعون وليس غيرُ الجرحِ يمنحنا الشفاء

* * *

يا سيدَ الأكوان حسبُ طريقنا أن يُستضاء
أنتَ السراجُ فان أضعنا خطونا كنتَ اهتداء
لف الظلامُ عيوننا فكن التوهجَ والضياء
وكن السيوفَ سيوفَ عزتنا تشبُّ بنا إباء
بغدادُ مزقَ ثوبها صنمٌ وأبسها العراء
والشعبُ تطحنه والطغاةُ رُحىً وتمحرقه عداء
والفتيةُ المتوثبون لموتهم كانوا الفداء
رسموا بفيضِ الجرحِ خارطةً لألفِ غدِ تراء
شاؤوا فشدَّ الله أذرعهم على حجرٍ وشاء
فضحوا هزائم أمةٍ غنت بعزتها هُراء
وهتاف قاداتها وقد صار الأمامُ لها وراء
زيفَ ادعاءاتٍ تضيعُ سدىً لتخزي الأديعاء

هل ينقذُ الوطنَ امرؤٌ من شعبه شربَ الدماءِ
صنمٌ يعيثنُ بدجلةٍ وعلى الفراتِ رمى الوباءِ
قدرُ العراقِ بأن يُضامَ وأن تُجنَّ به لقاءِ

* * *

البحر

عمرٌ تقاصرَ دونهُ الزمنُ
وشواطئُ صلّت لها السفنُ
وجراحُ قلبٍ كلّما نزفت
ذابت بفيضِ دمائها المحنُ
يا صدرُ خذ وهجَ الدموعِ فقدُ
خصبَ الأسي وتبرعمَ الشجنُ
يا صدرُ إنّنا أمةٌ ولدت
في غربةٍ ما لمّا سكنُ
جاءت إليك ولم تبع غداها
أنى تبيعُ ونحرُها الثمنُ
هذا عراقك راح يصلبُهُ
حقاً الغزاة ليعبد الوثنُ
خسئوا فأنت اليوم أكبرُ من
قدر الطغاة لأتلك الوطنُ

* * *

عمرٌ وأنت قتيلاً دمعتهِ
والقاتلان الحزنُ والفتنُ

أدميتَ شفرتها وأرعبها
ما يحتوي غدها ويحتضنُ
فاجأتها بدمٍ تقدسَ أن
يخبو فسارَ القبرُ والكفنُ
وحملتَ روحك ما تناهبا
خوفُ ولا استرخى لها بدنُ
فرداً تُحدقُ في جراحتنا
وسواك لا عينٌ ولا أذنُ
تخطو الرجالُ وأنتَ سابقها
وثبتَ بك الآياتُ والسننُ
ويداك أندى غيمتين سقت
شجرَ العراق فأورقَ الغصنُ
من بعد أن ألوى ببسمته
عطشُ الثرى والموردُ النتنُ
يا صدرُ طيفك جُنحُ غربتنا
خافقةً والأفقُ مرتهنُ
نعلو فيدنيا تمزقنا
.. نغفو فيسرقُ حلمنا الوسنُ
دُفنَ العراقُ بنا لنبعثهُ
فنودُ آنا بعضُ مَنْ دُفنوا
شوكُ الصحارى في أناملنا
وخيامنا الحسراتُ والوهنُ

يُست قوافلنا وقد تعبت
ظمأى فلا ضرعٌ ولا لبنُ
إلا رؤاك تلمُّ حيرتنا
فهي اليدُ البيضاء والمننُ
وهي الربيعُ يمرُّ في دمننا
دفتاً فيصحو الجذرُ والفننُ
رُحماك لا تغضب لدمعتنا
فالدمعُ في ذكراك ممتحنُ
إن سال أطفأ جمرَ أعيننا
أو جفَّ فهو الباخلُ الضغنُ
عذراً إذا طالتك أحرفنا
فلأنت أنتَ البحرُ والسفنُ

في فاجعة المرجع الديني السيد الشهيد محمد محمد صادق
الصدر وولديه مصطفى ومؤمل إذ أعادت لنا ذكرى الإمام
الشهيد الصدر الأول بكل ما فيها من ألم وشجن وأحزان.

الأنشودة الخرساء

من جرحه نزفُ العراق يسيلُ
فهو المعزى فيه والمقتولُ
وهو الرجالُ اذا تلظت جرأةُ
فالنارُ تكتبُ واللهيبُ يقولُ
ومواقفُ الأبطالِ أعظمُ ما بها
أنّ الشعوبَ تميلُ حيثُ تميلُ
صرخاتها أصداًءُ ملحمةِ الردى
وهتافها للتائهين دليلُ
ودمٌ يُراقُ يجرُّ خلفَ مسيله
جيلاً يشبُّ على يديه الجيلُ
وجراحنا تهبُّ التمردَ أمةً
فالنزفُ وحيُّ والدماءُ رسولُ
دع أحرفَ التاريخِ تكتبُ زيفهُ
فيضيعَ وعيُّ أو تُلفَّ عقولُ
ودع السطورَ المظلماتِ عواقراً
يحلُمنَ أن يتحطمَ القنديلُ

دعها ففسي أحداقنا أنشودة
خرساء كل حروفها تأويل
فالافق بعض مدارها وطموحنا
في دارة المجد الأشم يجول
ولنا من «الصدرين» راية عزة
ودم على «نجف الهدى» مطلول
يا صدر صوتك لم يزل متحدياً
سيف كسيف المرتضى مسلول
والمسبر العلوي غضبة ثائر
في الخالدين وان طواك رحيل
يا لابس الكفن المطهر حسبه
أن يشتهي لظهره جبريل
ما زلت في كوفان صورة «حيدر»
يهب الدما وعطاؤه مجهول
يا سيد الكفن الملطخ بالدما
هذا عراقك مارداً مغلول
هبه الردى سيفاً تجذ في صمته
مليون نسر في ذراه يُصول
والرافضون يللمون جراحهم
فهم المؤمل فيه والمأمول
والحاملون على الأكف جنائزاً
لهم بها عمر الشباب قتيل

هم يرسمون الشمسَ فوق سمائنا
فيشبُّ فجرٌ عندها وأصيلُ
لا ظلمةُ التاريخِ تمنعُ نوره
غسقاُ ولا يرقى إليه بديلُ
ونفختَ في «صُورِ» الربيعِ فأينعتُ
موتى مواسمنا ومالَ نخيلُ
أيقظتَ متعبةَ العيونِ فأبرقت
وأفاقَ جفنٌ بالنعاسِ ثقیلُ
ومشتَ خطىً لم يثنها في دريها
إن الطريقَ لما تريدُ طويلُ
قتلوك أي أضالع لك مُزقتُ
فتمزق القرآنُ والأنجيلُ
يا إخوةَ الجرحِ المعفّرِ حسبنا
إننا فروغٌ والجراحُ أصولُ
النصرُ قد كتبتُ ملامحهُ الدما
ولها العراقُ وشاطئه يؤولُ

* * *

مرثية شهيد المحراب آية الله الاستاذ السيد محمد باقر الحكيم
الذي عرج إلى الله في مشهدٍ يقطر شهداً سماوياً رائعاً.
رجب / ١٤٢٤

شهيد المحراب

حادثٌ هزَّ خاطري ووجودي
كيف تغفو الشمسُ خلفَ اللحدِ
حادثٌ لفَّ دارةَ النجفِ الأشرفِ
حزنناً بالحالكاتِ السودِ
فإذا الأفقُ أدمعٌ وبكاءٍ
علويٍّ على الحكيمِ العميدِ
وبحرابه تلوتُ صلاةً
خشعت في ركوعه والسجودِ
كيف أضحى حُلماً وكان رجاءً
للملايين بعد كسرِ القيودِ
للمتة الأكفُ أقدسَ قربانِ
زكيٍّ بمذبحِ المعبودِ
تربت كفهمُ أيطوى كتابٌ
هو من أسطرِ الكتابِ المجيدِ
لم يمِت من له الشهادةُ نهجٌ
كان قد خطَّ بالأبابةِ الصيدِ

* * *

يا فقيدَ العراقِ هيجتَ جرحاً
قد طواهُ الشهيدُ بعدَ الشهيدِ
فتحَ الصدرُ بابهُ أمسٍ بالنورِ
لكي ينتهي بنصرِ أكيدِ
ثم سارت قوافلُ كسرت خند
جر جلايدها بصدرٍ وجيدِ
أمةً أرضعتك صبراً وغدتك
حناناً فيا لها من ولودِ
لم تمت فكرةً وعزماً وإصراراً
ولكن تألقت من جديدِ
كيف أبكيك والقصائدُ خرساءُ
وقلبي أسرى لأفقي بعيدِ

* * *

يا شهيدَ العراقِ ما جئتُ أرثيكَ
ولكن طهرتُ فيك نشيدي
يا أبا صادقٍ حملناك طيفاً
لفاً بالحبِ والأسى والورودِ
يا أبا صادقٍ وودعتنا أمس
ولكن لجنته وخلودِ
فسلامٌ عليك من حشرجاتِ
في صدورٍ تحرقت لفقيدِ
وسلامٌ عليك من كل قلبٍ
شفه الحزن بالأسى المكمودِ

ووداعاً ولست آخر جرح
راح يهدى الى الكريم الحميد

* * *

في رثاء العلامة الاديب آية الله الاستاذ السيد حسين بحر
العلوم (رحمه الله). ١. - ٧. - ٢٠٠١ لندن

دموعُ الغري

دموعُ على وادي الغري تَسيلُ
وأنت على دربِ السُّراةِ دليلُ
تخطفك المجدُّ اشـتياقاً لأنـه
رأى فيك من يـصـبـولـهُ ويميلُ
ولكنَّ خلفَ الموت كفاً غريبةً
تُغيِّرُ على آمالنا وتـصـولُ
فيعنـولها رمحٌ وتنهـارُ قامـةً
وأنت على رـغـم المـماتِ تطـولُ
أدر طرفك الحـانـي الى أرضِ حيدرِ
وحـدق بنـزفـير تـديـه قـتيلُ
تجد في جراحِ الصابرين ما ذنأ
وخلـفَ عـيـونِ الصامدين طـبـولُ
تـؤذـن ان الصـبـح لاشـك قـادـم
وأن ظلامَ القـاتـلين يـزولُ

سَبَقَتْ خَطَى الْآتِينَ وَالسَّدْرُ مُتَعَبٌ
تَدُورُ بِهِ أَقْدَامَنَا وَتَجُولُ
وَتَبْحَثُ عَنِ قَنَدِيلٍ وَحَيٍّ مَقْدَسٍ
وَنَحْنُ قُرَى الْبَلَوَى وَأَنْتَ رَسُولُ
تَعْلُمُنَا أَنْ الْعَقِيدَةَ مِنْبَعٌ
سَخِي النَّدَى حَلَوِ الظَّلَالِ أَصِيلُ
وَأَنْ مَنَارَ الشَّرْعِ مَازَالَ وَاهِبًا
سَنَاهُ إِذَا امْتَدَّتْ إِلَيْهِ عَقُولُ
وَفِي النِّجْفِ الدَّامِي لِهَيْبٍ وَجَمْرَةٌ
وَإِنْ طَبَّقَتْهُمُ الْوَعْدَةُ وَعَوِيْلُ
وِثَارٌ مِنْ (الْصَدْرَيْنِ) مَا زَالَ غَاضِبًا
إِذَا قَالَتِ الْأَقْدَامُ رَاحَ يَقُولُ

* * *

في حفل تكريم الشيخ الدكتور أحمد الوائلي (رحمه الله)
عميد المنبر الحسيني الخالد الذي تربع على عرشه بمجدارة
وكفاءة لاكثر من ستين عاماً.

مواويل

عُنُقُ يَحْمَلُ الْحُسَيْنَ وَسَامَا
وَصَدَى فِي رُبَى الطُّفُوفِ تَرَامَى
وَحَدَاءُ كَانَ فِيهِ سَيُوفَاً
مَزَقْتَ غَمْدَهَا وَسَالَتْ حَمَامَا
وَمَوَاوِيلُ بَاكِيَاتٍ حَزَانَى
حَمَلْتَ وَجَهَ زَيْنَبٍ وَالْيَتَامَى
يَا أَبَا الْمُنْبَرِ الْجَرِيحِ وَحَسْبُ الْمَرْءِ
أَنْ يَقْتَفِي الْحُسَيْنَ... إِمَامَا
قَدْ وَرِثْتَ الْعُنُقَ الذَّبِيحَ
بِعَاشُورَاءَ صَبْرًا وَعِزَّةً وَمَرَامَا
وَحَمَلْتَ الْبَكَاءَ صَرخَةً رَفِضٍ
وَتَجَرَّدْتَ مَقُولاً وَحُسَامَا
وَتَنَاقَيْتَ وَالْحُسَيْنَ فَأَبْكَيْتَ
الْمَلَائِينَ وَاحْتَقَرْتَ الطُّغَامَا
وَالدَّمُوعُ الْحَمْرَاءُ أَحْلَى الْقَنَادِيلِ
إِذَا مَلَّتْ الْعَيُونَ الظَّلَامَا

وتهامستَ والسبايا فصيرتَ
اللقى الماءَ والعراءَ خياما
ألفُ حاشا (الحسين) أن يتركَ
العاشقَ يطوي الهمومَ والآلاما
مدُّ كفاً لكربلاء تجذُّ في النارِ
بَرِدا وفي الدخانِ سلاما
شرفُ الطفِّ ساعةٌ وحسيناً
كيف من باع فيه ستينَ عاماً؟

* * *

إن في منبرِ الحسينِ لسراً
كلَّ عامٍ يُجددُ الاسلاما
كلما نالت الجبابر منه
تتهاوى على يديه حُطاما
وقرونٌ تنهارُ والدمعُ يبني
ألفَ صرحِ غدا يمسُ الغماما
والمريبون يلهثون تمنوا
أن يروا فيه معولاً هداما
كذبوا ليس في السماءِ سوى
شمسٍ أماطت عن الوجوه اللثاما

وتخطت فلامست مَيّتَ
الروح كما مست الحياة العظاما
هي أعواد منبرٍ عشق القلبُ
أساها وهامَ فيها هياما
وربيعُ الدموع في يوم عاشوراء
ما لم جفنه ليناما
بل لتبتلّ منه كلُّ الصحارى
ولتغدو سنابلاً وخزامى
وليظل الحسينُ أعظمَ صوتٍ
يتحدى الدهورَ والأياما

* * *

إيه يا أحمدَ الطفوف وفي عينيك
برقٌ يغري الصقورَ انتقاما
كيف أدنوله وليس بشعري
غيرُ عشٍ هدهدتُ فيه الحماما
فاستمع هذه الضلوعَ الحزانى
واستبح هذه القلوب الكراما

وادخل الروحَ فاتحاً فأننا
حطمتُ قوسي وقد كسرتُ السهاما
ثم حاذر أن تلمسَ الوترَ المجروحَ
فيها أو تقربَ الأحلاما
فهناك العراقُ قد خبأته
الروحُ طيفاً وقلبةً وغراما
وهناك الطفولةُ البكرُ والشيطان
والنخلُ والرجالُ النشامي
وهناك ابتسامتي وبكائي
ومواويلُ صغتها أنغاما
وهناك الجراحُ تصلبها الأصنامُ
حقداً فتصلبُ الأصناما

* * *

إيه يا أحمدَ الصفاتِ وفخرُ
أن ترى (وائلً) بكَ الأقداما
ما عرفتَ الرجوعَ يوماً وملت
خطوتاك الوثابتان الأماما

فإلى أين إن أدراجَ مجدٍ
بك طالَت قد أردتُ الأقراماً
وطريقاً نهجتهُ وهو وعراً
عاد بعد العناءِ منك رُخاماً
ويدا رغم أنها اليومَ عزلاءِ
ولكنها استطلت حُساماً
فهنيئاً لك الولاءُ وصوتُ
كلما رنَّ بدد الأوهاماً
وهنيئاً لك الخلودُ وذكرُ
سوف يمتدُّ بعدُ عاماً فعاماً

* * *

الى شيخ بغداد الدكتور حسين علي محفوظ وهو يحتفل بعامه
الثمانين

شيخ بغداد

إنَّ الثمـانين وأتعبتهـا
في حكمةِ الشيخ وحلمِ الشبابِ
إن أغلق الدهرُ لنا كوةً
فتحتَ بالحبِّ لنا ألفَ بابٍ
وهبتَ كأسَ المجدِ ملأنةً
وغيرُك اختارَ كؤوسَ السرابِ
مرتُ بك الدنيا وقد أخلقت
وأنت تزهو في ربيعِ الثيابِ
بغدادُ في قلبك محفورةٌ
في دجلةِ الخيرِ وزهو القبابِ
قضيتِ بالعلمِ ليالي العنا
ان عذابَ العلمِ حلُّ العذابِ
يامالكِ الروحِ ولكنما
أخلاقه قد جُبلت من ترابِ
يلمحُ في اليأسِ بريقَ المنى
ويكشفُ النورَ وراءَ الحجابِ

في رحيل صديقي الحميم الشيخ الجليل الحاج ملا أصغر علي محمد
جعفر «رحمه الله». رئيس الاتحاد العالمي للخوجة الاثني عشرية،
الذي عرفت فيه الصدق والندى والوفاء والايتار .
٢٧ / ٤ / ٢٠٠٠ - لندن

صديق الفراتين

سألت لندنُ حزنًا وإكتئابا
ياثرى يَخْتطفُ الموتُ السحابا؟
ياثرى يَخْتطفُ الموتُ يدا
فتحت سورَ الندى بابا فبابا؟
رسمتهُ صورةً براقيةً
وتحدّت فيه قبرا وترابا
كيف يفنى البحرُ والموجُ صدىً
هادرٌ يستصغرُ المجدَ عبابا
ظمئت (لندن) للحبِ وقد
رأعها في الغدِ تستجدي السرابا
كلّما مرّ عليها حُلْمٌ
ألْبستهُ من مآقيها ثيابا

وإذا غنّى لـديها وتـرّ
حطّمت بـجثّها فيه «الربابا»

* * *

إنه الحزنُ الذي كـفنها
فتوارت منه صمّتا وعذابا
حين لمّ الموتُ من أحضانها
طلعةً غرا وصوتا مُستطابا
وتواري (أصفر) من بيننا
وهو الأكبرُ همّاً ورغابا

* * *

يا جميلَ الذكرِ ما زلتَ هنا
تاركاً ذكركَ في القلبِ كتابا
قد قرأنا فيك حُباً صادقاً
ولمّسنا منك أفعالاً عجابا
كنت تبكي لبكّانا حُرقةً
وتواسينا سُـرورا ومُـصابا

أنتَ قد شاركتنا في « قِيدِنَا »

وتقسمتَ وإيانا الحرابا *

فعلى عينيك من أحداقنا

دمعةً مرّت على الليلِ شهابا

وبأضلاعك قلبٌ أتعبت

نبضه أنشودةً الحزنِ فذابا

* * *

أيها الراحلُ مهلاً لم يزل

في مُحياك الهدى يزهو شبابا

لا تودع فلقد عزّ لنا

أن نُواري عاشقَ الله إغترابا

وبأكفانك طيبٌ كلّما

مرّ بالوردِ تمناه فطابا

وثرى قبرك لا يشكو الظما

مدُّ سُقيتَ الكوثر العذبَ شرابا

* * *

❖ لقد تعرض المرحوم ملا أصغر علي مع زوجته إلى الإعتقال في زيارته إلى العراق عام ١٩٨٢م وعانى من قساوة الجلادين في بغداد وبعد خروجه من المعتقل كتب كتاباً عن ذكرياته في زرنانات المخابرات العراقية باللغة الإنجليزية وقد ترجم إلى اللغة العربية بعنوان: «كنتُ سجين صدام»

كيف أبكيك ولم تبعد أسي
إنما تزداد للقلب إقترابا
قد دعاك الخلد فاستبشرت في
موكب سابقته الخطو ذهابا
راحلاً لله في تهويمية
لم تكن رحلة موت بل إيابا
وإذا ما عشق الموتُ إمرأً
ضمه صوتاً له من أن يُعابا
كيف أرثيك وقد أتعبت من
أحرفي ما عجزت عنك جوابا
غير إنسي والأسى يقتلني
أتمنى أن أناجيك عتابا
كيف غادرت وخطو الفتح لم
يكتمل بعد ولم نطو اليابا؟
وأمانيك التي أتمتها
لم تشأ إلا لعينيك إنتسابا
يا صديقاً للفراتين قضي
حق أن تبكي شواطئها إنتحابا

ووفياً عشقَ «الطف» وهل
خبأت أضلعه إلا «القبابا»
فعلى عينيه «عاشوراء» قد
صَوَّرَ الحزنَ خياماً ورقاباً
أترى في كل أفق لَوَّحتُ
لك كَفَّ حملت قلباً مُذاباً
تتمناك لتجلو وجهها
وتُداوى من أمانيتها الصعابا
يا أخا الروح وحسبي وحشةُ
أن أرى «لندن» صَمْتاً وضباباً
وطيوفاً لك تكوي غُربتي
فأرى فيها رفاقاً وصحاباً
قَدَّرَ آتاءُ واري بعضنا
ليظلَّ الحبُّ رُوحاً وإهاباً

* * *

الفهرس

٥	الاهداء
٧	كلمة قبل المدخل
٩	المدخل
٩	ملاحح المشروع الفكري:.....عند العلامة السيد حسين بركة الشامي
١٢	الاصلاح والتجديد
١٥	المنجزات الثقافية والأدبية
١٦	المؤسسات الثقافية والإجتماعية والخيرية
١٩	الوظائف والمواقع

القسم الأول: المقدمات

٢٣	المقدمة الأولى: المعالم الجديدة للاصول ..دروس تمهيدية في علم الاصول
٣٧	المقدمة الثانية: فلسفة الصدر .. دراسات في مدرسة الامام الصدر الفكرية
٤١	المقدمة الثالثة: محمد باقر الصدر .. دراسات في حياته وفكره
٤٥	المقدمة الرابعة: الصدر الثاني .. دراسات في فكره وجهاده
٤٧	المقدمة الخامسة: النقد اللغوي عند العرب حتى نهاية القرن السابع الهجري
٥٩	المقدمة السادسة: التشيع .. نشوؤه - مراحلهُ - مقوماتهُ
٦٥	المقدمة السابعة: محمد بن ادريس الحلبي .. سيرته ، عصره ، منهجه
٧١	المقدمة الثامنة: الحركة الاباضية في المشرق العربي نشأتها وتطورها حتى نهاية القرن الثالث الهجري
٧٧	المقدمة التاسعة: دروس في العقيدة والاخلاق
٨٣	المقدمة العاشرة: تقويم القرن الخامس عشر الهجري
٨٧	المقدمة الحادية عشر: جوانب منسية في دراسة السنة النبوية
٩١	المقدمة الثانية عشر: العالم الإسلامي والغرب دراسة في القانون الدولي الإسلامي
٩٥	المقدمة الثالثة عشر: منهجية البحث العلمي
٩٩	المقدمة الرابعة عشر: المساجد والأماكن الأثرية في مكة والمدينة

١٠٥	المقدمة الخامسة عشر: بحوث في التراث الإسلامي
١١١	المقدمة السادسة عشر: قبضة الهدى.. قصة رواد الشهادة الاوائل في العراق

القسم الثاني: البحوث والدراسات	
١١٧	١- في ذكرى المولدين: النبي الأكرم ﷺ والامام جعفر الصادق <small>عليه السلام</small>
١٢٩	٢- منهج البحث التاريخي عند الامام الشهيد السيد محمد باقر الصدر فدك في التاريخ إنموذجاً
١٧٣	٣- التجديد والزمن.. رؤية الشهيد الصدر لمؤثرات التجديد
١٩٣	٤- شخصية الامام الشهيد الصدر.. دراسة في اشكالية المنهج
٢٢٧	٥- المرجع السيد الصدر الثاني.. مرتكزات في حياته وفكره وشهادته
٢٣٩	٦- مشكلات التعليم العالي في دول المشرق
٢٥٧	٧- الموقف الشيعي في العراق.. آفاق التجربة الجديدة
٢٧٧	٨- آفاق التنمية والتحديث لدائرة الوقف الجعفري في الكويت
٢٨٩	٩- العراق الجديد ومنظومة العلاقات الدولية المعاصرة
٢٩٥	١٠- العراق كما نريد
٢٩٩	١١- دور المؤسسات الدينية في تعميق الشعور بالمواطنة
٣٠٧	١٢- الوحدة الاسلامية.. ورقة عمل لمشروع تطبيقي
٣١٦	١٣- المشهد الثقافي العراقي.. الاشكاليات والمعالجات
٣٣٨	١٤- الفكر الاسلامي في مواجهة التحديات السياسية.. دراسة في التجربة
٣٥٣	١٥- الأسلام والحكم

القسم الثالث: كلمات وبيانات	
٣٦١	١- كلمة الإفتتاح للمؤتمر التأسيسي الأول لاتحاد علماء المسلمين في العراق
٣٦٩	٢- كلمة المؤتمر التأسيسي لمؤسسة البلاغ والإرشاد الإسلامي
٣٧٧	٣- مفهوم الأخوة في الإسلام كلمة في الندوة المشتركة بين جامعة الامام جعفر الصادق <small>عليه السلام</small> والجامعة الإسلامية

٣٨٢	٤- كلمة في احتفال دورة البشائر لتخرج الدفعة الأولى من طلبة جامعة الامام جعفر الصادق (عليه السلام) ٢٠٠٧ - ٢٠٠٨
٣٨٦	٥- بيان حول الشعائر الحسينية والأفتراءات الظالمة
٣٩١	٦- بيان حول ما أثاره البعض من شبهات حول جامعة الامام جعفر الصادق (عليه السلام)
٣٩٧	٧- صحيفة (البيئة الجديدة) في حوار خاص
٤٠٧	٨- كلمة في مؤتمر السادة الغوالب لدعم دولة القانون

القسم الرابع: الشعر

٤١٧	السحاب
٤٢٠	البحر
٤٢٣	الأنشودة الخرساء
٤٢٧	شهيد المحراب
٤٣٠	دموعُ الغري
٤٣٢	مواويل
٤٣٧	شيخ بغداد
٤٣٨	صديق الفراتين
٤٣٤	الفهرس

مقالات

... إهتم العلامة الشامي
بالظاهرة الإصلاحية في الوسط
الإسلامي الشيعي، وتوقف عند
دراستها مطولاً وفي مناسبات
عديدة.

وكان في كتاباته عن التجارب
الإصلاحية، يسعى لتحويل
تلك التجارب إلى منطلقات
جديدة في الحياة المعاصرة،
بمعنى أنه يحاول إعادة إنتاج
المشروع الإصلاحي بما يتناسب
مع مستجدات الزمن، وإبقائه
سمة بارزة ممتدة في الواقع
الإسلامي...

مركز الدراسات والبحوث والتوثيق



مركز الدراسات والبحوث والتوثيق